معة الأردنية ـ كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار

الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي

رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير

إعداد

فالح صالح فالح حسين

بإشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز الدوري

١٣٩٤ ـ ١٩٧٤

شـــــــكر

يسعدني ان اتقدم من استاذى الجليل الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى على استحياء لابعثها اليه تحية مخلصة ملؤها الشكر والعرفان بالجميل ، تحية تلميذ لاستاذه بل ابن لابيه لما كان له من الاثر الكبير اثناء فترة اشرافه على رسالتي الامر الذى قدر لها ان ترى النور ، اذ لولاه لما رأته ، فقد نالت من عنايته واخذت من وقته النفيس الشئ الكثير ، وكان لرحابة صدره في تلقي الاسئلة الكثيرة والمتكررة التي كنت أواجهه بها في الصباح والمساء وتشجيعه المستمر اثناء فترة الاعداد ، اكبر الفضل في اظهار الرسالة بالشكل الذى انتهت اليه .

وانني اذ اقدم للاستاذ الجليل شكرى فانني اتقدم اليه باعتذارى ليقيني بأني لن استطيع أيفاءه حقه من الشكر راجيا ان يجزيه الله خير الجزاء .

كما واتقدم بشكرى العميق لموظفي مكتبة الجامعة الاردنية وخاصة موظفي قسم الاعارة والمراجع واخص السيد صالح القدومي لما كان يبديه من اهتمام بتوفير ما كنت احتاج اليه من الكتب .

ولا يسعني الا ان اتقدم نحو كل من ساعدني بشكرى الجزيل مهما صغرت المساعدة ولو بكلمة تشجيع .

الاشـــارات والرمــــوز

اشـــير للمصادر في الهوامش حسب النمط التالي : ـ

اذا كان للمؤلف كتاب واحد يشار اليه بذكر اسم المؤلف والصفحـة مثل :

ابن رسته ص ٩٢

ابن الاثير جـ ٢ ص ١٨٦

وفي حالة وجود اكثر من كتاب للمؤلف يذكر اسم المؤلف مع الكلمة الاولى من اسم الكتاب مثل :

اليعقوبي تاريخ جـ٢ ص ١٧٥

اليعقوبي البلدان ص ٢٣٥

واذا تشابهت اسماء المؤلفين فيذكر اسم المؤلف مع الكلمة الاولى من اســم الكتاب للتمييز بينهما مثل :

الخوارزمي مفاتيح ص ٦٠

الخوارزمي مفيد العلوم ص ١٢٤

ووضع الحرف (ت) مقابل اسماء المؤلفين للاشارة الى سنة الوفاة وفي حالة عدم وجوده فالاشارة الى سنة تأليف الكتاب مثل :

اليعقوبي ت ٢٧٨/٨٩١

ابن رسته حوالي ٢٩٠/٩٠٣

ثبـــت المحتويـــات

فهرس الخرائط والرسوم

مقـدمـــــــــــــــة

ان من يتصفح كتب التاريخ العربي الاسلامي يلاحظ ان الصفة الغالبة على موادها هي النواحي السياسية والحربية ، حتى لا يكاد المرء يقرأ في جل المصادر الاولية للتاريخ العربي الاسلامي سوى اخبار الحروب والمعارك . وقلما اعتنى العرب بالنواحي الاقتصادية في تاريخهم ، اذ يعتبر كتاب " فتوح البلدان " للبلاذرى ت ٢٧٩/ ٨٩٢ فريدا من نوعه في هذا الباب .

وانطلاقا من ذلك نرى ان الابحاث التاريخية الحديثة متأثرة بهذه النظرة ، اذ يغلب عليها حتى الان الاهتمام بالحكام واعمالهم او الاختلافات السياسية وما ادت اليه من مآس في التاريخ العربي .

لكنه آن الاوان لنتجه لدراسة النواحي الحضارية والاقتصادية في تاريخنـــا اذ ان هذه الدراسة لا تزال في بدايتها وذلك لنكشف عن لون آخر من الوان تاريخنا في عصر اصبح الكلام فيه عن الحروب والاختلافات السياسية دون سواها امرا غير مقبول ولنبين ان العرب اهتموا بالجوانب الحضارية من اقتصادية واجتماعية بالرغم من كل ما كتبه مؤرخونا القدماء ، وانطلاقا من هذا المبدأ كان اختيارى لموضوع رسالتي لنيـــل درجة الماجستير وهو " الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الاموى " .

وقصدت من وراء هذا الاختيار ان تكون بداية اولية لدراسة جدية لاحوال بلاد الشام الاقتصادية في العصور الاسلامية وخاصة الاولى منها ، اذ لم يظهر حتى الان هذا النوع من الاهتمام في تاريخ بلاد الشام عامة وفي احوالها الزراعية خاصة . وربما يكون السبب هو قلة المعلومات في مصادرنا الاولية ، اذ ان الكلام عن بلاد الشام بالذات كان ضئيلا في النواحي الاقتصادية بعكس بعض الاقطار كالعراق مثلا فبينما تتوفر معلومات واسعة عن العراق حتى ان بعض المصادر الاولية تركز عليه بدرجـــة كبيرة مثل كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف ت ١٨٢ وكتاب الخراج ليحيى بن ادم ت ٢٠٣هـ وكتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلاّم ت ٢٢٤ ويرد الكثير مـــــن

من آراء الفقهاء مستندا الى امثلة وشواهد في العراق ، فان الباحث مقابل ذلك يجد صعوبة كبيرة في العثور على ما يريده من معلومات في مصادرنا عند الكلام عن بلاد الشام ؛

وأول ما يواجه الباحث في النواحي الاقتصادية هو تنوع المصادر التي يجب أن يرجع اليها من كتب التاريخ العامة والخاصة الى كتب الفقه والخراج وكتب الزراعة القديمة والحديثة الى كتب الجغرافيا والرحلات التي وضعها الجغرافيون العرب كابن خرداذبه ٢٧٢/٨٨٥ ، وابن رسته ٢٩٠/٩٠٣ ، والاصطخرى ٣١٨ — ٣٢١/ ٩٣٠— ٩٣٣ ، وابن حوقل ٣٥٦/٩٦٧ ، وناصر خسرو ٤٤٤/١٠٥٢ ، وابن جبير ت ٦١٤/١٢١٨ ، وابو الفداء ت ٧٢١/ ١٣٢١ ، وشيخ الربوة ت ٧٢٧/١٣٢٧ ، ومؤلفي المعاجم البلدانية كياقوت الحموي ت ٦٢٦/١٢٢٩ ، وابن عبد الحق البغدادى ت ٧٣٩/١٣٣٩ ، الى غير ذلك من الكتب الجغرافيه التي شكلت حجر الاساس عند الحديث عن المحاصيل الزراعية في بلاد الشام زيادة على مواضيع اخرى في ثنايا البحث .

وكانت كتب التاريخ والفقه كثيرة الفائدة وخاصة فيما يتعلق بالفصلين الثاني والخامس التي ضمت الحديث عن اصناف الاراضي وملكيتها ثم الضرائب في بلاد الشام الا ان العثور على المعلومات التاريخية بين ثنايا المصادر لم يكن سهلا نظرا لقلتها وتبعثرها .

وتشكل كتب الزراعة القديمة والتي لا يزال الكثير منها مخطوطا ينتظر التحقيق والنشر مصدرا هاما للكشف عن الاساليب الزراعية التي كان يمارسها الفلاحون ونوعية المحاصيل التي شاعت في العصور السابقة ومعرفة الحديث منها في هذه البلاد . ومن اهم هذه الكتب ، كتاب الفلاحة النبطية لابي بكر احمد بن وحشيه ت ٢٩١ هـ وكتاب الفلاحة اليونانية الذى ترجمه الى اللغة العربية عن اليونانية قسطوس بن لوقا البعلبكي ت ٣١١ هـ ، ولهذا الكتاب اهمية فريدة لانه يبحث في الزراعة في بلاد الشام . وكذلك فهناك كتب الفلاحة الاندلسية لابن العوام وابن الحجاج

وكلاهما من اهالي القرن السادس الهجرى . وان كانت هذه الكتب وضعت لبلاد الاندلس ، فانها لا تخلو من فائدة عن الزراعة في بلاد الشام . هذا اضافة الى بعض الكتب التي بحثت في زراعة الشام في اوائل هذا القرن ، اذ ان التغيير في الحياة والاساليب الزراعية لم يكن حادا الا في النصف الثاني من القرن العشرين فقط ، أما قبل ذلك فان الزراعة واساليبها لم تتغير كثيرا عما كانت عليه في العصر الاموى ، الا من بعض انواع المحاصيل التي لم تكن معروفة في ذلك العصر .

واخيرا فقد كان للكتب التي تبحث في اللباس والطعام اهمية في الفصل الاخير الذى يبحث في القرية والمجتمع القروى ، وهنا تجدر الاشارة الى انني حاولت العثور على معلومات تاريخية عن علاقة القرية بالمدينة وعلاقة القرية بكبار الملاكين دون ان اعثر على ما يستحق الذكر راجيا ان يوفق الباحثون في سد هذا النقص .

وهناك مشكلة اخرى اضافة الى تنوع المصادر وقلة المعلومات عن بلاد الشام ، وهي قلة ما يمكن الاستفادة منه في الدراسات الحديثة باللغة العربية . وتوجد بعض الدراسات الجدية بالفرنسية ولكنني لم استطع الرجوع اليها بسبب لغتها .

وبدت هذه المشكلة عند كتابة المبحث الخاص بالتقويم الزراعي في بلاد الشـــام اذ لا يوجد ما يمكن اعتباره تقويما للزراعة القديمة في بلادنا ، اللهم سوى محاولـــة اولية للتقويم الحالي وضعها وصفي زكريا في كتابه " المفكرة الزراعية " اهتم فيـــه بالوضع الزراعي حاليا ، ولم يعتمد على المصادر الاولية . وللتغلب على هذه المشكلة رجعت لبعض المصادر الاولية في كتب الزراعة لوضع تقويم زراعي يتوخى الزراعة القديمـة اكثر من الوضع الحالي راجيا ان يسد النقص ولو مؤقتا .

وتبقى هذه الدراسة محاولة اولية امل ان تثير اهتمام الدارسين بموضوعهـــا وبالتاريخ الاقتصادى عامة . واللـــــه الموفـــق .

فالح حسين

الجامعة الاردنية ــ حزيران ١٩٧٤

"" ملخص رسالة ""

"" الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ""

ان من يتصفح كتب التاريخ العربي الاسلامي يلاحظ أن الصفة الغالبة على موادها هي النواحي السياسية والحربية ، حتى لا يكاد المرء يقرأ في جل المصادر التاريخية سوى اخبار الحروب والمعارك ، فقلما اعتنى العرب بالنواحي الاقتصادية في تاريخهم . اذ يعتبر كتاب " فتوح البلدان " للبلاذرى ت ٢٧٩/٨٩٢ فريداً من نوعه في هذا الباب . حتى أن الدراسات التاريخية الحديثة لا تزال متأثرة بذلك فيغلب عليها الاهتمام بالحكام وأعمالهم ، أو الاختلافات السياسية وما أدت اليه من مآس في التاريخ العربي .

وقد آن الأوان أن نتنبه لدراسة النواحي الحضارية والاقتصادية في تاريخنا اذ أن هذا النوع من الدراسة لا يزال في بدايته ، وذلك حتى يتسنى لنا أن نكشف عن لون آخر من ألوان تاريخنا في عصر أصبح الكلام فيه عن الحروب والاختلافات السياسية دون سواها أمرا غير مقبول . ولنبين أن العرب اهتموا بالجوانب الحضارية من اقتصادية واجتماعية بالرغم من كل ما كتبه مؤرخونا القدماء .

وانطلاقا من هذا التصور كان اختيارى لموضوع رسالتي لنيل درجة الماجستير وهو "" الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي "" .

وقصدت من وراء هذا الاختيار أن تكون بداية أولية لدراسة جديدة لأحوال بلاد الشام الاقتصادية في صدر الاسلام ، اذ لا توجد مؤلفات تهتم بأحوالها الاقتصادية عامة والزراعية خاصة ، وهذا ما تفرضه قلة المعلومات الاقتصادية عن الشام في مصادرنا الأولية .

وقد قسم البحث الى ستة فصول :

أولها : جغرافية بلاد الشام : وهو بمثابة جغرافية تاريخية لبلاد الشام ، وتناول الكلام فيه الحدود التاريخية لها كما بينها الجغرافيون العرب ، ثم أقاليمها الطبيعية والمناخ وتوزع المياه السطحية في بلاد الشام وأخيرا المناطق الزراعية . وكانت الاستفادة كبيرة من كتب الجغرافية التاريخية الى جانب المؤلفات الجغرافية الحديثة .

ثانيها : الأرض الزراعية : وضم هذا الفصل الحديث عن :

أ ـ اصناف الأراضي ، ونظرا لقلة المعلومات عنها في المصادر التاريخية فان الاعتماد كان على كتب الفقه التي تضم في كثير من الأحيان مادة قيمة يمكن الاستفادة منها في الأبحاث التاريخية حتى أن الفقهاء عندما ينهون عن أمر فان هذا يعني أن هذا الأمر كان واقعا من الناحية التاريخية فعند نهيهم عن بيع أرض الخراج مثلا فمعنى ذلك أنها كانت تباع بالفعل . ومن هنا فان كتب الفقه تعتبر كبيرة الفائدة تاريخيا ومكملة للمادة التاريخية القليلة في المواضيع الاقتصادية .
أما أصناف الأراضي فهي : أرض الخراج ، العشر ، الصوافي والموات .

ب ـ ملكية الاراضي : وطرق حيازة الارض كالاقطاع والاحياء والالجاء والتوطين والشراء . ثم تعرضت لمعرفة نوعية الملاكين الكبار اذ أن أغلبيتهم من أمراء البيت الأموي وأعوان الدولة وأشراف القبائل .

ثالثا : النظام الزراعي : ويلاحظ أن هذا الفصل أوسع فصول الرسالة نظرا لكثرة المواضيع التي أثيرت فيه ، كطرق استغلال الارض من مزارعة ومساقاة ومغارسة واستثمار شخصي ، ثم الاساليب الزراعية التي يبدو أنها لم تتغير كثيرا حاليا عما كانت عليه في السابق كطريقة تبوير الارض التي لا زالت شائعة حتى الآن ، ونوعية السماد الذى استعمله الفلاحون لاخصاب أراضيهم ، ثم طريقة غرس وتكثير الاشجار ، وقطف الزيتون الذى لم تتغير وسائل قطفه وهي ضرب الشجر بالعصي وقد استنكرها هشام بن عبد الملك محافظة على غصون الزيتون الغضة . وكذلك الحال بالنسبة للحصاد والدياس والتذرية .

كما أن الأدوات الزراعية هي نفس الأدوات التي تستعمل اليوم سواء في الحرث أو النكش أى العزق أو الحصاد أو الدياس والتذرية .

وتناول الكلام هنا أيضا الرى ووسائله ، فمع أن الصفة الغالبة على الزراعة في بلاد الشام هي الزراعة البعلية ، الا أن بعض المناطق لا تزرع الا بالرى المنظم كالغوطه مثلا التي يكون ريها سيحا دون الاستعانة بآلات الرى في الاغلب ، بعكس منطقة حماه التي تروى بواسطة الآت الرى وأهمها الناعورة . وهناك مناطق تروى بواسطة القنوات مثل منبج والباب ومنطقة الحمرا ـ أفاميا والنبك وجيرود وتدمر . ثم تطرق الكلام لصيانة الانهار وتنظيف مجراها وهو ما يعرف بكرى الانهار ، وطرق توزيع ماء النهر على المنتفعين بطاقة سواء كان هذا النهر عاما أو يخص فئة معينة من الناس .

وقد ضم هذا الفصل تقويما زراعيا اذ عمل جدول حسب شهور السنة وظهرت فيه شتى الاعمال الزراعية لمختلف الاشجار والمحاصيل . واعتمد فيه قدر الامكان على كتب الزراعة القديمة .

رابعا : المحاصيل الزراعية وتربية المواشي : وتكلمت هنا عن أنواع الاشجار المثمرة التي كانت معروفة في بلاد الشام وأهمها الزيتون والكرمة والتين ، ثم المحاصيل الغذائية من حبوب وخضار وبقول وأماكن توزيعها . أما الورق فان المادة المتوفرة عنها كانت قليلة ، وأشهر مناطق الورد في بلاد الشام هي دمشق . أما الاشجار الحرجية والغابات فهي تكثر على المرتفعات الجبلية المقابلة للساحل الشامي أو المرتفعات الداخلية . وأخيرا مناطق المراعي الطبيعية والتي عرفت باسم المروج وهي المكان الصالح لرعي الماشية وتربيتها . لكن المعلومات عن المواشي عموما كانت نادرة .

خامسا : الضرائب : وفي هذا الفصل اعتماد كبير على كتب الفقه والخراج نظرا لقلة المعلومات التاريخية عن بلاد الشام عموما وخاصة الضرائب فهي قليلة

جدا ، بعكس العراق مثلا فبينما تتوفر معلومات واسعة عن العـــراق لدرجة أن بعض المصادر الاولية تركز عليه بدرجة كبيرة ككتب الخراج مثلا ، ويرد الكثير من آراء الفقهاء مستندا الى أمثلة وشواهد من العراق ، وبالمقابل فان الباحث يجد صعوبة كبيرة في العثور على ما يريده مـــن معلومات في المصادر عند الكلام عن النواحي الاقتصادية في بلاد الشام . ولهذا فان كتب الفقه كانت كبيرة الفائدة هنا اذ جاءت مكملة للمـــادة التاريخية القليلة مع ملاحظة أن مادة كتب الفقه كثيرا ما تكون واقعيـــة .

فعند الحديث عن الجزية فان كتب الفقه تعطينا معلومات تاريخيـــة أكثر منها فقهية ، وقد تكلمت عن الجزية التي فرضت على أهل الذمـــة منذ بداية الفتح ، وتطورها زمن الأمويين ، ثم ضريبة الخراج على الارض . وهاتان الضريبتان تؤخذان من أهل الذمة في الأصل ، ثم العشـــــر الذى يؤخذ من المسلمين .

وأثرت مسألة أنواع المحاصيل التي فرضت عليها الضرائب والتي لـــم يفرض عليها وغلبت عليها الصفة الفقهية لقلة المعلومات التاريخية . وكذلك الحال كان بالنسبة لطرق الجباية ومعاملة الفلاحيــن .

سادسا : القريـــة : ويغلب على هذا الفصل معالجة النواحي الاجتماعية لأهل القرية والتي تتصل بحياتهم الزراعية ، ويظهر ذلك في الترابط القـــوى بينهم ، وتعاونهم في المجال الزراعي سواء في البذار أو القطاف أوالحصاد . وتناول الحديث جوانب معيشة الفلاح ، كمسكنه وطريقة بنائه ، ثم طعامـــه الذى يتكون من المواد التي تنتجها أرضه ، ولباسه البسيط المتلائـــــم وظروف عمله ومعيشتـــه .

وأول ما يواجه الباحث في النواحي الاقتصادية هي مشكلة تنوع المصـــادر التي يجب أن يرجع اليها من كتب التاريخ الخاصة والعامة الى كتب الجغرافيـــة التاريخية التي وضعها الجغرافيون العرب ، كابن خرداذبه ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م ، واليعقوبي ت ٨٩١/٢٧٨ ، وابن رسته ٢٩٠/٩٠٣ ، والاصطخرى ٣١٨ — ٩٣٠/٣٢١ — ٩٣٣ ، وابن حوقل ٩٦٧/٣٥٦ ، والمقدسي ٩٨٨/٣٧٥ ، وأبو الفداء ت ٧٢١/ ١٣٢١ ، وشيخ الربوة ت ١٣٢٧/٧٢٧ . ومؤلفي المعاجم البلدانية كياقوت الحموى ١٢٢٩/٦٢٦ ، وابن عبد الحق البغدادى ١٣٣٩/٧٣٩ . الى كتب الرحـــلات التي وضعها الرحالون كناصر خسرو ١٠٥٢/٤٤٤ ، وابن جبير ت ١٢١٨/٦١٤ ، وابن بطوطه ت ١٣٧٩/٧٧٩ . هذه الكتب التي كانت كبيرة الأهمية في الفصل الاول " جغرافية بلاد الشام " والرابع " المحاصيل الزراعية " .

وكانت كتب الفقه والخراج كبيرة الفائدة خاصة فيما يتعلق بالفصليـــــــن الثاني والخامس والتي تضمنت الحديث عن أصناف الأراضي وملكيتها ثم الضرائـــب في بلاد الشام . وأهم هذه الكتب " كتاب الخراج " لابي يوسف ت ١٨٢ هـ ، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم ت ٢٠٣ هـ وكتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامـــة بن جعفر ت ٣١٦ هـ ، وكتاب الأموال لأبي عبيد ت ٢٢٤ هـ ، فقد كانت معلوماتها مكملة لما ورد في الكتب التاريخية وخاصة " فتوح البلدان " للبلاذرى ، وتاريـــخ مدينة دمشق لابن عساكر ت ٥٧١ هـ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر " .

وتشكل كتب الزراعة القديمة مصدرا هاما للكشف عن الأساليب الزراعية التي كان يمارسها الفلاحون ، ونوعية المحاصيل التي عرفت في العصور السابقة لمعرفة الحديث منها في هذه البلاد ، كما كانت الأساس في وضع التقويم الزراعي . ومن هذه الكتب " كتاب الفلاحه النبطية " لابن وحشية ت ٢٩١ هـ، وكتاب الفلاحة اليونانية لقسطوس ابن لوقا ت ٣١١ هـ ، وكتاب الفلاحه الاندلسيه لابن العوام والفلاحة لابن الحجاج ، وكلاهما من أهالي القرن السادس الهجرى وان كان بعض هذه الكتب وضع لبلاد الاندلس أو العراق فانها لا تخلو من فائدة للباحث عن الزراعة في بلاد الشام ، الا أن كتاب قسطوس يحتفظ بميزة فريدة لانه يبحث في الزراعة ببلاد الشام بالذات . هذا بالاضافة الى بعض الكتب الزراعية التي وضعت في وقت متأخر مثل كتاب علم الملاحه في علم الفلاحه لعبد الغني النابلسي ت ١١٤٣ هـ ، وبعض الكتب التي ألفت في أوائل هذا القرن مثل كتاب " المفكرة الزراعية " لوصفي زكريا ، وكتاب " الزراعة العملية الحديثة " لمصطفى الشهابي وله أيضا كتاب " الاشجار والانجم المثمرة " . اذ أن التغيير الذى طرأ على الحياة والأساليب الزراعية لم يكن حادا الا في النصف الثاني من القرن العشرين فقط . أما قبل ذلك فانها لم تتغير كثيرا عما كانت عليه في العصر الأموى الا من بعض المحاصيل التي لم تكن معروفة في ذلك العصر ذلك لأن حياة الفلاحين تتصف بصفة المحافظة وعدم التغيير في انماط حياتهم نظرا لقلة اختلاطهم بسواهم . مما يجعل المرء يتقبل بعض المعلومات التي ربما تعتبر حديثة لكنها لا تكاد تختلف عن السابق ، فالأدوات الزراعية تكاد تكون نفس الأدوات التي استعملت منذ العهد الروماني حتى الآن في أماكن كثيرة من بلاد الشام اذا ما استثنينا النصف الثاني من هذا القرن ، وكما يصدق الحال عن الأساليب الزراعية فانه يصدق أيضا بالنسبة لمعيشة الفلاحين أنفسهم في شتى نواحي حياتهم من مأكل أو ملبس أو مسكن .

وزيادة عن تنوع المصادر وقلة المعلومات التاريخية عن النواحي الاقتصادية في بلاد الشام ، فهناك مشكلة أخرى وهي قلة ما يمكن الاستفادة منه في الدراسات الحديثة .

وبدت هذه المشكلة عند كتابة المبحث الخاص في التقويم الزراعي لبلاد الشام ، اذ لا يوجد ما يمكن اعتباره تقويما للزراعة في بلادنا ، ولمعالجة ذلك رجعت لكتب الزراعة القديمة وخاصة كتاب " الفلاحة اليونانية " ووضعت تقويما توضيحيا فيه الزراعة القديمة اكثر من الوضع الحالي راجيا أن يسد النقص ولو مؤقتا ، كما بدت المشكلة أيضا عندما حاولت العثور على معلومات تاريخية عن علاقة القرية بالمدينة وعلاقة القرية بكبار الملاكين دون أن أثر على ما يستحق الذكر راجيا أن يوفق الباحثون في سد هذا النقص .

وتبقى هذه الدراسة محاولة أوليه آمل أن تثير اهتمام الدارسين بموضوعها وبالتاريخ الاقتصادى خاصة .

والله الموفق ،،

١٩٧٤/١٠/٢٣



جغـــــــرافيه بـــــــلاد الشـــام

أ ـ حدود بلاد الشـــــام : ـ

لم يتعرض الجغرافيون الاوائل (امثال ابن خرداذبه ٢٧٢/٨٨٥ ، واليعقوبي ت ٢٧٨/٨٩١ ، وابن رسته حوالي ٢٩٠/٩٠٣ ، وابن الفقيـــــــه حوالي ٢٩٠/٩٠٣ وسهراب ت ٣٣٤/٩٤٥) لذكر حدود بلاد الشام مع ان بعضهم يعدد كور الشام ومدنها كابن خرداذبه (١) ، وبعضهم الاخر يذكر اجناد الشام ونطاق كل جند كاليعقوبي (٢) ، ومن ذكرهم للمدن يمكن معرفـــة المدن التي وقعت على الحدود .

اذ يرى اليعقوبي ان رفح تشكل الحد بين مصر والشام (٣) ، ويذهب ابن خرداذبه ابعد منه في التحديد عندما يذكر ان هناك شجرة بين رفح والعريـــش كانت هي الحد بين مصر والشام (٤) ، بينما جعل البكرى مدينة العريش اخـــر الشام (٥) ، ويفارق ابن الفقيه الجميع بأن الشام من الكوفة الى الرملة (٦) . كما يتحاشى البلخي حوالي ٣٠٨/٩٢٠ ذكر حدود تفصيلية حين يقول " فشرق الشام غرب الفرات وغرب الشام ساحل الروم وشماله جبال الروم وجنوبه فلسطين والاردن وبعض البادية . (٧)

ووضع الاصطخرى ٣١٨ ب- ٣٢١/٩٣٠ ـ ٩٣٣ خارطة لبلاد الشام رســـم فيها الحدود كما يراها (٨) ، وذكر ان الشام غربيها بحر الروم وشرقيها الباديـــة

---

١ ـ ابن خرداذبه ص ٧٥ ـ ٧٦ ، ٧٩ . (٢) اليعقوبي بلدان ص ٣٢٤ ، ٣٣٠

(٣) اليعقوبي بلدان ٣٣٠ ، تاريخ ج ٢ ص ١٤٨ . (٤) ابن خرداذبه ٨٣ انظر اليعقوبي بلدان ٣٣٠ . (٥) البكرى ج ١ ص ٦٦٣ ، ٩٣٨ ، انظر ايضا ابن عبدربه ج ٤ ص ٢٦٦ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ١٨٨ ، ابن شداد ج ١ قسم ١ ص ٨ ، شيخ الربوة ص ١٩٢ ، النووى تهذيب قسم ٢ ج ١ ص ١٧١ ، ياقوت ج ٣ ص ٣١٢ ، ابن عبدالحق البغدادى ج ٢ ص ٧٧٥ ، القزويني ص ٢٠ ، ابن الشحنه ص ١٠ ، المنيني ص ٥٠ ، الباكوى ص ٥٩ ، (٦) ابن الفقيه ص ٩٢ . (٧) البلخي ج ٤ ص ٧٢

(٨) الاصطخرى اقاليم مقابل ص ٣٥ ، خارطة الشام .

من ايله الى الفرات ومنه الى حد الروم ، وجعل المدن التالية على طول الحد الشرقي وهي أيله ، معان ، سلميه ، تدمر ، الخناصرة ، بالس ، جسر منبج ، سميساط وملطيه . وآخر الحد مع مصر رفح ويسير خط الحدود مخترقا صحراء سيناء الى ايله ، أما حد الشام مع الروم فهو الثغور وتبدأ بملطيه الى الحدث ، ومرعش ، والكنيسة والهارونية وعين زربه ، والمصيصه ، واذنه ، الى طرسوس (١) ، وقد ذكر هذه الثغور قبله ايضا ابن خرداذبه (٢) ، وابن رسته (٣) ، وقدامه بن جعفر (٤) ، ويكرر ابن حوقل حوالي ٩٦٧/٣٥٦ خارطة الاصطخرى (٥) ، ومع ان الخارطة ليست دقيقة كما وردت ، الا انها تمثل اول محاولة جديه لمعرفة حد الشام مع البادية ومصر وبلاد الروم ، فالخط بين بالس ــ ايله هو حد الشام عن بلاد العرب والبادية وما وراء خط الثغور شمالا نواحي بلد الروم ، وغرب خط رفح ــ ايله نواحي مصر . (٦) أما الجغرافيون المتأخرون فيختلفون في التفصيل ايضا ، فياقوت ت ١٢٢٩/٦٢٦ يذكر حدودا عامه لبلاد الشام كما يلي " حدها من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية واما عرضها فمن جبلي طي من نحو القبلة الى بحر الروم" (٧) ، ويتابعه ابن عبد الحق البغدادى ت ٧٣٩/ ١٣٣٨ (٨) .

---

١ ــ الاصطخرى مسالك ص ٥٥ ، اقاليم ص ٣٠ انظر ابن حوقل ص ١٥٣

٢ ــ ابن خرداذبه ص ٩٧ ــ ٩٩ ، ٣ ــ ابن رسته ص ٩٧ ، ١٠٧ ، ٤ ــ قدامه " ذيل ابن خرداذبه " ص ٢١٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٣ ــ ٢٥٤ ، ٥ ــ ابن حوقل ص ١٥٥ " خارطة الشام " ، ٦ ــ الاصطخرى اقاليم مقابل ص ٣٥ ، انظر ابن حوقل ص ١٥٥

٧ ــ ياقوت ج ٣ ص ٣١٢ ، ٨ ــ ابن عبد الحق البغدادى ج ٢ ص ٧٧٥ انظر القزويني ص ٢٠٥ ، الباكوى ص ٥٩ ، المنيني ص ٥٠ ، أما شيخ الربوة ت ٧٢٧/ ١٣٢٧ فيبين ان حدود الشام من ملطية الى العريش ، ومن منبج الى طرطوس وان اخر حدود مصر من الغرب ايله على بحر القلزم . ويلاحظ انه يجعل منبج اول مدن الشام مع العلم ان بالس على الفرات هي اول الشام ، انظر ص ١٩٢ ، ٢٢٩ .

ويتوسع ابو الفداء ت ١٣٢١/٧٢١ في تفاصيل الحدود اذ يقول " والذى يحيط بالشام من جهة الغرب بحر الروم من طرسوس التي ببلاد الارمن الى رفح التي في اول الجفار بين مصر والشام ويحيط به من جهة الجنوب حد يمتد من رفح الى حدود تيه بني اسرائيل الى ما بين الشوبك وايله الى البلقاء ويحيط به من جهة الشرق حـــد يمتد من البلقاء الى مشاريق صرخد آخذا على اطراف الغوطة الى سلمية الى مشاريق حلب الى بالس ويحيط به من جهة الشمال حد يمتد من بالس مع الفرات الى قلعة نجم الى البيرة الى قلعة الروم الى سميساط الى حصن منصور الى بهسنا الى مرعش الى بلاد سيس الى طرسوس الى بحر الروم من حيث ابتدأنا " (٢) ويورد القلقشندى ت ٨٢١ / ١٤١٨ مثل ذلك كما يورد الحدود نقلا عن ابن فضل الله العمرى ت ١٣٤٩/٧٤٩ مع اغفال لذكر الحدود مع الروم (١) .

يتضح مما سبق أن معالجة حدود الشام تفاوتت بين الاشارة العابرة والمحاولة الجدية لرسمها ويمكن وصف الاصطخرى انه يمثل البداية لمن حاولوا بجدية رسم الحدود اما ابو الفداء فيجمل حد الشام الجنوبي من رفح الى نقطة لا يحددها بوضوح الى ما بين الشوبك وايله (٢) ، في حين ان ايله هي الحد الذى ذكره غيره من الجغرافيين (٣) . وبمحاولته رسم الحد تفصيليا مع البادية نلمس محاولة جدية لكنه مع ذلك يبقى بحاجة الى تعديل ، أما تحديده للحدود الشمالية مع الروم فلا جديد فيه عما ذكره ابن خرداذبه باعتباره اول من ذكرها (٤) ، مع ملاحظة انه لا يذكر ملطيه بين الثغور والتي كانـــت تخضع للارمن في عهده .

---

(٢) ابو الفداء تقويم ص ٢٢٥ انظر

١ ــ القلقشندى ج ٤ ص ٧٥ ، اما كتاب ابن فضل الله العمرى الذى ينقل عنه القلقشندى فهو " التعريف بالمصطلح الشريف " وليس " مسالك الابصار في ممالك الامصار "

٢ ــ ابو الفداء ص ٢٢٥ ، ٣ ــ عدا البلخي الذى لا يذكر سوى ان جنوب الشام فلسطين والاردن وبعض البادية ج ٤ ص ٧٢ ، انظر الاصطخرى اقاليم ص ٣١ ، مسالك ص ٥٥ ، ابن حوقل ص ١٥٣ ، ابن شداد ج ١ قسم ١ ص ٨ ، شيخ الربوة ص ٢٢٩ ، ابن الفقيه ص ٩٢ ، ياقوت ج ١ ص ٢٩٢ ، النووى تهذيب قسم ٢ ج ١ ص ١٩ ، ابن عبد الحق البغدادى ج ١ ص ١٣٣ ، ٤ ــ ابن خرداذبه ص ٩٧ ــ ٩٩

ويورد الكتاب المحدثون حدود بلاد الشام نقلا عن المصادر الاولية او انهم يذكرونها بشكل عام دون محاولة لذكر نقاط الحدود مفصلة في الشمال او الشرق او الجنوب (١) ،ويذكر لامنس ان طول بلاد الشام من طوروس الى جبل سيناء ١١٠٠ كم بينما لا يزيد عرضها على ١٥٠ كم ، اذ انها مستطيل طويل الضلعين من الشرق والغرب قصيرها في الشمال والجنوب (٢) ، وكان ابو الفداء قد نبه الى التطاول في شكل خريطة الشام من قبل (٣) .

ومن العسير رسم حدود دقيقة لخريطة بلاد الشام ، اذ ان ذلك متعذر بالنسبة لحد الشام مع البادية في الشرق والجنوب الشرقي وكذلك في الحدود مع صحراء سيناء ويمكن القول ان الحد الجنوبي الغربي يمتد بين رفح وايله مرورا بالجفار (٤) ، وتدخل نَخْلْ في بلاد الشام كما يفهم من ابن عبد الحق ، اذ يقول " موضع في طرف الشام من ناحية مصر" (٥) ، وهي في وسط صحراء سيناء (٦) ، اما الحد الشرقي مع البادية وديار العرب فيجمله الجغرافيون بين بالس ـ ايله وبينهما المدن التالية : عمان ، سلميه ، تدمر ، الخناصرة ، والرصافة (٧) ،ويلاحظ ان البادية تتراجع شرقا في بعض الاماكن اكثر من بعض كما هو الحال في حوران ،اذ تبدو البادية الى الشرق من جبل الريان بينما تتقدم نحو الغرب

---

١ ـ فنديك ص ١٢٢ ،بوست ص ١٠٤ ،لسترانج ص ٤٤ ،الطباخ ج ١ ص ٦٨ ،علي بهجت ص ١٣٤ ،بني ص ٧ ،فرحات ص ١ ،كرد علي خطط ج ١ ص ٤٩ ،موترد مقال " الاحوال الاقتصادية في سوريا الرومانية " مجلة المشرق مجلد ٢٥ لسنة ١٩٢٧ ص ٢٩٦ لامنس مقال المذكرات الجغرافية في الاقطار السورية مجلة المشرق مجلد ١٠ لسنة ١٩٠٧ ص ٤٥٨

٢ ـ مجلة المشرق مجلد ١٠ لسنة ١٩٠٧ المقال السابق ونفس الكاتب ص ٤٥٨

٣ ـ ابو الفداء ص ٢٢٥ ، ٤ ـ ياقوت ج ٢ ص ١٤٥ ، انظر الباكوى ص ٢٥

٥ ـ ابن عبد الحق البغدادى ج ٣ ص ١٣٦٤ ، ٦ ـ انظر موقعها على الخارطة شكل " ١ " . ٧ ـ انظر خارطة الشام عند الاصطخرى اقاليم مقابل ص ٣٥ ابن حوقل خارطة الشام ص ١٥٥ ،انظر ايضا ابو الفداء ص ٢٢٥ .

عند دمشق . وقد ذكر ابو الفداء ان الحد " يمتد من البلقاء الى مشاريق صرخد" ثم تتقدم البادية غربا نحو القوطة الذى يعتبر شرقها حدا بين الشام والبادية (١) ، ثم الى سلمية الى مشاريق حلب الى بالس . (٢)

وهكذا يكون الحد الشرقي لبلاد الشام كالتالي : ـ

يبدأ شرق الرصافة مسايرا لجبل بشرى ويسميه ابن العديم جبل البشـر " في طرف حلب من جهة البرية " (٣) ، ثم يسير شرق قصر الحير الشرقي الى شرق السخنه ـ تدمر مخترقا الصحراء مارا بشرق جبل الزيان ومنخفض الازرق والقصور الصحراوية ، " الحلابات ، عمره ، الخرانه ، المشتى ، التوبه " الى الشرق من مرتفعات الشراه وهي كما يقول ابو الفداء " لا خلفها البرية " (٤) ، مرورا بالجفر ومعان الى جبل رم ثم الى ايله . ويكمل نهر الفرات الحد الشرقي للشام ، اذ ان ابن رسته يجعله حدا فاصلا بين الشام والجزيرة (٥) ، ويرى ابن الفقيه والبلخي ان قنسرين ليست من الشام بل من الجزيرة (٦) ، والخلاف هنا اداري وليس جغرافي ، اذ ان نهر الفرات هو الحد الجغرافي بين الشام والجزيرة .

وقد اعتبرت بالس أول الشام (٧) ، وتقع على حافة الفرات الشرقية وهي تشكل " رأس الحد من قبل الرقه " (٨) ، ويساير الحد الشرقي للشام مجرى نهر الفرات حتى ملطيه في الشمال . واهم المدن الشاميه التي تقع عليه :

---

١ ـ ابو الفداء ص ٢٢٥ ، ٢ ـ بناء على التحديد الذى اورده ابو الفداء فان منطقة بالس ـ الرصافة ـ تدمر ـ دمشق ـ سلميه ـ خناصرة ـ بالس تصبح خارج نطاق الشام وتعتبر من البادية ومع انها بالفعل صحراوية ومن البادية الا انه لا يمكن اخراجها من الشام فالرصافة مثلا كانت مركز اقامة هشام بن عبد الملك وفي حوارين كان يزيد بن معاوية يقضي اغلب اوقاته بل وتوفي هناك ، كما ان تدمر شاميه عند كل من ذكرها .

٣ ـ ابن العديم بغية الطلب " مخطوط " ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤ ـ ابو الفداء ص ٢٢٥

٥ ـ ابن رسته ص ٩٣ ، انظر ابن حوقل ص ١٥٤ ، البلخي ج ٤ ص ٧٢ ، ابن جبير ص ٢٣٦

٦ ـ ابن الفقيه ص ١٠٩ ، البلخي ج ٤ ص ٧٢ ، ٧٥ ويرى ابن الفقيه مع ذلك ان بالس من الشام انظر ص ٩٢ ، ٧ ـ انظر ابن رسته ص ٩٣ ، ابن الفقيه ص ٩٢ ، المقدسي ص ١٥٥ ابن جبير ص ٢٣٦ ، ابن حوقل ص ١٥٤ ، ابن خرداذبه ص ٧٤ ، الاصطخرى مسالك ص ١٣ ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، البكرى ج ١ ص ٢٢٢ ، ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، ٨ ـ انظر ابن الفقيه ص ٩٣ ، الاصطخرى مسالك ص ٦٢ ، ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ١٣

بالس ، جرابلس ، قلعة الروم ، سميساط (١) .

أما الحد الشمالي مع الروم فانه غير ثابت نتيجة حالة الحرب الدائمة مع البيزنطيين ، فاتسمت الحدود الشمالية بالاضطراب والقلق . ويعطينا البلاذري ت ٢٧٩/ ٨٩٢ دليلا واضحا على اضطراب الحالة وتغير الحدود اذ يقول " كانت ثغور المسلمين ايام عمر وعثمان رضي الله عنهما وما بعد ذلك انطاكية وغيرها من المدن التي سماها الرشيد العواصم فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم ما وراء طرسوس وكان فيما بين الاسكندرونه وطرسوس حصون ومسالح الروم " (٢) ، ففي فترة الراشدين لم تكن سيطرة العرب قد اكتملت الا على انطاكية وشمال حلب ، الا ان المعارك التي خاضها الامويون وسعت الرقعة الاسلامية ، حتى استطاعوا السيطرة على المنطقة ما بين ملطيه ومرعش والمصيصة وطرسوس (٣) ، فقد تمكن معاوية في سنة ٢٥ هـ من تثبيت بعض الجند فيما بين انطاكية وطرسوس (٤) ، كما افتتح ملطيه ايام ولايته على الشام (٥) . وفي سنة ٣٠ هـ دخل العرب مدينة مرعش " وكان معاوية قد بناها واسكنها جندا " (٦) واعيد تعمير مرعش وبناء حصونها في سنة ٧٥ هـ على اثر معركة هزم فيها الروم (٧) ، ومدينة مرعش هذه هي مدينة الحدود الوسطى بين ملطية وطرسوس ، واصبحت ملطية في اواخر القرن الاول الهجري مدينة اسلامية ، اذ اخلى عمر بن عبد العزيز طرنده واسكن اهلها ملطية (٨) ، التي شكلت رأس الحد مع الروم من الشرق وسار خط الحدود من ملطية شرقا حتى طرسوس غربا . ففي سنة ٨٤ هـ نجح عبد الله بن عبد الملك في دخول

---

١ ــ انظر خارطة الشام ، الاصطخري اقاليم ص ٣٥ ، ابن حوقل خارطة الشام ص ١٥٥ انظر ابو الفداء ص ٢٢٥ ، ٢ ــ البلاذري فتوح ص ١٦٣ ، انظر ابن الفقيه ص ١١١ ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ٢٠١ ، انظر مقال زياده جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري ص ١٨ ، ٣ ــ انظر البلاذري فتوح ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٨٨ ، خليفة ج ١ ص ١٧٨ ، ١٧١ اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ١٦٩ ، الطبري تاريخ ج ٤ ص ٣١٧ ، جزء ٥ ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ١٠ ــ ١١ ، ٤ ــ البلاذري فتوح ص ١٦٤ ، انظر ابن الاثير ج ٣ ص ٨٦ ، ٥ ــ انظر خليفة ج ١ ص ١٧٨ ، البلاذري فتوح ص ١٨٥ ، الطبري تاريخ ج ٤ ص ٣١٧ ، ٦ ــ البلاذري فتوح ص ١٨٨ ، انظر شيخ الربوة ص ٢١٤ ، ٧ ــ البلاذري فتوح ص ١٨٩ ، انظر الطبري تاريخ ج ٦ ص ٢٠٢ ، ٨ ــ البلاذري فتوح ص ١٨٨ .

د رب انطاكية " واتى المصيصه فبنى حصنها على اساسه القد يم ووضع بها سكانا من الجند .. ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك " (١) وهذا يعني ان العـــرب سيطروا عليها آنئذ رغم ان الحصون التي بينها وبين انطاكية بقيت تتعرض احيانـــا للهجوم البيزنطي حتى ان عمر بن عبد العزيز حاول هدم هذه الحصون لئلا يحاصرها العدو " فاعلمه الناس انها انما عمرت ليدفع من بها الروم عن انطاكية وانه ان اخربهـــا لم يكن للعدو ناهية دون انطاكية فأمســـك". (٢)

وخلال الثلث الاول من القرن الثاني للهجرة زاد الامويون من نشاطهم لتثبيت سيطرتهم على مناطق الثغور (٣) ، واستطاعوا بناء حصون قوية بينهم وبين البيزنطيين وكانت هذه الحصون في اغلب الحالات مسايره لمنحنيات جبال طوروس من البحر المتوسط الى اطراف ملطيه . (٤) ومن هذه الحصون ملطيه ، الحدث ، مرعش ، عين زربه ، كفربيا ، المصيصة ، المثقب ، اذنه ، طرسوس . (٥)

وكانت اهم مدن الحدود الشمالية ملطيه ، ومرعش ، وطرسوس ، وملطيه مدينة الحد من الطرف الشرقي بينما كانت مرعش مدينة الحدود الوسطى ، فهي " ثغر ليس وراءه الا غارات العدو " (٦) ، في حين ان طرسوس هي مدينة الحد الغربي (٧)

---

١ ــ البلاذرى فتوح ص ١٦٥ ، انظر خليفة ج ١ ص ٣٧٨ ، اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢٨٢ ، الطبرى تاريخ ج ٦ ص ٣٨٥ ، ابن الاثير ج ٤ ص ٥٠٠ ، ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ١٩٦ (٢) البلاذرى فتوح ص ١٦٥ انظر الاربلي ص ٢١ (٣) انظر خليفة ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧٦ ، ، البلاذرى ج ٦ ص ٢٠٢ ، ٣٣١ ، ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ١٠ ــ ١١ ويعرف ياقوت الثغر بانه " الطرف الملاصق من بلاد المسلمين ببلاد الكفار " (٤) عثمان ج ١ ص ١٣٢

انظر خارطة الإصطخرى اقاليم ص ٣٥ ، ابن حوقل ص ١٥٥ وانظر الادريسي ص ١٦ ابن العديم بغية مخطوط ص ٢٧٠ ــ ٢٧٢ (٥) انظر خليفة ج ٢ ص ٤٩٢ ، البلاذرى فتوح ص ١٦٥ ، ١٨٦ ، اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٣٠٠ ، ٣٢٩ ، الطبرى تاريخ ج ٧ ص ٤٣ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ٩٠ انظر ابن حوقل ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، ابن رسته ص ٩٧ ، ١٠٧ ، قدامه ص ٣١٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ياقوت ج ٣ ص ٣١٢ ، ابو الفداء ٢٢٥ ، السترانج ١٥٦ ، (٦) قدامه الخراج " ذيل مسالك ابن خرداذبه " ص ٢١٦ انظر يشخ الربوة ص ٢١٤ ، زيدان التمدن ج ١ ص ٢١١ (٧) انظر خارطة الاصطخرى للشام اقاليم ص ٣٥ ، ابن حوقل خارطة الشام ص ١٥٥ .

- ومن الثغور ما سمي بالثغور الجزرية رغم أنها من الشام " انما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة لان اهل الجزيرة يرابطون بها ويغزون " (١) ، ويفصل جبل اللكام بين الثغور الجزرية والشامية . (٢)

ويمكن القول بصورة عامة ان حدود بلاد الشام سايرت لدرجة واضحة الاوضاع الجغرافية ، فجبال طوروس تكاد تكون الحد الطبيعي بين العرب والبيزنطيين في الشمال ويشكل البحر المتوسط الحد الطبيعي لبلاد الشام من الغرب ، بينما تشكل البادية الحد الشرقي والجنوبي الشرقي للشام ، ويكمل نهر الفرات الحد الشرقي لبلاد الشام . (٣)

---

١ ـ الاصطخرى مسالك ص ٥٥ اقاليم ص ٣٠ ، انظر ابن خرداذبه ص ٩٧ ـ ٩٩ ابن حوقل ص ١٥٤ ، قدامه الخراج ص ٢١٦ ، شيخ الربوة ص ٢١٤

(٢) ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ٥٦ ، انظر ابن حوقل ص ١٥٦ ، ياقوت ج ٥ ص ١١ ، عثمان ج ١ ص ١٣٢ ، حتى تاريخ العرب ج ١ ص ٦٦٣ تاريخ سوريا ج ٢ ص ٤٤ ، الدومنكي ص ٢١٤ ، (٣) انظر شكل " ١ ".

ب ـ أقسامها الطبيعية : ـ

* تقسم التضاريس الطبيعية لبلاد الشام بالتطاول من الشمال الى الجنوب ، اذ يمكن تقسيمها من الغرب الى الشرق حسب النظام التالي : ـ

(السهول الساحلية ، سلاسل الجبال الغربية " جبال الساحل " ، الانهدام السوري ـ الافريقي) الذى يشمل مجرى نهر العاصي والبقاع ومجرى نهر الاردن والبحر الميت ووادى عربه ، سلاسل الجبال الشرقية التي تقابل الحفرة الانهدامية على طول بلاد الشام من العمق حتى وداى عربه . يليها الى الشرق وخاصة في الشمال السهول الداخلية وبعض الكتل الجبلية الداخلية كسلاسل البلعاس والتدمرية وبشرى. والى الجنوب الغربي منها يقع جبل الريان في وسط بلاد الشام . (١)

وقد لاحظ التطاول في تضاريس بلاد الشام بعض الجغرافيين العرب كالمقدسي ٣٧٥/٩٨٥ كما هو واضح في وصفه ، اذ يقول : " اقليم الشام اربعة صفوف ، الصف الاول يلي بحر الروم وهو السهل فيه جميع مدن السواحل ، الثاني الجبل ...... فيه جبل لبنان واللكام ، الصف الثالث الاغوار ... فيه من البلدان ايله ، صغر اريحا ، بيسان ، طبريه ، وبانياس ، الصف الرابع سيف البلديه وهي جبال عالية بارده معتدله مع البادية ... يقع فيه من البلدان مآب ، عمان ، اذرعات ، دمشق ، حمص ، تدمر ، وحلب " . (٢)

تابع التقسيمات

(١)ـ السهول الساحلية وتكون الشريط المحصور بين ساحل البحر الابيض المتوسط من الغرب وسلسلة الجبال الغربية من الشرق) ولذا اختلف ضيقها واتساعها بقرب الجبال وبعدها عن الساحل ، فحيثما اقتربت الجبال من البحر ضاقت مساحة السهول لكنها تتسع في حالة تراجع الجبال شرقا ، لذا فقد تراوح عرض السهل الساحلي بين

---

١ ـ عبد السلام ج ١ ص ١٠٢ ، انظر بوست ص ٤١٣ ـ ٤١٤ ، فرحات ص ٣ ـ ١٤ الشهابي زراعة ص ٣١ ، الاشجار ص ١٨٠ . (٢) المقدسي ص ١٨٦ ، انظر سترانج ص ٣٣ ـ ٣٤ ، الدومنكي ص ١١٤ .

كيلومتر واحد كما هو حال سهول بانياس وطرطوس و ٢٣ كم في سهل عكار الى ٤٨ كم في السهل الساحلي الفلسطيني الى الجنوب من الرملة . (١) وتبدأ السهول الساحلية في الشمال حول خليج الاسكندرونه حتى رفح جنوباً ويبلغ عرض سهول الاسكندرونه ٧ كم لكنها تضيق شمال السويدية ، اذ تكاد الجبال تلامس الساحل فيما بين رأس البسيط والسويدية ، وقبيل انطاكية تضيق سهول دلتا العاصي فلا تتجاوز ١ ــ ٢ كم ، ثم يتسع السهل عند اللاذقية وجبلة فيبلغ عرضه بين ١٠ ــ ١٢ كم ليبلغ مداه في الاتساع في سهل طرابلس "عكار" فيصل الى ٢٣ كم الى ان يعود للضيق مرة اخرى بين شمال بيروت حتى صيدا ، حيث يبدأ بالاتساع ويتسع كثيرا في مرج بن عامر . وينقطع السهل الساحلي عندما يلامس جبل الكرمل مياه البحر . والى الجنوب من قيساريه تتسع السهول الساحلية مرة اخرى حتى الرملة ، حيث يبدأ السهل الساحلي الفلسطيني حتى جنوب غزة وهنا يبلغ اتساع السهل الساحلي اقصاه اذ يصل عرضه الى ٤٨ كم . (٢)

ويخترق السهول الساحلية من الشرق الى الغرب الانهار الساحلية التي تنبع من الجبال الغربية وتتجه نحو البحر كنهري الكبير الشمالي والجنوبي ونهر السن والانهار التي تخترق الساحل اللبناني والفلسطيني .

٢ ــ وتشكل الجبال الغربية والساحلية سلسلة جبلية متطاولة محصورة بين البحر والسهول والتلال الساحلية في الغرب ، وحفرة الانهدام السوري الافريقي في الشرق (٣) وتتكون من الاقسام الجبلية التالية : جبال اللكام "امانوس" ، والنصيرية وجبال لبنان الغربية ثم الجبال قليلة الارتفاع في جنوب الشام كجبال الجليل ونابلس والقدس .

---

١ ــ عبد السلام ج ١ ص ١٣٠ ، فرحات ص ٤ (٢) عبد السلام ج ١ ص ١٣٠ ــ ١٣٢ وانظر فرحات ص ٤ ، بوست ص ٤١٣ ، الدبس مجلد ٤ ص ١٤٤ ، الشهابي الزراعة ص ٣٣ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ١٥٦ ، (٣) عبد السلام ج ١ ص ٨٥ ، انظر Syria P; 45

وتعتبر جبال النصيرية متوسطة بين جبال اللكام ولبنان اذ انها اقل منهما ارتفاعا حيث تتجاوز الارتفاعات فيهما ال ٢٠٠٠ – ٢٥٠٠ م بينما لا تزيد قمة اعلى جبل في النصيرية على ١٥٦٢ م كما هو حال جبل متى شرق صلنفه . ويكون عرضها بين ٢٥ – ٣٠ كم (١) .

اما بداية السلسله فهي جبال اللكام التي تمتد من مرعش في الشمال وحتى مصب نهر العاصي عند السويدية اذ يفصل مجرى نهر العاصي بينها وبين جبل الاقرع الذى يقع بين مجرى النهر ونهر الكبير الشمالي (٢) ، ثم تمتد جبال النصيرية بين نهر الكبير الشمالي ونهر الكبير الجنوبي الذى يفصلها عن جبال لبنان الغربية . وتمتد سلسلة لبنان الغربية الى الجنوب من مجرى نهر الكبير الجنوبي شمالا وحتى مجرى نهر الليطاني " القاسميه " في الجنوب حيث جبال عامله والجليل التي يفصلها سهل مرج ابن عامر عن الكرمل وجبال نابلس والقدس في الجنوب (٣) .

وقد ذكرت كتب الجغرافيا العربية جبال اللكام (٤) ، وجبل الاقرع الذى يطل على انطاكية (٥) ويسميه ابن العديم الجبل الاسود " وهو دون جبل اللكام " (٦) وكانت جبال النصيرية تنسب الى بهراء وتنوخ (٧) اضافة الى اسمها جبال النصيرية (٨)

---

١ – عبد السلام ج ١ ص ٥٨ – ٨٦ أنظر بوست ص ٤١٠ . (٢) عبد السلام ج ١ ص ٨٦ ، ٩٠ ، انظر بوست ص ٤١٠ . (٣) بوست ص ٤١٠ انظر عبد السلام ص ٨٦ ، ٩٠ .

(٤) انظر ابن خرداذبه ص ١٧٣ ، الاصطخرى اقاليم ص ٣٥ ، مسالك ص ٥٦ ، ابن حوقل ص ١٥٥ ، ياقوت ج ٥ ص ١١ ، ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ٥٦ ، قدامه الخراج " ذيل مسالك ابن خرداذبه " ص ٢٣٢ ، فنديك ص ١٢٢ (٥) ابن بطوطه ص ٨٢

(٦) ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ٥٣ (٧) الاصطخرى مسالك ص ٥٦ ابن حوقل ص ١٥٦ انظر خارطة الاصطخرى اقاليم ص ٣٥ وخارطة ابن حوقل ص ١٥٥

(٨) شيخ الربوة ص ٢٠٩ .

ويرى الاصطخرى ان السلسلة الغربية تشكل امتدادا جبليا على طول بلاد الشام (١) واهم سلاسله جبال النصيرية ولبنان (٢) ، يقول المقدسي ان كلما يقع شمال جبل لبنان انما هو جبل اللكام اذ يؤكد ان جبل لبنان واللكام اهم اقسام السلسله الغربية (٣) ويرى ان اكبر جبال الشام اللكام " طرسوس من ورائه وانطاكية من دونه " . (٤) ويطلق اسم جبل صديقا على جبل عامله الذى يتصل من الشمال بجبل لبنان ويقسع بين صور وقدس وبانياس وصيدا . (٤) .

وحين يتكلم ياقوت عن جبل لبنان يسمي اقسام السلسله الغربية عموما مع انه لا يميز بين جبال لبنان الغربية والشرقية ، فالجبل في فلسطين يسمى الحَمَلْ وفي الاردن الجليل وبدمشق سنير وبحلب وحماه وحمص لبنان ، ويتصل بانطاكية شمالا الى الثغور فيتسمى اللكام (٥) ، ويصف القزويني جبل لبنان بانه مطل على حمص ويسميه (٦) شيخ الربوة بجبل الزابود (٧) ، ويذكر أن جبل عامله تتصل بجبل لبنان من الجنوب (٨) وانه يقع الى الغرب من الغور مقابل الجولان وجبل الشيخ " الثلج " (٩) ، وهو من صفد ، وبالقرب من عامله يقع جبل جبع وجزين وتبنين (١٠) ، وتشكل جبال نابلس والقدس اخر السلاسل الغربية في الجنوب (١١) وقد سمي جبل القدس بطور زيتا (١٢) كما سمي جبل الخمر لكثرة كرومه . (١٣)

---

١ ـ الاصطخرى مسالك ص ٥٦ ، انظر ابن حوقل ص ١٥٦ (٢) شيخ الربوة ص ١٩٩
(٣) المقدسي ص ١٨٦ (٤) انظر المقدسي ص ١٨٦ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ ، فندبك ص ١٢٣ ، الدومنكي ص ٢١٤ (٥) ياقوت ج ٥ ص ١١ ، الدومنكي ص ٢١٤
(٦) القزويني ص ٢٠٨ انظر ابن خرداذبه ص ١٧٢ ، ابن بطوطه ص ٢١٤ ، ابن شداد ج ٢ ص ٣٥ (٧) شيخ الربوة ص ٢١١ (٨) شيخ الربوة ص ٢١١ ، الدومنكي ص ٥١ (٩) المقدسي ص ١٧٢ (١٠) شيخ الربوة ص ٢٠١ (١١) فندبك ص ١٢٤
(١٢) المقدسي ص ١٨٨ ـ ١٨٩ (١٣) الدومنكي ص [illegible]

٣ ـ اما الانهدام السورى الافريقي فيشكل واديا او انخفاضا طوليا على طول بلاد الشام من بحيرة العمق شمالا وحتى ايله مرورا بمجرى العاصي فالبقاع الى الغور والبحر الميت ووادى عربه . ويقع هذا الانهدام بين سلاسل الجبال الشرقية شرقا وسلاسل الجبال الغربية الى الغرب (١) وهو ضيق في الاغلب فيكون العرض الوسطي لسهل الغاب ١٢ كم (٢) [redacted] سهل البقاع بين جبال لبنان الشرقيـــة والغربية والمسافة بينهما ١٢ كم (٣) ، وقد سميت المنطقة بين ايله والحولة بالغور (٤) وسمي بالغور لانه عبارة عن " بقعة بين جبلين وسائر مياه الشام تنحدر وتجتمع فيكون منها نهر زخار " (٥) ، وبعض الغور من الاردن وبعضه من فلسطين (٦) ، ويفصل الغور بين جبال فلسطين في الغرب وجبال شرقي الاردن في الشرق (٧) ، وهو شديد الانخفاض بينهما ويستمر انحداره بالتزايد كلما اتجهنا جنوبا اذ تنخفض بحيرة طبريا ٢١٢ م عن سطح البحر (٨) بينما يبلغ الانخفاض اقصاه عند البحر الميت فيبلغ ٤٠٠ م تحت سطح البحر (٩) .

٤ ـ وتمتد سلاسل الجبال الشرقية على حواف الانهدام السورى الافريقي الشرقية . وتتميز هذه السلاسل بانها عبارة عن كتل جبلية متفرقة وخاصة في الشمال اذ تبدأ بجبل الاكراد "كرد طاغ" الذى يوازيه من الشرق جبل سمعان شمال غرب حلب (١٠) ويسمى عند الجغرافيين العرب جبل السماق (١١) والى الشرق منه يمر نهر قويق (١٢) . والى الجنوب وبموازاة سهل الغاب تظهر ثلاث سلاسل جبلية هي جبال الاعلى وباريشا والوسطاني (١٣) ويليها جنوبا جبل الزاوية التي تنتهي جنوبه المرتفعات الشرقية

---

١ ـ بوست ص ٤١١ (٢) عبد السلام ج ١ ص ١٣٤ (٣) بوست ص ٤١١ (٤) المقدسي ص ١٨٦ انظر لسترنج ص ٣٣ ـ ٣٤ ، الدومنكي ص ١١٤ ، الشهابي الزراعة ص ٣١ ، ويذكر ابن عبد الحق البغدادى ان الغور " بين القدس ودمشق اشهر بلاده بيسان وهي على جانبه ج ٢ ص ١٠٠٤ ، الدومنكي ص ١٧٧ (٥) الادريسي ص ٢ (٦) ابن حوقل ص ١٥٧ انظر ابو الفداء ص ٢٢٦ (٧) بوست ص ٤١١ (٨) عبد السلام ج ١ ص ٨٣ (٩) انظر كين ص ١٨ ، لامنس مقال " المذاكرات الجغرافية في الاقطار السورية " مجلة المشرق مجلد ١٠ لسنة ١٩٠٧ ص ٤٦٠ (١٠) عبد السلام ج ١ ص ١١٠ انظر فرحات ص ٦ وانظر Syria P; 25 ، (١١) انظر ابن حوقل ص ١٥٣ شيخ الربوة ص ٢٠٥ ، ابن العديم بغية مخطوط ص ٣٥ ، ياقوت ج ٢ ص ١٠٢ ، ابن عبد الحق البغدادى ج ١ ص ١٣ (١٢) Syria P; 25 (١٣) ابن الشحنه ص ١٦٦

في شمال بلاد الشام بهضبة حماه ـ سلميه ثم تتقطع المرتفعات الجبلية لتظهر من جديد في جبال القلمون (١) " سنير " وهي جبال لبنان الشرقية والتي تمتد نحو الجنوب الغربي حتى جبال الزبداني التي تشكل امتدادا لها ويليها جبل الشيخ " الثلج " ويبلغ طولها ١٧٥ كم من شمال النبك عند قرية حسيا في الشمال الشرقي حتى منطقة بانياس الحولة في الجنوب الغربي ويتراوح عرضها بين ٨ ـ ٢٢ كم وفيها اعلى قمة في جبال الشام وهي قمة جبل الشيخ التي يبلغ ارتفاعها ٢٨١٤ م . (٢)

ويطلق قدامه اسم جبل الثلج وسنير على جبال لبنان وهو لا يميز بين السلاسل الشرقية والغربية اذ ان سنير والثلج هي جبال قلمون والشيخ بينما ذكرهما قدامه كتكملة لجبال اللكام التي هي من السلاسل الغربية (٣) . كما يخلط شيخ الربوة بين جبل سنير وجبل الثلج فيجعلهما جبلا واحدا اذ يقول " فجبل سنير هو جبل الثلج " (٤) . والى الجنوب الشرقي من جبل الشيخ تمتد جبال الجولان التي يبلغ طولها ١٥ ـ ١٨ كم ولا يتجاوز عرضها ٣ ـ ٤ كم (٥) . ويفصل بين جبال الجولان وما يليها من جبال شرق غور الاردن نهر اليرموك (٦) الذي يصب في نهر الاردن جنوب بحيرة طبريا . والى الجنوب من اليرموك تمتد جبال عجلون التي تسمى ايضا جبل بني عوف (٧) ويليها جنوبا جبال البلقاء والشراه (٨) حيث يشكل جبل رم شرق ايله نهاية هذه السلسلة من الجبال الشرقية التي يسميها المقدسي بسيف البادية وتقع بين مآب وحلب (٩) .

---

١ ـ عبد السلام ج ١ ص ١١١ ، انظر ابن حوقل ص ١٦١ (٢) عبد السلام ج ١ ص ٨٣ ، ٩١ ـ ٩٢ ، انظر Syria P; 22 (٣) قدامه الخراج " ذيل ابن خرداذبه ص ٢٣٢ (٤) شيخ الربوة ص ٢٠١ انظر ابن خرداذبه ص ١٧٢ ، ابن حوقل ص ١٦١ (٥) عبد السلام ج ١ ص ١١٨ انظر المقدسي ص ١٨٨ ، ياقوت ج ٢ ص ١٨٨ Syria P; 23 ، (٦) انظر بوست ص ٤١١ ، فنديك ص ١٢٤ (٧) شيخ الربوة ص ٢٠١ (٨) ابو الفداء ص ٢٢٨ (٩) المقدسي ص ١٨٦ انظر لسترانج ص ٣٣ ـ ٣٤ ، الدومنكي ص ١١٤ .

يلي هذه السلسله بعض السلاسل الجبلية الداخلية في وسط بلاد الشام وقد تسمى الجبال الوسطى (١) واهم اقسامها جبال السلسله التدمرية والتي تمتد بين بلدة الضمير في الغرب والجنوب الغربي حتى واحة السخنه في الشمال الشرقي وطولها ٢٤٠ كم ويتراوح عرضها بين ٦ — ١٥ كم وهي اطول السلاسل الجبلية في الشام الا انها ليست اضخمها (٢) وتقع الى الشمال منها سلسلة جبال الشومرية — البلعاس — بشرى التي تمتد من الغرب الى الشرق ومتوسط عرضها حولي ٢٥ كم (٣) والى الشمال منها جنوب حلب يقع جبلا الحص وشبيت (٤) .

ويظهر جبل الريان جنوب السلاسل التدمرية وهو كتلة جبلية منفردة على شكل قبه متطاوله الى الشرق من جبال الجولان (٥) ويسمى احيانا جبل بني هلال (٦) وهو جبل العرب حاليا ويسميه المقدسي جبل بصرى (٧) .

والى الشرق من السلاسل الشرقية والسلاسل الداخلية تقع البادية بل ان سلاسل الجبال التدمرية واقعة في البادية فعلا ،

---

١ — عبد السلام ج ١ ص ١٠٦ (٢) عبد السلام ج ١ ص ١٠٢ ، انظر Syria P: 24-25

اذ يسميها سلسلة القلمون الثالثة (٣) عبد السلام ج ١ ص ١٠٦ ، انظر Syria P:24

(٤) Syria P: 24, 26 (٥) انظر عبد السلام ج ١ ص ١١٦ — ١١٧ ،

بوست ص ٢٠٤١ ، شيخ الربوة ص ٢٠٠ ، القيسمي ص ١١٢ ، انظر Syria P: 29-30

(٦) ابن عبد الحق ج ١ ص ٣١٢ ، انظر شيخ الربوة ص ٢٠٠

(٧) المقدسي ص ١٥١ .

المنـــــــاخ والامطـــــــار : ـ

ان الموقع الجغرافي لبلاد الشام وطبيعة التضاريس الارضية اذت الى تباين واضح في نماذج المناخ في البلاد ، اذ تتباين التضاريس الطبيعية بين ارتفاع شاهق قرب سطح البحر الى انخفاض كبير خلف الجبال يمتد عبر بلاد الشام من العمق حتى البحر الميت ، الى الصحراء القريبة نسبيا من البحر ، الامر الذى سبب تعدد المناخات في مساحة قليلة العرض (١) .

ومع ذلك فان مظاهر المناخ المتوسطي تبقى هي السائدة في بلاد الشام (٢) بالرغم من انها لا تسود بدرجة واحدة في شتى انحاء البلاد ، فهي في الساحل اكثر وضوحا منه في المرتفعات الجبلية حيث المناخ الجبلي المتوسطي في حين يظهر مناخ السهول في الهضاب الشرقية بينما يسود المناخ الصحراوى في البادية حيث تتناقص الرطوبة باضطراد ، وتزداد الصفة الحرارية القارية كلما ابتعدنا عن الساحل اذ يظهر بجلاء المناخ القارى في الغور والبقاع (٣) .

ومن هنا يمكن تمييز خمس نماذج مناخية مشتقة من مناخ البحر الابيض المتوسط وهي : ـ

١ ـ النموذج المتوسطي الساحلي وامطاره بين ٧٠٠ ـ ٨٠٠ ملم

٢ ـ النموذج المتوسطي الساحلي الجبلي وامطاره بين ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ملم

٣ ـ النموذج المتوسطي الجبلي ـ الهضبي القارى وامطاره بين ٣٥٠ ـ ٦٥٠ ملم

٤ ـ النموذج المتوسطي شبه الجاف " السورى " وامطاره بين ٢٠٠ ـ ٥٠٠ ملم

٥ ـ النموذج الجاف الصحراوى وامطاره اقل من ٢٠٠ ملم . (٤)

---

١ ـ عبد السلام ج ١ ص ٢٦٢ (٢) كين ص ١٢ (٣) كيندرو ج ١ ص ٣٤٥

(٤) عبد السلام ج ١ ص ٢٦٠ ـ ٢٦٢ ، انظر Syria P: 69-70

ويصف المقدسي بلاد الشام انها " اقليم متوسط الهواء الا وسطه من الشراه الى الحوله فانه بلد الحر ... واشد هذا الاقليم بردا بعلبك وما حولها ومن امثالهم قيل للبرد اين نطلبك ؟ قال : بالبلقاء . قال فان لم يجدك قال : بعلبك بيتي ... وكلما علا منه نحو الروم كان اكثر انهارا وثمارا وابرد هواءا " فهو يبرز مناخ الساحل والغور والمناخ الجبلي في المرتفعات . انظر المقدسي ص ١٧٩ .

وتتمتع سواحل الشام الشمالية والوسطى بافضل ميزات مناخ البحر المتوسط اذ يكون معدل المطر في الاسكندرونة ١٠٠٠ ملم ، وتتناقص كمية المطر في الجنوب فتبلغ في يافا ٥٥٠ ملم لتصل الحد الادنى عند رفح وهو اقل من ٢٠٠ ملم (١) . وهناك بعض الاختلاف في اوقات سقوط المطر بين الشمال والجنوب اذ تصل نسبة المطر في الشمال صيفا الى ٦٪ من معدل المطر السنوى بينما يكون المطر في الجنوب نادرا في الصيف ولا يتعدى $\frac{1}{6}$ ٪ من المعدل السنوى للمطر (٢) .

اما المناخ الجبلي فانه يسود في المرتفعات الجبلية العالية اذ يزيد معدل مطرها على ١٠٠٠ ملم (٣) ويكون شتاؤه بارد جدا وربما وصلت درجة الحرارة الى — ١٢ درجة مئوية ، اما الصيف فانه يكون معتدلا (٤) .

ويسود مناخ السهوب "الهضبي — الجبلي" في المنطقة الواقعة بين المرتفعات الجبلية والصحراء ، وامطاره كافية للزراعة البعلية في هذه المنطقـــة (٥) .

اما المناخ القارى شبه الجاف فيسود في الغور وامطاره بين ٢٠٠ — ٥٠٠ ملم ويعتدل فيه الطقس شتاءً فتزرع الارض ريا بينما ترتفع درجة الحرارة جدا في الصيف (٦) .

وفي بادية الشام يسود المناخ الصحراوى وتقل امطاره عن ٢٠٠ ملم ويتصف بالحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء ولا زراعة في هذه المنطقة سوى الواحات (٧) .

---

١ — كندرو ج ١ ص ٣٤٥ ، زكريا مفكرة ص ٢١ (٢) لامنس مقال "الاحوال الجوية في لبنان" مجلة المشرق مجلد ٨ لسنة ١٩٠٥ ص ٩ (٣) حميده ص ١٦ ، عبد السلام ج ١ ص ٢٦٢ ، الكيلاني ص ٧١ (٤) زكريا الريف ج ٢ ص ٢٤٨ — ٢٤٩ (٥) عبد السلام ج ١ ص ٢٦٢ ، زكريا المفكرة ص ٢٣ (٦) عبد السلام ج ١ ص ٢٦٢ زكريا مفكرة ص ٢٣ ، الشهابي الزراعة ص ٣١ (٧) زكريا الريف ج ١ ص ٢٩١ ، عبد السلام ج ١ ص ٢٦٢ .

أما سقوط الامطار في بلاد الشا م فانه يرتبط بالمنخفضات الجوية والكتل الهوائية والرياح الغربية ارتباطا وثيقا ، فالرياح الغربية وحدها تحمل المطر وهذا يقلل المطر كلما ابتعدنا عن البحر ، الا انه ليس كل الكتل الهوائيه القادمة من الغرب تجلب المطر بل يجب توفر شروط اخرى ، اذ ان توافق وصول الرياح والكتل الهوائيه المحملة بالرطوبة مع حلول الفصل البارد يسبب هطول المطر في الشتاء الذى يشكل الفترة الاساسية في هطول الامطار وتساقط الثلوج في المناطق الجبلية العالية . (١)

اذ ان بداية الامطار الاولى في الشام تكون في نهاية ايلول وخاصة في السواحل الشمالية بينما تكون الامطار عامة في الشهرين التاليين وتستمر فترة سقوط المطر بعد ذلك في كانون اول وثاني وشباط واذار . وابتداء من اواخر اذار تقل الامطار بشكل ملحوظ الى ان تنقطع في اواخر نيسان (٢) ، ومع ذلك فان امطار نيسان تحتفظ باهمية كبيرة للمزروعات حتى قيل " مطره في نيسان خير من الف سنان " ويستبشر الفلاحون خيرا بهذا المطر (٣) .

ان فصل المطر الحقيقي هو بين مطلع تشرين ثاني واذار ، ففصل الشتاء اذن هو فترة الامطار الاساسية في بلاد الشام وذلك بعكس مناخ البحر المتوسط حيث الصيف الحار الجاف والشتاء البارد الماطر (٤) ، ومن هنا يمكن تقسيم السنة الى فصلين فصل المطر وفصل الجفاف (٥) .

ومن اهم عناصر المناخ في بلاد الشام المنخفضات الجوية التي تأتيها من الغرب والشمال وتبدأ في تشرين ثاني وتبلغ عنفوانها في كانون اول وثاني وشباط اذ تجلب هذه المنخفضات الرطوبة والامطار شتاء ويبلغ عددها وسطيا ٢٦ منخفضا

~~١ — عبد السلام ص ٢٥١ ، انظر ص ٢٥٢ .~~

٢ — عبد السلام ج ١ ص ٢٤٢ ، مظلوم الثروة المائية في سوريا ص ٤ ، كين ص ١٢ الطاهر ص ١٣١ ، كيندروج ١ ص ٢٤٦ ، الشهابي الاشجار ص ١٢٣ ، زكريا ريف ج ٢ ص ٤٣ . (٣) الثمالبي خاص ص ٦٤ انظر عبد السلام ج ١ ص ٢٥٣ ، الطاهر ص ٣٦ . (٤) عبد السلام ج ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، (٥) الخير غوطة ص ٧٣ ، دمشق ص ٦٠ ، ( )

في العام تدخل مركز قبرص قادمة من الغرب . واذا تأخر مرورها فوق الاراضي الشامية او انخفض عددها كثيرا اثرت اثرا خطيرا على الزراعة في بلاد الشام ذلك العام (١) . اما اذا ما استمر وصول هذه المنخفضات المحملة بالامطار فان موسما زراعيا تنعم به البلاد ، اذ ينتج عنها سقوط امطار غزيرة قد تستمر اسبوعا كما تسقط الثلوج في المرتفعات الجبلية خاصة في الشمال والوسط ويخف سقوط الثلوج في جنوب الشام عامه ويكاد ينحصر في بعض المناطق الجبلية فقط .

الا ان توزيع المطر في بلاد الشام غير متساو ، اذ تسقط الامطار الغزيرة على الساحل والمناطق الجبلية المقابله للبحر بينما تحجب جبال اللكام " الامانوس" والنصيرية وجبال لبنان الغربية الرياح الرطبة القادمة من الغرب عن المناطق الواقعة الى الشرق من هذه الجبال مما يجعل نصيبها من الامطار قليلا حتى ان كمية المطر في منطقة النبك تصل الى اقل من ٢٠٠ ملم (٢) ، وهنا يبرز اثر الحواجز الجبلية .

ويظهر الفرق في توزيع المطر كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب ومن الغرب الى الشرق فالمطر يتناقص كلما اتجهنا نحو الجنوب ويلاحظ ذلك في الساحل كما يلاحظ الاتجاه غرب ــ شرق في الداخل . (٣) ، وهكذا فان نصيب جنوبي شرق الشام من المطر قليل على العموم ، حيث يصل معدل المطر شرق دمشق ــ النبك ــ سلمية الى اقل من ٢٠٠ ملم حتى يكون في البادية اقل من ١٠٠ ملم ، اذ لا زراعة هناك الا في الواحات (٤) ، ويمكن تحديد خط الحد الادنى للزراعة البعلية وهـــو ٢٥٠ ملم كالتالي : ــ

يبدأ الخط جنوب منطقة رفح ــ بئر السبع ــ الخليل ثم يمتد شرقا الى الجنوب من الشوبك ثم يتجه شمالا نحو الطفيلة ثم شرق خط مأدبا ــ عمان ــ جرش ويمتد شرقا ليصل الى الشرق من جبل الريان ثم الى دمشق ــ النبك ــ سلميه عابرا في الصحراء الى

---

٢ ــ كيندروج ١ ص ٣٤٦ ، مظلوم مقال الثروة المائية في سوريا ص ٣ ، بوست ص ٤١٢ حميده ص ١٦ ــ ١٨ ، عبد السلام ج ١ ص ٢٥٤ ، زكريا الريف ج ١ ص ١٠٨ ، (٣) كيندروج ١ ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦ ، كين ص ٢٠ (٤) زكريا الريف ج ١ ص ٢٩١ ، ٣٠٧

(١) عبد السلام ج ١ ص ٢٣١ ، انظر الخير غوطه ص ٧٢ ، دمشق ص ٥٠ ، زكريا الريف ج ٢ ص ٢٤٨ .

بالس (١) ، فالى الغرب من هذا الخط تجود الزراعة البعلية بفضل سقوط الامطار بمقدار كاف للزراعة بعكس المناطق شرق الخط لندرة المطر وتغلب المناخ الصحراوى فلا زراعة هناك الا في اماكن توفر مياه الرى .

اما درجات الحرارة فيلاحظ ان الفروق الحرارية في الشام عموما كبيرة بين الصيف والشتاء (٢) ، اذ تنخفض درجة الحرارة الوسطية في كانون ثاني في الساحل والداخل والجبال بينما ترتفع كثيرا في الصيف عما كانت عليه شتاء في كل البقاع الشاميه (٣) .

والرياح الغالبة على بلاد الشام هي الرياح الغربية والشمالية الغربية التي تسبب سقوط المطر كما تهب الرياح الشرقية القادمة من الصحراء وهي ذات اثر ضار (٤)

ويلاحظ ان الزراعة البعلية في بلاد الشام يغلب عليها التذبذب والتقلب نظرا لغلبة هاتين الصفتين على امطار بلاد الشام ومن ناحية اخرى فان كيفية نزول الامطار لها اثر كبير على المواسم الزراعية . اذ ان تقلب الامطار يجعل للخطر سهم وافر في التحكم بمصير الزراعة ، اذ ربما سقط المطر بمعدل جيد مما يبشر بموسم جيد وربما لم يسقط نصف المعدل العادى وهنا تكون النتيجة اكثر سوءا بالنسبة للفلاحين ، الامر الذى يجعل المواسم الزراعية مضطربة (٥) ، اذ نجد الفرق بين السنين الخصبة الجيدة والسنين الجاف الشحيحة يصل الى الضعف في الساحل وقد تكون النسبة ٥ — ٦ في الداخل (٦) . وهنا يحل القحط في البلاد ، اذ لا يمكن ان تجود الزراعة التي جل اعتمادها على مياه الامطار الا اذا سقطت كميات وافرة من المطـــر

---

١ — انظر Syria P: 83 (٢) انظر عبد السلام ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٤٠

٣— انظر عبد السلام ج ١ ص ٢٤٢ (٤) الخير دمشق ص ٥٨ — ٦٠

انظر عبد السلام ج ١ ص ٢٤٨ ، (٥) كين ص ١٧

(٦) عبد السلام ج ١ ص ٢٥٦ .

وخلال الموسم الشتوى بالذات بالنسبة لبلاد الشام .

وخير الامطار ما سقطت في فترات متباعدة نسبيا خلال الموسم على ان تكون كل مرة كافية لرى الارض حتى المرة التي تليها . اما اذا سقط المطر في فترة واحدة فان ذلك يقلل من اهميته حتى ولو كان غزيرا جدا فيجب ان تسقط الامطار مبكرة اى في تشرين الاول ويستمر سقوطها على فترات حتى اواخر اذار ، اذ ان توزيع المطر خلال الموسم هو الذى يؤدى احسن النتائج (١) .

وبلاد الشام بشكل عام تعتمد في زراعتها على المطر فقد ذكر المقدسي " ان الشام بلد يمطر في كل سنة فلا يتعطل الزرع فيه الا انه ربما اخصب وربما اجدب" (٢) كما يذكر النويرى ان " قانون البلاد الشامية مبني على نزول الغيث ووقوع الامطار في ابانها واوقات الاحتياج اليها " (٣) ، اما المناطق التي تتوقف زراعتها على المطر اكثر من غيرها فهي فلسطين بشكل عام (٤) ، ويماثلها في ذلك كل جنوب الشام وكذلك منطقة حوران وحمص (٥) ثم منطقة معرة النعمان (٦) ، ومنبج (٧) وتشابهها منطقة قنسرين وحلب بشكل عام (٨) ، كما تعتمد الجولان اعتمادا كليا على المطر (٩) ولا تكاد منطقة السويداء تعرف زراعة الرى ، اما في حمص وحماه (١٠) واللاذقية ودرعا فلا نسبة بين زراعة الرى والبعل (١١) ويجب ان نتذكر دوما ان بلاد الشام تقع ضمن نطاق صلاة الاستسقاء المعهودة في كل ديانات المنطقة منذ القدم (١٢) .

---

١ — الخير غوطه ص ٨٣ دمشق ص ٨٦ ، كرد علي غوطه ص ١٧ ، (٢) المقدسي ص ٢١٢ — ٢١٣ ، (٣) النويرى ج ٨ ص ٢٥٥ ، (٤) الاصطخرى مسالك ص ٥٦ ، ٥٧ ، ابن حوقل ص ١٥٨ ، انظر البلخي ج ٨ ص ٨٧ ، ابو الفداء ص ٢٢٧ ، القلقشندى ج ٤ ص ٨٦ ، ١٠٣ ، ابن الوردى خريدة ص ٣٩ ، (٥) الاصطخرى اقاليم ص ٣٤ ، ابن حوقل ص ١٦٢ ، ١٧٠ ، الميسمي ص ١١٤ ، (٦) ابن حوقل ص ١٦٤ ، ابو الفداء ص ٢٦٥ ، (٧) الاصطخرى اقاليم ص ٣٤ ، ابن حوقل ص ١٦٦ ، ابو الفداء ص ٢٧١ (٨) ابو الفداء ص ٢٣١ ، القزويني ص ١٨٣ ، ٢٠٧ ، البغدادى ج ١ ص ٤١٧ (٩) زكريا الريف ج ٢ ص ٥٢٩ ، (١٠) المقصود سهول شرق حماه وليست حماه نفسها (١١) حميده ص ٣٧ ، (١٢) حميده ص ٢٧ ، انظر عبد السلام ج ١ ص ٢٥١ .

د - الميـــــاه فـي بـــلاد الشـــــام : -

تفتقر بلاد الشام للمجارى المائيه الدائمه التي يمكن الاستفادة منها في الرى ولذا كان للامطار اهمية كبيرة في تقرير مصير المواسم الزراعية فيها . بل ان الانهار الدائمة الجريان مدينة بدوامها لسقوط الثلوج وذوبانها في الصيف كنهر العاصـــي وبردى والاعوج ونهر الاردن وفيما عداها فان المجارى المائيه في الشام قليلة الاهمية ومعظمها سيول مؤقته تمتلئ بالمياه بعد سقوط الامطار على الجبال الغربية واللكام وهي تجف صيفا فيما عدا النهر الكبير الشمالي جنوب مدينة اللاذقية ونهر السن الى الجنوب من بانياس ونهر الكبير الجنوبي الذى يصب في خليج عكار وكلها تنبع من الجبال الساحلية وتصب في البحر المتوسط (١) ، وكذلك حال نهر الليطاني الذى يخرج من طرف جبل الباروك الشرقي ويصب في البحر المتوسط شمال مدينة صور ويسمى عند مصبه نهر القاسميه (٢) ، اما نهر الفرات فهو نهر داخلي يشكل الحدود الشرقية لبلاد الشام ومع انه عظيم الفائدة في العراق الا انه ليس كذلك في سوريا .

اما مصادر المياه في بلاد الشام فهي : الانهار ، الينابيع والعيون والقنوات ، والبحيرات :

١ - الانهار : ولا نجد ما يستحق الاسم عدا العاصي وبردى والاردن التي تبدو موزعة في الشمال والوسط والجنوب وما عداها فانها مجارى مياه في الاغلب تجف في الصيف او الخريف او تصبح رشحا وهذا ينطبق بصورة عامة على انهار القسم الجنوبي من بلاد الشام .

اما نهر العاصي فقد اطلقت عليه اسماء كثيرة مثل : الارنط او الارند ، العاصي ، الميماس ، نهر انطاكية ، نهر حماه ، نهر الرستن والمقلوب . (٣) ويصفه ابن خرداذبه بانه ينبع من اراضي دمشق ويجرى الى الجنوب (٤) ويصب في البحر الرومـــي (٥)

---

١ - عبد السلام ج ١ ص ٢٩٤ (٢) انظر الخارطة شكل ١ ، (٣) انظر اليعقوبي بلدان ص ٣٢٤ ، ابن خرداذبه ص ١٧٧ ، المسعودى تنبيه ص ٥٢ ، ابن فضلان ص ١٩ ، الادريسي ص ١٤ ، ابن العديم بغية ص ٣٩٦ ، ياقوت ج ١ ص ١٦٢ ، شيخ الربوة ص ٢٠٧ ابو الفداء ص ٢٤٩ ، ابن عبد الحق ج ١ ص ٦١ ، العمرى ج ١ ص ٨١ ، القلقشندى ج ٤ ص ٨٠
(٤) الصحيح انه يجرى نحو الشمال (٥) ابن خرداذبه ص ١٧٧ ، انظر ياقوت ج ١ ص ١٦٢ ، شيخ الربوة ص ٢٠٧ ، ابن عبد الحق ج ١ ص ٦١ ج ٢ ص ٩١٠ ، لسترانج ص ٧٤ ، فنديك ص ١٢٥ ، الغزى ج ١ ص ٢٧ .

ويعدد المسعودي المدن التي يمر بها " وانه يشق بحيرة قدس وبحيرة افاميه ويصب اليه بالقرب من انطاكية نهر الرقيا الخارج من بحيرة جندارس" (١) .

ويعلل ابو الفداء تسميته بالمقلوب لجريانه من الجنوب الى الشمال ويبين انه سمي بالعاصي " لان غالب الانهر تسقي الاراضي بغير دواليب ولا نواعير بل بأنفسها تركب البلاد ونهر حماه لا يسقي الا بنواعير تنزع منه الماء " (٢) ، ثم يعدد روافده فيقول " يصب فيه عدة انهر احدها ينبع قرب افاميه واخر من شمالها ويسمى بالكبيـــر ثم الاسود ويغرا وعفرين " (٢) ، ولا تصب الانهر الاخيرة فيه مباشرة بل تصب في بحيرة العمق ومنها يتفرع مجرى مائي يشكل رافدا للعاصي هو نهر العاصي الصغير (٣) . ويكرر القلقشندي كلام ابي الفداء (٤) .

وينبع نهر العاصي من البقاع الشمالي المحصور بين سلسلتي لبنان الغربية ولبنان الشرقية من مجموعة من الينابيع اهمها عين الزرقا (٥) ، في منطقة الهرمل وسميت العين الرئيسية التي تمد النهر بمياه منبعه بعين اللبوة وهي قرب بعلبك . (٦) وبعد مجموعة الينابيع هذه يسير النهر شمالا نحو حمص مخترقا بحيرتها فيمر بالرستن حيث ينحني نحو حماه مخترقا سهلها شمالا الى شيزر ثم غربا ليعود مرة اخرى لاتجاه الشمال الصحيح حيث يمر من وسط سهل الغاب ويحافظ على اتجاهه حتى يصل مقابل جبل الاقرع فينكسر جنوب بحيرة العمق مكونا شكل نصف دائرة ويلتقي هنا بآخر روافده الذي يسمى بنهر العاصي الصغير (٧) والخارج من بحيرة العمق . ثم يتجه غربا الى حيث يصب قرب السويدية في البحر المتوسط (٨) ويلاحظ ان اكثر من ثلاث مدن هامه في الشام تقع على مجرى هذا النهر وهي حمص وحماه وانطاكيه . (٩)

---

١ ــ المسعودي التنبيه ص ٥٢ ، (٢) ابو الفداء ص ٢٤٩ ، (٣) عبد السلام ج ١ ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ ، (٤) القلقشندي ج ٤ ص ٨٠ ، انظر العمري ج ١ ص ٨١ ، (٥) عبد السلام ج ١ ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ ، (٦) انظر اليعقوبي البلدان ص ٣٢٥ ، شيخ الربوة ص ٢٠٧ ابو الفداء ص ٢٢٩ ، العمري ج ١ ص ٨١ ، القلقشندي ج ٤ ص ٨٠ ، فرحات ص ٢٠ ٧ــ عبد السلام ج ١ ص ٢٩٣ ، (٨) انظر الخارطة شكل "١" ، (٩) عبد السلام ج ١ ص ٢٩٣ .

والى الجنوب الشرقي من منبع نهر العاصي تقع منابع نهر بردى الذى سمي قديما باسم " ابانه " (١) ، ونظرا لاثره الكبير في احياء المنطقة التي تقـــع على ضفتيه والتي سميت بالغوطة (٢) ، فقد نال اهتماما اكثر من سواه من انهار الشام ، ويرد في وصفه بانه ينبع قرب الزبداني وانه يسقي الغوطة (٣) ، ويذكـر الاصطخرى انه يبدأ عند الفيجه ثم يجرى في شعب تتفجر منها العيون ، وبعد ان يعبر دمشق فانه يروى قرى الغوطة (٤) .

اما ابن عساكر فانه يذكر توسيع نهر يزيد ، زمن يزيد بن معاويه ويعدد فروع بردى وفيما يقوله فائدة كبيرة عن كيفية استغلال النهر في العصر الاموى (٥) .

وينبع نهر بردى من حفرة الزبداني على ارتفاع ١١١٥ م وتزداد غزارة مياهه عند انصباب مياه نبع عين الفيجه فيه (٦) ، وتشكل الثلوج والامطار الساقطه اليه من جانبي مجراه زيادة على العيون الكثيرة على جانبيه روافده الاساسية اذ تتواجد العيون على جانبيه من الزبداني حتى دمشق (٧) . ويبلغ طوله من منبعه الى مصبه في بحيرة العتيبه ٧١ كم (٨) .

---

١ ــ منصور ص ١٠٢ ، فرحات ص ٣١ ، (٢) انظر الخوارزمي مفيد العلوم ص ١٢٤ ، (٣) انظر ابن خرداذبه ص ١٧٧ ، البلخي ج ٤ ص ٥٩ ، سهراب ص ١٤٤ ، شيخ الربوة ص ١٩٤ ، ١٩٨ ، ابو الفداء ص ٢٣٠ ، العمرى ج ١ ص ٨١ ، القلقشندى ج ٤ ص ٩٥ ، وانظر ايضا ابو البقاء ص ٢٣ ، ٩١ ــ ٩٣ ، المنيني ص ٧٢ ، (٤) الاصطخرى مسالك ص ٥٩ ، اقاليم ص ٣٢ ، انظر ابن حوقل ص ١٦١ ، ابن شداد ج ٢ ص ١١ والجزء الخاص بدمشق ص ١٤ ، بدران ص ٣٩٧ ، وقد وصف ياقوت نهر بردى وصفا شاملا انظر ياقوت ج ١ ص ٣٧٨ ، ابن عبد الحق ج ١ ص ١٨١ ، لسترانج ص ٧٣ ، (٥) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، دمشق ج ٢ ص ١٤٥ ــ ١٥٢ ، انظر ايضا ابن شداد ج ٢ ص ١٣ ــ ١٨ ، بدران ٣٩٥ ــ ص ٣٩٧ ، ص ٤٠٧ ــ ٤٠٨ ، (٦) عبد السلام ج ١ ص ٣٠١ ، (٧) انظر الخير دمشق ص ١٠٦ ، زكريا الريف ج ٢ ص ٢٣٩ ، (٨) عبد السلام ج ١ ص ٣٠٢ ، زكريا الريف ج ٢ ص ٢٣٩ .

ويشارك بردى في رى اراضي جنوب الغوطة نهر الاعوج الذى ينبع من جبل الشيخ ويصب في بحيرة الهيجانه جنوب شرق دمشق (١) ، وكان يسمى قديما بنهر " فرفر " (٢) ، ويزداد جريانه صيفا عند ذوبان الثلوج وهذا ما لاحظه شيخ الربوة اذ يقول " يجتمع عند تحليل الثلج ومن عصارات المياه والمواصي فيكون نهرا كبيرا (٣) " ، هذا في حين ان بردى يعتمد بالدرجة الاولى على العيون الغزيرة والكثيرة التي تمده بمياهها (٤) .

اما نهر الاردن فهو النهر الوحيد الذى يصلح للرى في منطقة جنوب الشام حيث يدوم جريانه بفضل ذوبان الثلوج عند منابعه وهي سفوح جبل الشيخ والجولان مما يمكنه من رى الاراضي على ضفتيه طوال العام وهو بعد بردى اهم انهار الشام في ايجاد زراعة مروية في حوضه كما هو حال بردى . ويشترك الاردن مع بردى في ميزة اخرى هي انهما نهران داخليان فيصب الاردن في البحر الميت وبردى في بحيرة العتيبه شرق دمشق . ويشترك مع العاصي بانه يخترق بحيرات في طريقه اذ يمر العاصي ببحيرات حمص وافاميه بينما يمر الاردن بالحولة وطبريه (٥) .

يذكر المسعودى ان نهر الاردن يبدأ في الحولة ويصب في البحيرة المنتنه (٦) بينما يبين العمرى ان اصله من مرج عيون والهرماس ونهر بانياس (٧) . ويعدد الادريسي روافد نهر الاردن " اوله من بحيرة طبريه يأخذ من طبريه وجميع الانهار تصب اليه مثل نهر اليرموك والحد وانهار بيسان وما ينصب من كور مآب وجبال بيت المقدس وجبل قبر ابراهيم عليه السلام وجميع ما ينصب ايضا من نابلس فانه يجتمع الكل منها حتى يقع في بحيرة زغر " (٨) ويذكر شيخ الربوة ان نهرى اليرموك الخارج من جبل الريان (٩) والزرقاء الخارج من بلاد حسبان يصبان في الاردن (١٠) .

---

١ ـ عبد السلام ج ١ ص ٣٠٤ ، انظر فنديك الذى يخلط بين نهر الاعوج والموجا ص ١٢٧
(٢) منصور ص ١٠٤ ، فرحات ص ٣٢ ، (٣) شيخ الربوة ص ١٩٨ ، (٤) عبد السلام ج ١ ص ٣٠٥ ، (٥) انظر الخارطة شكل " ١ " (٦) المسعودى التنبيه ص ٦٤ ، شيخ الربوة ص ١٠٢ ، انظر الادريسي ص ٢ ، الدومنكي ص ١٧٨ ، ويقع سهراب في الخطأ عندما يقول عن نهر الاردن " اول نهر الاردن من بحيرة طبريا يمر بجبل الشيخ ثم بين جبل الشيخ وجبل سنير ثم يمر الى قرب انطاكيه يسقي ضياعها ويصب فيه نهر الرستن وهو نهر حمص يمر فيسقي الضياع ويصب في نهر الاردن نهر انطاكيه " ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، (٧) العمرى ج ١ ص ٨٢ ، القلقشندى ج ٤ ص ٨١ (٨) الادريسي ص ٢
(٩) انظر Syria P: 51-52 ، اذ تغذيه عدة اودية قادمة من جبل الريان وسهل حوران (١٠) شيخ الربوة ص ١١٥ ، انظر الدومنكي ص ١٧٨ ، العمرى ج ١ ص ٨٢ منصور ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

ويطلق المقدسي اسم " وادى كنعان " على وادى الاردن ويكرر قوله العمرى (١) ويبين ياقوت اهميه النهر في الرى حيث يسقي ضياع جند الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق سور كما يسقي ضياع الغور • (٢)

وتشكل انهار الحاصباني وبانياس والدان الموارد الاصلية من نهر الاردن حيث ينبع الاول من عين شمال حاصبيا وينبع بانياس من سفح جبل الشيخ بينما ينبع الدان من اسفل تل القاضي حيث يلتقي مع بانياس ثم يسيران معا الى ان ينضما لنهر الحاصباني فيؤلف الجميع نهر الاردن الذى يصب في الحولة ثم يتابع سيره مخترقا بحيرة طبريا فيرفده نهر اليرموك ثم يتجه جنوبا في الغور اذ يرفده عند داميه نهر الزرقاء ثم يتابع سيره جنوبا حتى يصب في البحر الميت •

هذه الانهار الهامه في بلاد الشام وكانت ذات فائدة في الزراعة والرى ، وهناك نهر ابي فطرس " العوجا " الذى ينبع من جبال نابلس ويصب في البحر المتوسط شمال يافا (٣) ، ويذكر هذا النهر مع ضآلة اهميته في الرى لما جرى عليه من حوادث هامه ايام نجاح الثورة العباسية ضد الامويين • اما نهرا سيحان وجيحان اللذان يخرجان من بلاد الروم ويصبان في البحر المتوسط (٤) ، فلم تكن لهما هذه الاهميه لانهما في منطقة حدود لم تكن فيها زراعة مزدهرة في العصر الاموى نظرا لاستمرار المعارك فيها ،

ومن الانهار التي تذكر قويق ، الذهب ، الساجور وكلها تقع في منطقة حلب •
اما نهر قويق فهو ينبع الى الشمال من مرج دابق ويتجه نحو الجنوب الى حلب ثم قنسرين ويصب في بحيرة المطخ (٥) ، ويصفه ابن الشحنه بقوله " منبعه من مخرجان احدهما في قرية الحسينية بالقرب من اعزاز ثم سنياب من عيون حولها تسير حتى يجتمع النهران في اعزاز فيجرى الى دابق ويمر بحلب فتمده عيون كثيرة قبل وصوله اليها • • • وبعد ان يتجاوز حلب ترفده عين المباركه فيقوى ويسقي في طريقه مواضع كثيره حتى ينتهي الى قنسرين " (٦) •

---

١ ـ المقدسي ص ١٦١ ، العمرى ج ١ ص ٨٢ (٢) ياقوت ج ١ ص ١٤٧ ، انظر ابن عبد الحق البغدادى ج ١ ص ٥٤ • (٣) ياقوت ج ٣ ص ٣١٥ ، ابن عبد الحق ج ٣ ص ١٣٩٩ ، لسترانج ص ٧١ ، وليس كما ذكر ابو الفداء ص ٢٤٨ ، والقلقشندى ج ٤ ص ٨١ ، منصور ص ١٠٦ من انه ينبع من جبال الخليل • (٤) ابن خرداذبه ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، (٥) انظر شيخ الربوة ص ١١٤ ، ابن خرداذبه ص ١٧٧ ، البلخي ج ٤ ص ٥٩ ، ابن شداد ج ٢ ص ١٣٨ عبد السلام ج ١ ص ٣٠٥ ، (٦) ابن الشحنه ص ١٣٤ ، ١٣٥ •

وهو ينقطع او يكاد في الصيف (١) . لذا فان فائدته للزراعة محدودة لان الحاجة للرى تكون على الاكثر في الصيف .

اما نهر الذهب فيجرى من شرقي حلب وينتهي الى سبخه يحمل منها الملح وسمي بالذهب لان " اوله بالقبان واخره بالكيل " ومعنى ذلك انه يزرع على اولـــه الحبوب والفواكه " مما يباع بالرطل واخره الملح الذى يباع بالكيل " (٢) . وهناك ايضا نهر الساجور الذى يمر قرب منبج ويصب في الفرات (٣) .

وتنتشر على طول السهل الساحلي انهار قليلة الاهمية للرى وهي في الاغلب تسير من الشرق الى الغرب وتنبع غالبا من سفوح الجبال الغربية وتخترق السهـــل الساحلي وتصب في البحر المتوسط . وبعضها انهار داخلية ترفد الانهار الثلاثة الهامه وهي من الشمال الى الجنوب عفرين ، الاسود ، يغرا ، وتصب في بحيرة العمق . ونهر الباوبر وقاديشا ويصبان في ساحل طرابلس ونهر الجوز وابراهيم والكلب وانطلياس وبيروت والدامور والاولي والزهراني وكلها تصب ما بين طرابلس وصيدا وهناك بعض الانهار القصيرة في فلسطين وهي بالوديان اشبه (٤) .

٢ ــ اما الينابيع والعيون فتبدو اهميتها في الشام لكونها تشكل موارد ا هامه للانهار حيث نبع نهر السن وينابيع بردى وعيون الفيجه وشيزر وعين قلعة المضيق وغيرها من ينابيع الغاب . (٥)

وتكثر الينابيع في سفوح الجبال الساحلية والجبال المشرفة على غور الغاب والروج والعمق اذ يعتبر غور الغاب وحافته الشرقية والغربية من مواطن الينابيع الهامه ، اذ تتواجد الينابيع على شكل خطين متوازيين عند اقدام الجبال الساحلية المشرفة على الغاب من الغرب وعند اقدام جبل الزاويه المطل على الغاب من الشرق (٦) .

---

١ ــ ابن الشحنه ص ١٣٥ ، ويتكلم ابن بطوطه عن حلب فيقول " على شاطئ نهرها وهو النهر الذى يمر بحماه ويسمى العاصي " والصحيح ان نهر حلب هو قويق . (٢) ابن العديم بغية مخطوط ص ٢٨٥ ، ابن الشحنه ص ٤٧ ــ ٤٨ ، (٣) شيخ الربوة ص ١١٤ العمرى ج ١ ص ٨٠ ، (٤) للمزيد عن هذه الانهار انظر فرحات ص ١٩ ــ ٣٢ ، وفندبك ص ١٢٥ ــ ١٢٨ ، عبد السلام ج ١ ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ ، لامنس مقال " لمحة اقتصادية في المجارى اللبنانية " مجلة المشرق مجلد ٧ لسنة ١٩٠٤ ص ١٠٤٧ ــ ١٠٤٩ ، (٥) عبد السلام ج ١ ص ٢٨٤ ، (٦) عبد السلام ج ١ ص ٢٨٥ .

وتغذى ينابيع منطقة الزبداني وجبل الشيخ نهرى بردى والاعوج كما تنبثق من اقدام جبل الشيخ اغزر الينابيع المشكلة لمجرى نهر الاردن الاعلى وتكثر الينابيع ايضـــا على حافة هضبة الجولان المشرفة على بحيرتي الحولة وطبريا (١) ،

وهكذا فان الينابيع والعيون تتركز في الشمال بالدرجة الاولى ثم في الوسط بينما تكون نادرة في الجنوب .

ويذكر ابو البقاء ان بنواحي دمشق " ٣٦٠ " عينا تجرى الى القبلة ويدعى انه رآها بنفسه وشرب من اغلبها (٢) ، ولا تكاد قرية من قرى الغوطة تخلو من العيون زيادة على مياه بردى (٣) . اما منطقة الزبداني فهي اكثر بلاد الشام ينابيع فما من قرية الا وفيها نبع او اكثر (٤) . وتوجد بعض الينابيع في نواحي النبك وقاره (٥) ، ولهذه العيون اهمية كبيرة في رى الاراضي الزراعية من حولها . وفي منطقة معرة النعمان كثير من العيون (٦) . وفي منطقة حلب يعتمد نهر قويق في تموينه على كثير من العيون حول سنياب وقبل وصوله حلب ، كما ترفده عين المباركه بعد تجاوزه حلب (٧) ، وتوجد العيون حول بزاغه وحيلان وفي وادى بطنان ومنطقة حلب (٨) وفي انطاكيه ودربساك وحارم والى الجنوب في بانياس ومصياف وجوسيه (٩) ، وكذلك في بعلبك (١٠) . وتكثر العيون في جبل عامله (١١) وجبل الريان (١٢) .

---

١ ـ عبد السلام ج ١ ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦ (٢) ابو البقاء ص ٩٢ (٣) زكريا الريف ج ١ ص ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، انظر ابن الوردى خريده ص ٣٨ ، (٤) زكريا الريف ص ج ١ ص ٤٥ ج ٢ ص ٢٤٤ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، (٥) ياقوت ج ٤ ص ٢٩٥ ، ج ٥ ص ٢٥٨ ، ابن عبد الحق ج ٣ ص ١٠٥٦ ، ١٣٥٤ ، ١٤٧٢ ، (٦) الجندى ج ١ ص ٤١٧ ــ ٤٢٤ ، (٧) ابن الشحنه ص ١٣٤ ــ ١٣٥ ، (٨) ياقوت ج ١ ص ٤٠٩ ، ٤٤٧ ، ج ٢ ص ٣٣٢ ج ٤ ص ٤٧٠ ، شيخ الربوة ص ٢٠٥ ، ابن عبد الحق ج ١ ص ١٩٢ ، ص ٢٠٤ ، ٤٤٢ ، ج ٢ ص ١١١٧ ، ابن جبير ص ٢٣٧ ، (٩) ياقوت ج ٤ ص ٤٧٠ ــ ٤٧١ ، ج ٢ ص ١٨٥ ابن عبد الحق ج ٢ ص ٢٩٢ ، ابو الفداء ص ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٠٩ ١٢٢ ، ١٤٤ ــ ١٤٥ ، ابن الشحنه ص ١٦٦ ــ ١٧٠ ، (١٠) ابو الفداء ص ٢٥٥ ، القلقشندى ج ١ ص ١٠٩ ، (١١) المقدسي ص ١٦٢ ، شيخ الربوة ص ٢١١ ، (١٢) شيخ الربوة ص ٢٠٠ .

وفي الثغور كثير من العيون والينابيع (١) . وذكر ناصر خسرو عيون قيساريه (٢) ، كما توجد عيون كثيرة في اللجون (٣) ، وجنين (٤) ، وفي جبال السلط وعجلون (٥) ، ويرد ذكر عين السلوان في القدس وتسقي جنانا عظيمه (٦) ، بينما يذكر الاصطخرى ان عيون بيت المقدس لا تتسع للزروع (٧) ، وتوجد العيون الكثيرة في الشوبك تسقي الزروع والاشجار (٨) .

٣ ـ اما القنوات فهي قليلة بشكل عام في بلاد الشام وتكثر في منطقة دمشـــق والنبك وسلميه ومنبج وتكثر ايضا في وادى العاصي وسهول حلب (٩) ، ولا يمكن استعمال القنوات للرى الا في الاماكن المنحدرة انحدارا خفيفا (١٠) ، وتبدأ القناة عادة عند اول احد الينابيع حيث يجر هذا النبع بواسطة القناة الذى يراد ايصال الماء اليه وهي نفق محفور داخل الارض بانحدار خفيف على عمق ١٥ ـ ٢٠ م (١١) ، سواء كانت للشرب او للرى ليسهل جريان الماء فيها .

ويعدد ابن عساكر (١٢٩ قناة) في دمشق و " ١٩ " قناة في ظاهر البلد (١٢) ويؤيد ذلك شيخ الربوة اذ يقول عن قنوات دمشق انها " تحت الارض كلها حتى لو حفر الانسان اينما حفر من ارضها وجد مجارى الماء تحتها " (١٣) ، ويعدد ابن شداد " ١٣٤ " قناة في دمشق و " ٢٠ " قناة حولها ويقول عن بعضها انها معطله . (١٤)

---

١ ـ الاصطخرى مسالك ص ٥٩ ، اقاليم ص ٣٤ ، ابن حوقل ص ١٦٠ ، ابو الفداء ص ٢٤٣ ابن شداد ج ٢ ص ١٣٦ (٢) خسرو ص ١٨ ، (٣) القزويني ص ٢٥٩ ، ابن عبد الحق ج ٢ ص ٥٦٦ ، (٤) ياقوت ج ٢ ص ٢٠٥ ، ابن عبد الحق ج ١ ص ٣٦٨ ، (٥) ابن بطوطه ص ٦١ ، ابو الفداء ص ٢٤٥ ، (٦) المقدسي ص ١٧١ ، خسرو ص ٢١ القزويني ص ١٦٣ ، (٧) الاصطخرى اقاليم ص ٣١ ، (٨) شيخ الربوة ص ٢١٣ ، ابو الفداء ص ٢٤٧ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٥٧ ، (٩) حماده ص ١٠٩ ، مظلوم ص ٧ ، (١٠) حماده ص ١٠٩ ، (١١) مظلوم ص ٧ ، (١٢) ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ١٥٤ ـ ١٦٢ ، (١٣) شيخ الربوة ص ١٩٣ ، (١٤) ابن شداد ج ٢ ص ١٩ ـ ٣٢ .

ويذكر ياقوت ان من خصائص دمشق " جريان الماء في قنواتها " (١) ، وتروى القنوات مساحات كبيرة من اراضي الغوطه (٢) ، ويذكر البلاذرى ان سليمان بن عبد الملك لما بنى الرمله " احتفر لاهلها قناتهم التي تدعى بَرَدَةْ" (٣) .

وكانت لاهل صيدا قناة تجرى اليهم من الجبل (٤) ، اما منبج فهي كثيرة القني السارحه والبساتين (٥) ، ومثلها قنوات سلميه (٦) ، وكانت هناك قناة تأتي من سلميه الى افاميه (٧) . ويذكر ابن شداد قناة حلب التي اصلحت " زمن عبد الملك بن مروان وهي قديمة من زمن الرومان " وكانت للشرب فقط ثم اصبحت ذات فائدة في رى البساتين زمن الملك الظاهر بيبرس عندما وسعت سنة ٦١٥ هـ ، (٨) ويذكر الشهابي ان منطقة الباب ومنبج تروى بعدد من القنوات القديمه وكذلك منطقة الحمراء ومنطقة شرق العاصي (٩) ، اما قنوات منطقة النبك وجيرود فهي كثيرة وذات اهمية في رى الاراضي شرق جيرود . (١٠) اهمها قناة النبك ، المخرج ، الصالحية . (١١) وكانت تسقي اراضي تدمر بواسطة قناة هناك (١٢) ، واقيمت قناة قديمه على نهر بيروت للرى والشرب معا (١٣) .

---

١ — ياقوت ج ٢ ص ٤٦٤ — ٤٦٥ (٢) زكريا الريف ج ١ ص ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ج ٢ ص ١٢٧ — ١٢٨ ، (٣) البلاذرى فتوح ص ١٤٣ ، (٤) ابن شداد ج ٢ ص ٩٨ ، القلقشندى ج ٤ ص ١١١ ، انظر موترد مقال " الاحوال الاقتصادية في سوريا الرومانية " مجلة المشرق مجلد ٢٥ لسنة ١٩٢٧ ص ٩٣ ، (٥) ابو الفداء ص ٢٧١ ، والقزويني ص ٢٧٤ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٢٧ ، الباكوى ص ٧٧ ، (٦) ابو الفداء ص ٢٦٥ القلقشندى ج ٤ ص ١١٤ ، شحاده مقال " قناة سلميه — افاميه " مجلة الحوليات الاثرية السورية مجلد ٧ لسنة ١٩٥٧ ص ١٦٢ ، موترد مقال " الارض والاعمال الزراعية في لبنان وسوريا على العهد اليوناني الروماني " المشرق مجلد ٣٩ لسنة ١٩٤١ ص ٢٣٥

(٧) ابن العديم بغية مخطوط ص ١٨٧ ، (٨) ابن شداد ج ١ قسم ١ ص ١٤٣ — ١٤٤ انظر ابن الشحنه ص ١٤٠ — ١٤٢ ، (٩) الشهابي الاشجار ص ١٢٥ — ١٢٦ ، الزراعة ص ١١٩ ، (١٠) زكريا الريف ج ١ ص ١٨٥ ، خنشت ص ١ ، الشهابي الاشجار ص ١٢٥ ، الزراعة ص ١١٩ ، (١١) زكريا الريف ج ١ ص ٣٣ ، ١٠٧ (١٢) الدبس مجلد ٤ ص ١٤٥ ، موترد المقال السابق المشرق مجلد ٢٥ لسنة ١٩٢٧ ص ٩٣ (١٣) لامنس مقال " لمحة اقتصادية في المجارى اللبنانية " المشرق مجلد ٧ لسنة ١٩٠٤ ص ١٠٥٠ .

٤ ـ البحيرات ، ويلاحظ في توزيعها انها تقع على شريط واحد تقريبا يمتد من الشمال الى الجنوب واذا استثنينا الحولة وطبريا فان البحيرات الباقية قليلة الاهمية في الري ، ومن هذه البحيرات :

بحيرة العمق : وهي بحيرة انطاكيه تصب فيها انهار عفرين والاسود ويغرا وتلتقي بنهر العاصي جنوبا بواسطة نهر يخرج منها وقد ذكر المسعودي هذا النهر باسم نهر الرقيا كما سمى البحيرة باسم جندارس (١) .

بحيرة افاميه وتسمى بحيرة المضيق نسبة لقلعة المضيق ويخترقها نهر العاصي ماضيا نحو الشمال كالاردن في طبريا (٢) .

بحيرة حمص وتسمى القطينة وقادش (٣) ، وقدس (٤) ، وتقع بالقرب من حمص .

بحيرة البقاع التي كانت موجودة الى زمن ابي الفداء ثم جففت في ذلك الوقت (٥) .

بحيرة المطخ : يصب اليها نهر قويق الى الجنوب من قنسرين (٦) .

بحيرة العتيبه : حيث يصب بردى شرق دمشق وتسمى بحيرة دمشق او المرج (٧) .

بحيرة الهيجانه : ويصب فيها نهر الاعوج جنوب شرق دمشق .

بحيرة الحولة : وهي اولى ثلاث بحيرات تقع في مجرى نهر الاردن ، حيث تصب فيها منابع الاردن الرئيسية ثم يخرج منها نهر الاردن نحو الجنوب ، وتسمى بحيرة بانياس وقدس (٩) .

بحيرة طبريا : ويخترقها نهر الاردن من الشمال الى الجنوب متجها نحو مجراه عبر الغور . (١٠)

البحيرة المنتنه : وسميت بالمقلوبه ، وبحيرة لوط وزغر وهي البحر الميت (١١) .
وهي بحيرة مغلقة تركد فيها المياة (وهي شديدة الملوحة) ومن هنا فانه لا يعيش فيها حي من نبات او حيوان لذا اكتسبت اسم ميته ومنتنه ويصب فيها نهر الاردن .

---

١ ـ المسعودي التنبيه ص ٥٢ ، (٢) العمرى ج ١ ص ٨٩ (٣) فرحات ص ١٧ (٤) ياقوت ج ١ ص ٣٥٢ (٥) ابو الفداء ص ٤٠ ، القلقشندى ج ٤ ص ٨٣ (٦) شيخ الربوة ص ١١٤ ، ابن الشحنه ص ١٣٥ (٧) ياقوت ج ١ ص ٣٧٨ ، ج ٢ ص ٣٥٢ ، انظر ابن خرداذ به ص ١٧٧ والعمرى ج ١ ص ٨٩ . وسميت بحيرة المرج نسبة الى مرج راهط ذلك المكان الذى شهد معركة مرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم ٦٤هـ (٨) ×× (٩) شيخ الربوة ص ١٠٢ ، الدومنكي ص ١٧٨ (١٠) انظر ياقوت ج ١ ص ١٤٧ ويخطئ القزويني عندما يذكر ان " البحيرة المنتنه التي يقال لها طبريا " ص ٢٤١ـ٢٤٢
(١١) المسعودى التنبيه ص ٦٤ والبغدادى ج ١ ص ١٦٩ .

هـ ـ المنـــــاطـــــق الزراعيـــــة : ـ

تنتشر الزراعة في الشام في الجهات التي تستقبل كميات من المطر تساعد على انجاح الزراعة البعلية فيها ، او في المناطق التي يمكن ان يستفاد فيها من مياه الرى . ويمكن تقسيم بلاد الشام الى المناطق الزراعية التالية : ـ

السهول الساحلية ، السهول الداخلية والواحات ، الهضاب والسهول الجبلية .

اما السهول الساحلية فهي الممتدة على طول شريط طويل يمتد من الشمال الى الجنوب على طول بلاد الشام . وقد اطلقت اسماء المدن الكبرى على طول الساحل على المناطق السهلية الساحلية حولها . (١) ويقسم السهل الساحلي من الشمال الى الجنوب الى : سهل اسكندرونه ، سهل انطاكيه ، سهل اللاذقية ويشمل سهول بانياس وطرطوس ، سهل طرابلس ، ويسمى سهل عكار ، سهل بيروت ، سهل صيدا ، سهل صور الذى يمتد حتى رأس الناقورة ثم السهل الساحلي الفلسطيني واقسامه سهل عكا (٢) ، سهل الطنطوره وسهل حيفا ويافا الذى يمتد حتى الرملة ويبدأ جنوب الرملة سهل فلسطين العظيم الذى يصل حتى جنوب غزة ويتسع كثيرا نحو الشرق ليصل عرضه الى ٤٨ كم . (٣)

وتحدث الجغرافيون العرب عن خصوبة الاراضي الساحلية وكثرة الثمار التي كانت تنتجها وذلك في مجال حديثهم عن مدن الساحل . ويتبين من وصفهم للساحل في فترات متتابعة انه كان مستغلا بصورة حسنه (٤) .

---

١ ـ انظر عبد السلام ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ، فرحات ص ٣ ـ ٤ ، الدبس ج ٤ ص ١٤٤ الشهابي الزراعة ص ٣٣ ، زكريا المفكرة ص ٢١ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ١٥٦ ، (٢) سهل عكا هو نفسه ما يعرف باسم مرج ابن عامر (٣) فرحات ص ٤ ، (٤) انظر الاصطخرى مسالك ص ٦١ ، ٦٤ ، اقاليم ص ٣٣ ـ ٣٥ ، ابن حوقل ص ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ابن عبد ربه ج ٤ ص ٢٦٦ ، المقدسي ص ١٦٢ ـ ١٦٤ ، ٤٧٤ ، خسرو ص ١٣ ـ ١٥ ، ١٨ ـ ١٩ ياقوت ج ١ ص ٢٦٧ ج ٢ ص ٤٢٤ ج ٤ ص ٢٥ ، ٤٢١ ، ابن شداد ج ٢ ص ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٤ القزويني ص ١٥٠ ، ٢٠٢ ، شيخ الربوة ص ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ابن عبد الحق ج ١ ص ١٢٥ ، ابو الفداء ص ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ابن بطوطه ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٤ ـ ٧٥ ، ابن الشحنه ص ١٦٦ ، ٢٦٣ .

ويذكر قدامه انما بين غزة ورفح كان عشرة فراسخ (١) من البساتين • (٢) ويصف شيخ الربوة هذه المنطقة بانها كثيرة الشجر كسماط ممدود (٣) ، وكانت الارض المحيطة بقيساريه جيدة الاستغلال كثيرة الاشجار (٤) ، كما ان بساتين بانياس من اعجب بساتين الساحل وذلك " أن حيطان البساتين متصلة بضرب موج البحـــــر " (٥) ولا تزال هذه البساتين تحتفظ بنفس الميزة حتى الان •

اما السهول الداخلية : وهي التي تقع الى الشرق من السلاسل الجبلية الغربية وتنتشر في بلاد الشام في الشمال والوسط والجنوب ، ويقع بعضها الى الشرق من السلاسل الجبلية الشرقية واهم اقسام هذه السهول : سهل العمق شمال شرق انطاكية فيما بين نهر عفرين من الشرق وجبل اللكام في الغرب (٦) ، والى الجنوب منه يقع سهل الروج والغاب حول وادى العاصي الشمالي ثم سهول حمص وحماه والبقاع وسهل وادى الاردن " الغور " (٧) ، ويمكن حصر السهول الداخلية الشرقية بسهول المطخ جنوب حلب وغوطة دمشق وسهل حوران والسهول المرتفعة في الجولان (٨) ، وشرقي الاردن (٩) ؛

ويجعل البعض الغور من الحولة حتى البحر الميت منطقة زراعية منفردة ويعود ذلك لتميزها بالمناخ الحار وطريقة الزراعة المروية ولكن ذلك لا يمنع من ضمه الى السهول الداخلية (١٠) •

---

١ ــ ذكر ابو الفداء ان الفرسخ ثلاثة اميال لاختلاف في ذلك ص ٢١٥ ،

(٢) قدامه الخراج " ذيل ابن خرداذبه " ص ٢١٩ ، (٣) شيخ الربوة ص ٢١٣ ، انظر زيادة ص ٤ (٤) انظر زيادة ص ٥١ ، الطاهر ص ٨ ، (٥) شيخ الربوة ص ٢٠٩

(٦) عبد السلام ج ١ ص ١٣٣ (٧) انظر عبد السلام ج ١ ص ١٣٣ ــ ١٣٥ ،

(٨) عبد السلام ج ١ ص ١٣٨ (٩) انظر فرحات ص ٤ ــ ٥ ، الدبس ج ٤ ص ١٤٤ زكريا المفكرة ص ٢٣ ، الشهابي الزراعة ص ٣٤ ،

(١٠) الشهابي الزراعة ص ٣١ ، زكريا المفكرة ص ٢٣ •

وبعض هذه السهول شريط طويل حول نهر كسهول اريحا وبيسان في وادى الاردن وتقع سهول اريحا في القسم الجنوبي من الاردن بينما تشكل سهول بيسان القسم الشمالي منه ، وبعضها رقعة منبسطة بين مرتفعات جبلية عالية كسهل البقاع وسهول شمال العاصي في حين تتميز سهول حوران بالاتساع والبعد عن المرتفعات الجبلية وكذلك سهل المسطح الى الجنوب من حلب (١) .

ويعد وادى الاردن اكثر السهول الداخلية في جنوب الشام استغلالا وقد وصف بجودة اراضيه وكثرة اشجاره ونباتاته (٢) ، كما اشتهر سهل حوران بخصوبة تربته ومحاصيله الكثيرة . (٣) كما عرفت غوطة دمشق بكثرة انهارها واشجارها وخصوبة تربتها حتى وصفت بانها من جنات الدنيا (٤) ، وقد احسن استغلالها دائما ولا تزال كما كانت من قبل كثيرة الاشجار والانهار والمحاصيل (٥) .

---

١ ــ انظر الخارطة شكل "١"

٢ ــ انظر الاصطخرى اقاليم ص ٣٢ ، ابن حوقل ص ١٦٠ ، ١٦٧ ، المقدسي ص ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ياقوت ج ١ ص ١٤٧ ، ج ٣ ص ١١١ ، ج ٤ ص ١٨ ، ابن شداد ج ٢ ص ٦٧ ، ١٣٦ ، القزويني ص ١٤٢ ، ابو الفداء ص ٢٤٣ ، الباكوى ص ٤٣

(٣) انظر الاصطخرى مسالك ص ٣٤ ، المقدسي ص ١٦٠ ، البكرى ج ٤ ص ١٢٥٠ ياقوت ج ١ ص ١٣٠ ، ٣٣٨ ، ج ٢ ص ٣١٨ ، ابن عبد الحق البغدادى ج ١ ص ٤٣٥ ، الظاهرى ص ٤٧ ، ويذكر النمر ب "ان سهول حوران ذات التربة الخصبة التي يقل لها نظير ازدهرت جدا في العهد الروماني " ج ٤ ص ١٤٥ ، الميسى ص ١١٠ .

٤ ــ الخوارزمي مفيد العلوم ص ١٢٤ (٥) انظر الاصطخرى مسالك ص ٥٩ ، اقاليم ص ٣٢ ، ابن حوقل ص ١٦٠ ، المقدسي ص ١٥٧ ، ١٦٠ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ١٨٦ ابن جبير ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ ، ٢٦٤ ــ ٢٦٥ ، ياقوت ج ٥ ص ٢١٩ ، ابن شداد الجزء الخاص بدمشق ص ١٣ ، القزويني ص ١٨٩ ، ٢٣٢ ، شيخ الربوة ص ١٩٢ ، ١٩٤ ، ابو الفداء ص ٢٥٣ ، ابن عبد الحق البغدادى ج ٢ ص ٥٣٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ابن بطوطة ص ٨٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ابن الوردى خريدة العجائب ص ٣٨ ، الباكوى ص ٥٤ ، ٦٥ ، والظاهرى ص ٤٦ ، انظر ايضا كين ص ١٩ ، وذكر الدبس ان غوطة دمشق كانت تسمى في العهد الروماني "لؤلؤة عقد سوريا ، مجلد ٤ ص ١٤٥ .

وكذلك سهل البقاع الخصيب (١) الذى اتسم بكثرة خيراته ومياهه ، لكنه ضيق الاتساع وخاصة في الشمال ، ويصل عرضه في الجنوب الى ١٤ كم (٢) .

وتتسع السهول في منطقة حماة حول العاصي الى الشرق منه حيث سهول حماة والى الجنوب منها سهول حمص البعلية كما ان سهول حلب فسيحة ومنبسطة ، وكانت الاراضي ما بين حلب وانطاكية عامرة لا خراب فيها (٣) ، والى الجنوب من سهول حلب تقع سلميه التي ذكر الاصطخرى انها ذات ارض خصبة جدا (٤) ، ويذكر حميده ان اهم الاراضي الزراعية في سوريا (٥) ، هي سهول الغاب والروج وسهل عفرين شمال وشرق بحيرة العمق وكذلك المناطق التي تصب فيها بعض الانهار الداخلية كمنخفض المطخ ، حيث تفيض مياه نهر قويق وكالمتيبه والهيجانه حيث يصب بردى والنهر الاعوج (٦) ، ويمكن الحاق سهل البقاع ووادى الاردن بهذه الاراضي الزراعية الجيدة .

ويلاحظ المسافرين حلب وحماه على جانبي الطريق الاراضي الجيدة والمستغلة حيث السهول الواسعة المنبسطة في منطقة معرة النعمان حتى حلب وقد استغلت من قبل بشكل جيد ولا تزال (٧) ، وتوصف اراضي الباب بزراعة ومنبج بكثرة البساتين والخيرات (٨) ، اما اراضي بالس فقد استغلت جيدا في العهد الاموى (٩) . كما ازدهرت الزراعة في الرصافة (١٠) ، وازدهرت الزراعة في الواحات السورية في منطقة

---

١ ــ انظر ابن حوقل ص ١٦٢ ، المقدسي ص ١٦٠ ، القزويني ص ١٥٦ ، ياقوت ج ١ ص ٤٧٠ ، ابو الفداء ص ٢٥٥ ، ابن عبد الحق البغدادى ج ١ ص ٢١١ ، ابن بطوطة ص ٨٣ ، الباكوى ص ٤٦ ، الظاهرى ص ٤٧ (٢) فرحات ص ٤ (٣) ابن بطلان ص ١٨ ، ياقوت ج ١ ص ١٦٧ ، (٤) الاصطخرى مسالك ص ٦١ ، اقاليم ص ٣٣ (٥) المقصود بسوريا هنا الجمهورية العربية السورية . (٦) حميده ص ٢٤ ، (٧) انظر ابن حوقل ص ١٦٤ ، خسرو ص ١١ ، ابن جبير ص ٢٤٢ ، ياقوت ج ٥ ص ١٥٦ ، القزويني ص ٢٧٢ ، ١٨٣ ، شيخ الربوة ص ٢٠٥ ، ابن عبد الحق البغدادى ج ٣ ص ١٢٨٨ ، القلقشندى ج ٤ ص ٢٤٢ ، ابن بطوطة ص ٦٧٠ ، ٧٠ ، الباكوى ص ٥٢ ، ٧٥ ، (٨) انظر ابن حوقل ص ١٦٦ ، ابن جبير ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ ، القزويني ص ٢٠٨ ، شيخ الربوة ص ٢٠٥ ، ابو الفداء ص ٢٦٧ ، ابن عبد الحق البغدادى ج ١ ص ١٩٢ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٢٨ ابن الشحنه ص ١٣٢ ، (٩) انظر البلاذرى ص ١٥٦ ، ابن حوقل ص ١٦٥ ، ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، (١٠) ياقوت ج ٥ ص ٤١٩ .

ولهم قناه أيضاً لاتزال موجودة

تدمر حيث كان لاهلها (نهر " قناة " يسقي نخيلهم وبساتينهم)؟(١) ،وفي واحة السخنه وأرك والكوم (٢) .

المرتفعات الجبلية " الهضاب والسهول الجبلية " :

استغلت بعض المناطق الجبلية استغلالا جيدا في زراعة الاشجار المثمرة كما هو الحال بالنسبة لجبل الريان (جبل العرب) في حوران ، اذ ان تربته صالحة بشكل ممتاز للحبوب والاشجار المثمرة خاصة العنب والرمان ولعله كان مشتهرا بذلك فاكتسبت اسم الريان لخضرته (٣) ، ولا تزال بعض قراه تحمل اسماء تدل على ذلك مثل : ام الرمان ، ام الزيتون ، وتل اللوز (٤) ،كما اشتهرت صرخد والتي هي من اهم قراه بالخمر الجيد ويؤكد البكرى ذلك بالبيت التالي : —

كما مال ابيض ذو نشوه بصرخد باكر كاسا شمولا (٥)

واشتهر جبل السماق بأشجاره ومحاصيله الكثيرة فقد وصفه ياقوت بأنه " جبل عظيم بحلب يشتمل على عدة مدن كثيرة وقرى وقلاع وفيه بساتين ومزارع كلها عذى " في حين وصفه شيخ الربوة بقوله : " اعمر الارض واعطها فلاحا " (٦) .

وفي وسط وجنوب الشام كانت الجبال كثيرة الاشجار والخيرات فجبال لبنان اشتهرت بخصبها وفيها انواع الفواكه (٧) وكانت جبال عامله والمنطقة المحيطة بها (٨) وما بين الزبداني ودمشق كلها متصلة البساتين (٩) وكانت نابلس وما حولها مزروعـــة

---

(١)— ابن عبدالحق البغدادى ج ١ ص ٢٥٤ انظر القلقشندى ج ٤ ص ١١٤ (٢) ياقوت ج ١ ص ١٥٣ انظر ابن عبد الحق البغدادى ج ١ ص ٥٧ ، ج ٢ ص ٦٩٨ ،انظر عبدالسلام ج ١ ص ٦٨١ ، (٣) انظر المقدسي ص ١٥١ ، شيخ الربوة ص ٢٠٠ — ٢٠١ ،ابو الفداء ص ٢٥٣ ،ابن عبدالحق البغدادى ج ٢ ص ٨٣٨ ، الظاهرى ص ٤٦ — ٤٧ .

(٤) انظر المقدسي ص ١١٣ ، (٥) البكرى ج ٣ ص ٨٣١ ،انظر ياقوت ج ٣ ص ٤٠١ ابن عبدالحق البغدادى ج ٢ ص ١٣٨ . (٦) ياقوت ج ٢ ص ٢٠١ ،شيخ الربوة ص ٢٠٥ ، انظر القزويني ص ٢٠٧ ،الاصطخرى اقاليم ص ٣٣ ،ابن بطوطة ص ٦٧ ،ابن الشحنه ص ١٤٩ البغدادى ج ١ ص ٣١٢ ،الباكوى ص ٦٠ (٧) ابن جبير ص ٢٧٦ ، ٣٠٠ ،شيخ الربوة ص ١٩٩ — ٢٠٠ ،ابن بطوطة ص ٨٣ ،الباكوى ص ٦٠ (٨) المقدسي ص ١٦١ — ١٦٢ ابن شداد ج ٢ ص ١٤٦ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٥٠ ،شيخ الربوة ص ٢٠٠ ، ٢١١ .

(٩) ابو الفداء ص ٢٥٥ ، الظاهرى ص ٤٧ .

بالزيتون ومختلف الاشجار (١) وهي لا تزال كذلك . اما جبال القدس والخليل فانها " مشجرة الجبال زريعة السهول " (٢) ، وكان جبل الزيتون في القدس مشجر بالزيتون والعنب في القرن الاول الهجري ويزرع فيه نوع جيد من القمح (٣) ، أما الخليل فتحيط بها الكروم والاعناب والتفاح من كل جانب ويسمى جبلها " جبل نضره " (٤) والى الشمال منها كانت غابة كثيفة (٥) ويصف الاصطخري الخليل انها كثيفة الاشجار فيقول (واشجار هذه الجبال وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وتين (٦) . وازدهرت الزراعة في عدة اماكن جبلية من جبال الشراه اقصى جنوب الشام كالشوبك (٧) ووادي موسى (٨) والحميمه (٩) اذ كان يزرع فيها الفواكه والزيتون ويكرر ابن حوقل ما ذكره الاصطخري عن اذرح مدينة الشراه وروات مدينة الجبال بانهما بلدان في " غاية الخصب والسعة " (١٠) ويذكر المقدسي ان مآب " في الجبل كثيرة الفرس واللوز والاعناب قريبة من البادية " (١١) ويتحدث عن جبال عجلون " ذات المياه الجارية والفواكه الكثيرة " (١٢) واما جبل البلقاء ومدينته السلط فهي بلد ذات بساتين وفواكه " (١٣)

اما البادية فانها ليست صحراوية بدرجة واحدة لان السهوب تمتد فيها الى مسافات كبيرة حيث تنمو بعض الاعشاب نتيجة لسقوط بعض المطر شتاءً . وهي تشكل مجالا حياتيا للبدو في تنقلهم طلبا للكلأ والمرعى وتربية الماشية واحيانا تحل الزراعة محل المرعى اذا توفر الامن والاستقرار فتزيد مساحة الارض المزروعة على حساب الرعي وعند توفر الاستقرار تستغل الواحات اذ يتجمع الناس فيها في جماعات تشبه جماعات القرى ويزرعون الحبوب والنخيل كما هو الحال بالنسبة لتدمر والقريتين وآرك والسخنه وكذلك منطقة الازرق جنوب شرق حوران . (١٤)

---

١ - المقدسي ص ١٦٤ ، شيخ الربوة ص ٢٠٠ ، البغدادي ج ٣ ص ١٣٤٧ ، ابن بطوطة ص ٦٠ — ٦١ ، الظاهري ص ٤٦ ، مجير الدين ص ٧٥ ، (٢) المقدسي ص ١٧٣ ، خسرو ص ٢٠ ، (٣) العارف المفصل ص ١٠٦ ، (٤) المقدسي ص ١٧٢ ، (٥) العارف المفصل ص ١٠٧ ، (٦) الاصطخري مسالك ص ٥٧ — ٥٨ ، اقاليم ص ٣٠ ، ابن حوقل ص ١٥٩ ، خسرو ص ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ابن شداد ج ٢ ص ٢٣٩ ، القزويني ص ١٦٣ ، ابو الفداء ص ٢٤١ ، مجير الدين ص ٨١ ، الدومنكي ص ٦٨ ، (٧) شيخ الربوة ص ٢١٣ ابو الفداء ص ٢٤٧ ، القلقشندي ج ٤ ص ١٥٧ ، (٨) ياقوت ج ٥ ص ٣٤٦ ، القزويني ص ٢٧٢ البغدادي ج ٣ ص ١٤١٨ ، (٩) المبرد الكامل ج ٢ ص ٢١٧ ، البلخي ج ٥ ص ١٠٦ الدومنكي ص ٦٤ ، (١٠) الاصطخري مسالك ص ٥٨ ، اقاليم ص ٣٢ ، ابن حوقل ص ١٦٠ انظر الدومنكي ص ٤٩ ، حيث اورد نصا نقله عن الادريسي ص ٣ — ٤ ، (١١) المقدسي ص ١٧٨ ، انظر ابو الفداء ص ٢٤٧ ، (١٢) شيخ الربوة ص ٢٠٠ ، ابو الفداء ص ٢٢٨ ، ٢٤٥ ابن بطوطه ص ٦١ ، (١٣) ابو الفداء ص ٢٤٥ ، القلقشندي ج ٤ ص ١٠٦ ، (١٤) زكريا الريف ج ١ ص ٢٩١

الفصـــــــــل الثانــــــي

الارض الزراعيــــــــــــــــــــــــة

أ ــ اصنـــــــــاف الاراضـــــــــي :ــ

لما افتتح العرب بلاد الشام اختلف الصحابة في مصير الارض ماذا يفعلون بها فمنهم من اراد قسمتها بين الفاتحين واعتبروها من حقهم واكثر من تشدد في ذلك جماعة بزعامة بلال بن رباح ، لكن عمر بن الخطاب لم يوافقهم واتخذ قرارا باعتبار الارض وقفا على الامة كلها وقرر بقاءها بيد اهلها يدفعون ما قرر عليهم من خراج (١) .

ويبدو ان المطالبين بتقسيم الارض كانوا يشيرون الى ما فعله الرسول في خيبر حيث قسم ارضها بين من حضر الفتح وفق آية الغنائم (٢) ، ورفض عمر التقسيم استنادا الى آيات الفيء (٣) ، ثم قال " قد اشرك الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء " (٤) وذكر ابو عبيد ان عمر لما جاء الجابية اراد قسمة الارض بين المسلمين فقال له معاذ " والله اذن يكون ما تكره ، انك ان قسمتها صار الريع العظيم في ايدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد او المرأة ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الاسلام وهم لا يجدون شيئا فانظر امرا يسع اولهم واخرهم " (٥) ، فصار عمر الى قول معاذ ، (٦) قال الاوزاعي (اجمع رأي عمر واصحاب النبي (صلعم) لما ظهروا على الشام على اقرار اهل القرى على ما كان بأيديهم من ارضهم يعمرونها ويؤدون خراجها الى المسلمين) (٧)

---

١ ــ انظر ابو يوسف ص ٢٣ ، ٢٦ ، ابو عبيد ص ٨١ ، قدامه الخراج من شمش ص ١٣٥ ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٤ ، ابن رجب ص ١٥ ، ٢٣ ، انظر ايضا الدوري مقدمة ص ٢٧ ، (٢) سورة الانفال الاية " ٤١ " انظر ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، دمشق ج ١ ص ٥٨٢ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧١٦ ، ابن رجب ص ٩ ، ١٠ (٣) سورة الحشر الايات ٦ ــ ١٠ ، انظر ابو يوسف ص ٢٣ ــ ٢٤ ، ابو عبيد ص ٨٤ ــ ٨٦ ، قدامه الخراج بن شمس ص ١٣٤ ، الصولي ص ٢٠٩ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٩٢ ، ياقوت ج ١ ص ٤٤ ، الحيدرباوى ص ٢٦٦ ، الصالح ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦ ، (٤) ابو يوسف ص ٢٤ انظر يحيى بن ادم ص ٢٧ ، ٤٦ ، (٥) ابو عبيد ص ٨٣ ــ ٨٤ ، انظر البلاذرى فتوح ص ١٥٠ ــ ١٥٢ ، (٦) البلاذرى فتوح ص ١٥٢ (٧) ابن قدمه ج ٢ ص ٧٢٠ ، انظر الزيلعي ص ٢٧١ ج ٣ ، ابن الهمام ج ٤ ص ٣٥٨ ،

واراد عمر بن الخطاب حين قرر ترك الارض لاهلها ان تكون موردا دائما للدولة تصرفه في مصالحها (١) ، ولما اختلف الجند في ارض الاردن امر عمر ابا عبيدة بما يلي :—

" اني قد رأيت ان تقرهم وان تحمل الجزية عليهم وتقسمها بين المسلمين ويكونوا عمار الارض فهم اعلم بها واقدر عليها من غيرهم " (٢) ،

والنتيجه ان عمر قرر بحزم ان الارض ملكا عاما وأدر على الجند العطاء والرزق على اساس ان يكون ناتج الارض لبيت المال الذى تكفل بادرار العطاء على جند الدولة بدلا من قمة الارض نفسها كما فعل الرسول بخيبر ووقف الى جانبه بعض الصحابة كعلي ومعاذ . (٣)

وتعددت دوافع عمر من وراء هذا القرار فمنها ما يتعلق بمصلحة الامه ومنها ما يخص الظرف العسكرى الذى كان يمر به العرب حيث كونوا امه مجاهدة زيادة على ان القبائل لم تكن بعد قد استشعرت اهمية الارض كمصدر للثروة (٤) . فالذى حدث فعلا أن الارض بقيت لاهلها وفرض عليها الخراج (٥) ، ويرى فلهاوزن ان فكرة تقسيم الارض المفتوحة لا يمكن تنفيذها لان مثل هذا التغيير الهائل في الممتلكات كان مستحيلا لان العرب لم يكن بامكانهم ان يقتسموا فيما بينهم نصف العالم زيادة على ان حالة العرب اول الامر استدعت التجمع العسكرى (٥) مع ان تقسيم الارض امر جائز دليل انه هم بذلك ثم عدل بعد ان استشار الصحابة (٦) . اذ ان الامام مخير بين ان يقسم الارض او ان يجعلها وقفا (٧) وفي ذلك يذكر الخولاني ان عمر جاء الجابية وفي نيته قسمة الارض " فاشار عليه معاذ بن جبل بايقافها فاجابه عمر الى ايقافها " (٨) .

---

١ — الازدى ص ١٤٠ انظر الحيدرباوى ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ، (٢) الدورى ، النظم ص ١٠٨ — ١٠٩ ، (٣) الدورى تاريخ صدر الاسلام ص ٥٥ ، النظم ص ١٠٩ — ١١٠ ، انظر حتي سوريا ج ٢ ص ٢٠ ، (٤) انظر ابو يوسف ص ٢٦ — ٢٧ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٠ — ١٨١ ، دمشق ج ١ ص ٥٧٥ — ٥٧٦ ، انظر ايضا فلهاوزن ص ٢٩ ، ٢٦٦ ، كاهين ج ١ ص ٥٤ ، (٥) فلهاوزن ص ٢٨ ، (٦) يحيى بن ادم ص ٤٢ ، ٤٤ ، (٧) يحيى بن ادم ص ١٩ ، انظر الخطيب ص ٥٦ ، ويعتقد ان التغير جاء من حادثتين وقعتا فعلا وهما قسمة الارض في خيبر والذى قسمها هو الرسول نفسه بينما اصر عمر على عدم قسمة اى من الاراضي المفتوحة سواء في الشام او العراق او مصر او مما سواهما . (٨) الخولاني ص ٩٦ — ٩٧ ، انظر ايضا ابو عبيد ص ٧٧ — ٧٨ ، الصولي ص ٢١٠ ، قدامه بن جعفر الخراج بن شمش ص ١٣٥ ، الماوردى ص ١٤٧ ، ابو يعلى ص ٤٦ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٢ ، الزيلعي ص ٢٧١ ، ابن الهمام ج ٤ ص ٣٥٨ ، شيخ الربوة ص ٣١٧ .

اذ ن فقد تقرر في اعقاب مؤتمر الجابية ان يترك اهل الشام بارضهم يدفعون الخراج عنها اذ جعلت ارض الشام فيئا (١) ، اما قول الفقهاء ان الشام بعضها صلح وبعضها عنوه ، فانه تعبير عن الاختلاف في طريقة فرض الضرائب ، (٢) هذا مع انه لا فرق تاريخيا بين ما افتتح صلحا وما افتتح عنوه ، اذ اعتبرت عامة الارض المفتوحة ملكا للامه ووقفا عليها يعمل بها اهلها ويدفعون لقاء ذلك الخراج بغض النظر عن صفة فتحها . (٣)

وقد خاض الفقهاء كثيرا في حكم الارض المفتوحه كيف يعمل بها ، هل تخمس ام توقف ام ان الامر للامام ان شاء قسم وان شاء اوقف ، لكن الامر الهام هو ان الفقهاء يبنون اراءهم على بعض الواقع من السوابق (٤) . ويتجاهلون البعض الاخر في سبيل وضع نظرية فقهية والامر الذى لم يكن فيه خلاف ان ارض الشام اعتبرت فيئا (٥) ، ووضع عليها الخراج . وهي ارض خراجيه (٦) طوال العهد الاسلامي فقد نص القانون نامه لولاية الشام والذى وضع سنة ٩٥٥ هـ / ١٠٤٨م انّ جل اراضي الشام خراجيه . (٧)

---

١ — ابو عبيد ص ٩٦ ، ١٤٧ ، ٢٢٨ ، ٦٨٧ ، انظر خليفة ج ١ ص ١٢٤ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧١٧ ، ابن رجب ص ٣٠ ، ٤٢ ، شيخ الربوة زاده ص ٣١٧ ، الكرمي ص ٦٨ ،
(٢) الطبرى اختلاف ص ٢١٩ ، (٣) انظر ابو يوسف ص ٢٦ ، البلاذرى فتوح ص ٤٤٧ ، ابن قدامه الخراج بن شمش ص ١٣٧ — ١٣٨ ، السمرقندى ج ١ ص ١٣٢ ، السرخسي ج ٣ ص ٨ النووى المجموع ج ٥ ص ٤٨٣ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٤ ، تهذيب ج ١ ص ١٨٢ ، ابو يعلى ص ١٤٧ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧١٧ ، المشقي ص ١٣١ ، ابن رجب ص ٤٢ ، ابن الهمام ج ٤ ص ٣٥٩ ، وانظر الدورى مقدمه ص ٢٧ ، نشأة الاقطاع ص ٧ — ٨
(٤) انظر ابو عبيد ص ٧٧ ، انظر قدامه الخراج بن شمش ص ١٢١ — ١٢٢ ، ١٣٤ — ١٣٥ الماوردى ص ١٣٧ ، ١٤٧ ، ابو يعلى ص ١٦٣ — ١٦٤ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧١٧ — ٧١٨ ابن قيم الجوزية ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ابن رجب ص ١٥ — ١٦ ، ٣١ — ٣٢ ،
(٥) ابو عبيد ص ٩٦ ، انظر الخولاني ص ٩٦ — ٩٧ ، (٦) البلاذرى فتوح ص ١٢٦ ، ١٣٠ — ١٣١ ، ١٣٨ ، انظر اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ١٤٢ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٢ ، ابن العديم بغية مخطوط ص ٩ ، ابن خلدون ص ٢ ص ٩٤٥ ، (٧) قانون نامه العثماني لولاية الشام .

وصنف آخر من ارض الخراج برأى الفقهاء هي الارض العشرية اذا ملكها ذمي فتصبح خراجية (١) كما ان الموات اذا احياها ذمي صارت خراجية برأى بعض الفقهاء (٢) ويعتقد ان ذلك مجرد رأى فقهي ثم ان هذه الحالة نادرة ان يحي الذمي ارض مواتا في وقت مبكر كالعصر الاموى اذ ان اقطاع الموات واحيائها كاد يقتصر على الاشراف وسادة القبائل .

التصـــرف با رض الخـــراج :

ورد نهي من الفقهاء في بيع ارض الخراج لمسلم على اساس انها وقف وخراجها دائم (٣) لان انتقالها من الذمي الى المسلم يترتب عليه اعفائها من الخراج والتزام المسلم بالعشر فقط (٤) . اما ارض الصلح الخراجية فلا بأس في بيعها لان خراجها يسقط باسلام صاحبها (٥) ، ومن هنا فسواء بيعت لمسلم او اسلم صاحبها فان وارد الدولة لن يتأثر لان كلاهما سيدفع العشر . وذكر البلاذرى (ان بالفرات ارضون اسلم اهلها عليها حين دخلها المسلمون وارضون خرجت من ايدى اهلها الى قوم المسلمين بهبات وغير ذلك من اسباب الملك فصيرت عشرية وكانت خراجية فردها الحجاج الى الخراج فلما ولي هشام بن عبد الملك رد بعضها الى الصدقة ثم ان المهدى جعلها من اراضي الصدقة) . (٦) فهو يتكلم عن اراض اسلم اهلها ابتداء واراضي امتلكها المسلمون فيما بعد فصيرت جميعها عشرية وكانت من قبل خراجية مما يعطي دلالة ان العربي المسلم حين يشترى ارضا خراجية لا يدفع الا العشر ، اما الذمي اذا اسلم فيستمر على دفع الخراج اذا يذكر البلاذرى ان ارض من يسلم من اهل العنوة تقر في يده وتبقى خراجية (٧) .

==========================

١) انظر ابو عبيد ص ١٣٠ ، ابن نجيم ج ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الهمام ج ٢ ، ص ١٠ ج ٤ ، ص ٣٦٠
انظر زيدان احكام الذميين ، ص ١٦٠ .

٢) انظر السرخسي ج ٣ ص ٨ ابن نجيم ج ٢ ص ٢٤٠ ويرى الحسن بن صالح انها تكون خراجية باعتبار ان اهل الذمة ليس عليهم سوى الجزية المقررة ، انظر ابو عبيد ص ١٣١ ، ٣٢ ، قدامة الخراج (بن شمش) ص ١٢٢

٣) انظر مالك المدونة ج ٤ ص ٢٧١ ، قدامة الخراج ص ١٢٢ ، ١٣٤ ، الماوردى ص ١٣٧ ، ١٤٧ ابو يعلى ص ١٤٨ ، ١٦٤ الزيلعي ج ٣ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ابن رجب ، ص ٣٥

٤) الدورى العرب والارض ص ٥

٥) مالك المدونة ج ١ ص ٢٨٣ ج ٤ ، ص ٢٧٢ ، يحى بن ادم ص ٢٢ ، ٢٩ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ١٦٧ الطبرى اختلاف ص ٢١٨ - ٢٢١ الموردى ، ص ١٣٧ ، ١٧٢ ابو يعلى ١٤٩ ، ١٦٤ ابن قيم ج ١ ، ص ١٠٥ .

٦) البلاذرى فتوح ٣٦٨

٧) البلاذرى فتوح ص ٤٧٤ انظر قدامة الخراج (شمش) ص ١٣٤ ، ١٣٨ ابو يعلى ص ١٦٣- ١٦٤ .

الا ان الاضطراب حصل لما اقبل العرب على امتلاك الارض الى ان اكد عمر بن عبد العزيز مرة اخرى ان الارض الخراجية تبقى خراجيه (١) ، وتترك بيد اهلها وكذلك حصل في الشام (٢) ، الا ان خراج ارض الصلح يسقط اذا اسلم اهلها وهذه لا وجود لها في الشام (٣) ،

اما الاقطاع من ارض الخراج فيفصل ابن عساكر ذلك وهو يتكلم عما حدث في الشام نفسها ، فقد طلب أناس من عبد الملك ان يقطعهم بعد نفاذ ارض الصوافي " فنظر عبد الملك الى ارض خراج قد باد اهلها ولم يتركوا عقبا فاقطعهم منها ورفع ما كان عليها من خراجها عن اهل الخراج " (٤) وهنا مع أنه يبدو وكأنه اقطع ارضاً خراجية الا انها في الحقيقة اصبحت صوافي تعود ملكيتها لبيت المال لانها اصبحت لا مالك لها مثلها مثل الارض المتروكه (٥) .

---

١ ــ الدورى ، مقدمة ص ٤٩ ــ ٥٠ ، ٦١ ، انظر فلهاوزن ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، كاهين ج ١ ص ٥٤ ، عاقل ص ٢٥٩ ، ٢٦١ ، الريس ص ١٤٠ ، زيدان التمدن ج ١ ص ٢٣٢ ، الخطيب ص ٥٤ ، ٥٧ ، زيدان احكام الذميين ص ١٥٨ ، الشريف ص ١٦ ــ ١٧

(٢) انظر ابو يوسف ص ٢٦ ، ٣٥ ، ابو عبيد ص ٧٧ ، ٩٦ ، ١٣٦ ، ٦٧٨ ، البلاذرى فتوح ص ١٥١ ــ ١٥٢ ، ٤٤٧ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٣٥ ، الماوردى ص ١٤٧ ، ابو يعلى ص ١٤٧ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٢ ، دمشق ج ١ ص ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧١٦ ، ٧٢٥ ، النووى المجموع ج ٥ ص ٤٨٣ ، الزيلعي ج ٣ ص ٢٧١ ، ابن رجب ص ٩ ــ ١٠ ، ١٣ ، ٣٠ ــ ٣٢ ، ٣٥ ، ٤١ ،

(٣) انظر ابو يوسف ص ٦٣ ، ٦٩ ، يحيى ابن ادم ص ٢٢ ــ ٢٣ ، ابو عبيد ص ٧٧ ، ٢٢٨ ، الاوزجندى ج ١ ص ٢٧٠ ، السمرقندى ج ١ ص ١٣٢ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٣٢ ، ١٣٧ ، الماوردى ص ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧٢٥ ــ ٧٢٦ ،

(٤) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٥ .

(٥) وقد اتبعت هذه القاعدة في العهد البيزنطي اذ كانت تنتقل لخزينة الدولة العقارات التي يتركها الافراد عند وفاتهم دون ورثة كما تعمل بها الدول الحديثة في سوريا ، انظر بينز ص ١٥٩ ، حماده ص ٥٣ .

وفسر ابن عساكر اقطاع عبد الملك من هذه الارض بقوله " ورآه جائزا له مثل اخراجه من بيت المال الجوائز للخاصة " (١) في حين انه رفض اقطاع ارض خراجية اهلها احياء ويستغلونها ، لان اهلها يدفعون الخراج ، كما رفض عمر بن الخطاب ايضا الاقطاع من ارض الخراج (٢) ، بينما يفهم من كلام ابي يوسف ان هذا النوع من الاقطاع جائز اذ يقول " فكل ارض اقطعها الامام مما فتحت عنوه ففيها الخراج الا ان يصيرها الامام عشرية وذلك الى الامام اذا اقطع احدا ارضا من ارض الخراج فان رأى ان يصير عليها عشرا او نصفا او عشرين او اكثر او خراجا فما رأى ان يحمل على اهلها فعل " (٣) ، لكنه هنا يجعل من حق الامام ان يفرض عليها ضريبة الخراج (٤) . فمعاوية كما ذكر الصولي كان يدفع الارض بخراجها وعلوجها والخراج على اصله لا ينقص منه شيء (٥) أي انه كان يقطع من ارض الخراج ، ثم ان عمر بن عبد العزيز اعطى لشخص يدعى نعيم بن عبد الله ارضا بجزيتها اى وعليها الخراج (٦) ، الا ان الاقطاع من ارض الخراج كان يحدث دائما اذا لم يكن لها مالك .

ويذكر ابن قدامه الفقيه الشامي الذى يعبر عن الواقع كثيرا انه اذا كان في البيع مصلحه برأى الامام جاز البيع ونقل عن ابن عائذ في فتوح الشام قوله " قال غير واحد من مشايخنا ان الناس سألو عبد الملك والوليد وسليمان ان يأذنوا لهم في شراء الارض من اهل الذمه فأذنوا لهم على ادخال اثمانها في بيت المال" (٧) . ويزيد ابن عساكر " وتقوية اهل الخراج على خراج سنتهم " . (٨)

---

١ ـ ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٩٥ ، (٢) ابو عبيد ص ٣٩٢ ، (٣) ابو يوسف ص ٦٠ ، (٤) انظر ابو يوسف ص ٦٠ ، (٥) الصولي ص ٢١٧ ،

(٦) ابو عبيد ص ١٢٠ ، (٧) ابن قدامه ج ٢ ص ٧٢٣ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، (٨) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٥ .

ودليل تفشي بيع ارض الخراج كتاب عمر بن عبد العزيز الذي قال فيه " فحل بين اهل الارض وبين بيع ما في ايديهم انما يبيعون فيء المسلمين " (١) ، في حين انه ترك الاشربة التي كانت قبله ولم يجعل لقراره اثر رجعي ويبدأ بالمنع سنة ١٠٠ هـ ومن اشترى شيئا بعد ذلك فان بيعه مردود كما انه امر عامله على الاردن بمنع بيع ارض الخراج للمسلمين " للفرب المسلمين " (٣) ، وذكر يحيى بن ادم انه لا بأس في شراء ارض الخراج بينما اورد الطبري عن الاوزاعي إن أئمة المسلمين لم يزالوا يكرهون شراء الارض الخراج (٤) .

وتظل هذه مجرد آراء فقهية اذ تفيد الروايات التاريخية السابقة انه جرى التعامل بالارض الخراجية بيعا وشراء منذ ايام عبد الملك الى ان جاء عمر بن عبد العزيز وحاول وقف ذلك ولو مؤقتا ، وربما كان في خلده ان يقاوم موجة استملاك الاراضي وتوسع الملكيات الكبيرة وللابقاء على موارد الدولة من ضرائب الخراج ، حتى انه منع اهل الذمه من بيع آلاتهم ويعلق ابو عبيد على ذلك بقوله " يستحقها من اجل خراجها لانه اذا اباع اداة الزرع لم يستطع ان يزرع فيبطل خراجه " (٥) . فهو اذن منع البيع خوفا من تعطيل الخراج وهذا يتمشى مع الواقع التاريخي بان المسلمين العرب لا يدفعون الا العشر لان من يقر بالخراج يقر بالذل والصغار (٦) . وهذا ما كان بالفعل في الفترة الاولى على الاقل .

وتناهى الناس عن شراء الارض الخراجية بعد سنة ١٠٠ هـ بناء على امر عمر ابن عبد العزيز ، وقد حاول الخلفاء بعده التأكيد على هذا المنع وخاصة هشام بن عبد الملك الذي عاقب وكيل خالد القسري لما اشترى ارضا في الغوطه دون اذنـــــه ،

---

١ ـ ابو عبيد ص ١٣٦ ، (٢) انظر بن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٤ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٦ ، (٣) ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٧ ، (٤) يحيى بن ادم ص ٢٣ ـ ٢٤ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٥٥ ، الطبري اختلاف ص ٢٢٠ ، انظر ابو عبيد ص ١٠٦ ، الطوسي ج ٧ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ، النسفي ص ٩٧ ، الزيلعي ص ٢٧٥ ج ٣ ، ابن الهمام ج ٤ ص ٣٦٥ ، ابن رجب ص ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٢ ، (٥) ابو عبيد ص ١٣٦ ،

(٦) أبو عبيد ص ١١١ .

ذلك انه وجد في ما وضع عمر بن عبد العزيز اوامر تنهى عن بيع الارض اذ قال عمر لما استخلف " هل نهت الولاة قبلي عن شرى الارض من اهل الذمه ؟ قالوا : لم ينهوا . قال : فاني قد سلمت لمن اشترى ولكن من اليوم انهى عن بيعها " (١) ، وهذا الامر هو الذى حاول هشام تأكيده وهو منع انتقال الارض الخراجية لايدى العرب متبعا اثر عمر الذى اتخذ قراره لما لاحظ ازدياد ارض الخراج بايدى العرب بزيادة على تعمق الفكرة الاسلامية وان المسلمين العرب لم يكونوا يدفعون الخراج اذا ملكوا الارض الخراجية (٢) فمحافظة منه على اموال المسلمين العامه منع البيع .

لكن قرار عمر وتأكيد هشام له لم يصمدا امام التيار اذ لم يدم القرار طويلا لان العرب " اشتروا اشرية كثيرة كانت بيد اهلها يؤدون العشر ولا جزية عليهم " (٣) وبقي الامر كذلك الى زمن ابي جعفر المنصور الذى اقرها " ووضع الخراج على ما بقي منها " (٤) ، اى على ما بقي من ارض الخراج بيد اصحابها بينما استمر العرب المسلمين يدفعون العشر بدل الخراج .

فالارض الخراجية بيعت وانتقلت الى ايدي العرب رغم ما يرد احيانا بمنع انتقالها باعتبارها وقفا على الامه وان ما اورده ابن عساكر من شرائها وانتقالها للعرب ايجابي ولا يمكن ان يكون مخترعا (٥) ، ولم يفد ما قرره عمر في وقف انتقال ارض الخراج الى ايدى العرب ، مما ادى الى فرض الخراج على الارض الخراجية ولو ملكها العرب المسلمين . (٦)

---

١ ـ ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ،

٢ ـ الدورى مقدمه ص ٣٣

٣ + ٤ ـ ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٤ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ، انظر الدورى مقدمه ص ٤٦

٥ ـ انظر ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٥ ، والصفحة ٤٦ من الرسالة . (٦) انظر ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ، ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ، الدورى العرب والارض ص ٥ ، ٦

الارض العشرية :

يرى الفقهاء ان الارض التي اسلم عليها اهلها عند الفتح ابتداء ودون قتال عشريه وكذلك الارض التي صولح اهلها ثم اسلموا والارض المفتوحه عنوة اذا قسمت صارت عشريه وهذه الاصناف غير موجودة في الشام . ثم ان الارض التي يقطعها الامام لاحد المسلمين من الصوافي او الموات فانها تكون عشريه (١) ، كما ان الارض اذا اقطعت لمسلم وهي من ارض الخراج وصيرها الامام عشريه فهي عشر (٢) ، وحدث مثل ذلك في الشام في عهد عبد الملك عندما اقطع ارضا كانت في الاصل خراجية توفي اهلها دون وريث فالحقت بالصوافي فصارت عشريه (٣) ، واخيرا فان ارض الخراج اذا اشتراها عربي مسلم دفعت العشر (٤) وارض الجبال التي لا يصل اليها الماء تعتبر عشريه (٥) ؛

اما من ناحية تاريخية فنرى ابا حفص الشامي يحدد الارض العشرية في الشام بقوله " كل عشرى بالشام فهو مما جلى عنه اهله فاقطعه المسلمون فاحيوه او كان مواتا لا حق لاحد فيه فاحيوه باذن الامام " (٦) ، ويذكر قدامه عن ارض العشر " ما جلى عنه العدو من ارضهم فجعل في يد من قطنه واقام به من المسلمين من الثغور (٧) فارض الثغور كانت عشرية اذا انها مما جلى عنها اهلها واقطعت بنفس الوقت للمقاتله . وكانت ارض بالس وقراها المنسوبه اليها " اعذاء عشريه قبل ذهاب مسلمه اليهم " (٨) لانها كانت مما جلى عنه اهله واقطعت للقبائل (٩) .

---

١ ـ انظر ابو يوسف ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٩ ، يحيى بن ادم ص ٢٩ ، ابو عبيد ص ٧٧ ، ١٣٠ ، ٢٢٩ ، البلاذرى ص ١٥٢ ، ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ، قدامه الخراج بن شمش ص ١٣٧ الاوزجندى ص ٢٧ ، الطبرى اختلاف ص ٢٢٨ ، الصولي ص ٢٠٩ ، السمرقندى ج ١ ص ١٣٣ الماوردى ص ١٤٧ ، ١٧٢ ، ابو يعلى ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨١ دمشق ج ١ ص ٥٩١ ، النسفي ج ٣ ص ٢٧١ ، انظر الدورى نظم ص ١١٧ ، زيدان التمدن ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، (٢) ابو يوسف ص ٦٠ ، (٣) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ (٤) الدورى العرب والارض ص ٥ ، (٥) انظر الاوزجندى ج ١ ص ٢٧٠ ، يحيى بن ادم ص ٢٥ ، (٦) البلاذرى فتوح ص ١٥٢ ، انظر ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، (٧) قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٣٧ ، انظر ياقوت ج ١ ص ٤٦ ، دينت ص ١٠٧ ، (٨) البلاذرى فتوح ص ١٥١ ، ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، (٩) البلاذرى فتوح ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، انظر الدورى العرب والارض ص ٣ ـ ٤ .

الصـــــــــــــوافـــــي : ـ

وهي في الاصل الارض التي اصبحت نتيجة للفتح لا مالك لها باعتبارها كانت مملوكه للامبراطور او الدولة البيزنطية ، او لاحد النبلاء ممن هرب او قتل او انها تابعة لاحدى مصالح الدولة ، وكل ارض كانت دون مالك عند الفتح . هذه كلها انتقلت ملكيتها الى الدولة الاسلامية او بيت المال . ومعلوماتنا عنها ضئيله ، ويمكن تكوين فكرة اوضح عن الصوافي عند النظر الى العراق ، فهي : ـ ارض من قتل في الحرب وارض مـــن هرب وكل ارض كانت لكسرى وكل ارض كانت لاحد من اهله وكل مفيض ماء وكل دير بريد او اجمه . (١) وللطبرى نص هام ذكر فيه الصوافي بعد معركة جلولاء وهي الاجام ومفيض الماء وارض بيوت النار وسكك البريد وما كان لكسرى ومن جاء معه وما كان لمن قتل والارحاء (٢) ويضيف اليها يحيى بن ادم " ومن كان كسرى اصفى ارضه " (٣) ، وهنا يكون لدينا عشرة اصناف من الصوافـــي (٤) . ونوع اخر قد يلحق بالصوافي وهو ارض اهل الخراج اذا تركوا ارضهم واخذها الامام " وان شاء تركها فقبضها الامام للمسلمين مع ما في يده مما كان في ايدى اهل فارس " (٥) ، مع ان المفروض انها ترجع للقرية في الغالب . وكذلك ارض الخراج اذا توفي صاحبها دون وريث تعود ملكيتها لبيت المال ويتصرف بها الامام كالصوافي (٦) ، كما فعل يزيد عندما حفر النهر المسمى باسمه في دمشق ، وكما فعل عبد الملك حين اقطع من الارض التي توفي اصحابها دون وريث فعاملها معاملة الصوافي . (٧)

---

١ ـ ابو يوسف ص ٥٧ ـ ٥٨ ، ابو عبيد ص ٣٩٩ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٥ ابو يعلى ص ١٤٨ ، المطيعي ج ٤ ص ٤٨٢ ، ابن رجب ص ١٠٤ ، (٢) الطبرى تاريخ ج ٤ ص ٣١ ، (٣) يحيى بن ادم ص ٥٩ ـ ٦٠ ، (٤) ابو يوسف ص ٥٧ ، يحيى بن ادم ص ٦١ ، (٥) يحيى بن ادم ص ٢٣ ، (٦) الماوردى ص ١٩٣ ، ابو يعلى ص ٢٣٢ ، (٧) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، دمشق ج ١ ص ٥٦٤ ، انظر الشريف ص ٣١ ،

وفي الشام نشأت الصوافي من ارض الامبراطور والنبلاء وكبار الموظفين خاصة من قتل منهم او هرب ومن جلى عن ارضه لبلاد الروم (١) ، اضافة الى الاجام ومغايض المياه وهي قليلة في الشام (٢) ، وعن اصلها في الشام يقول ابن عساكر " فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة عما كان في ايديها من تلك المزارع فلحقت بارض الروم ومن قتل منها في المعارك فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين " (٣) ، اذ اعتبرت ارض النبلاء الذين قتلوا او هربوا من الصوافي ومن امثلة اقطاعات النبلاء التي تحولت الى صوافي بالس وقاصرين على الفرات لجلائهم عنها (٤) .

ويلخص ابن ادم الصوافي عامة بقوله " وقبضوا على كل ارض ليست في يدى احد فكانت صوافي الى الامام " (٥) ويذكر البلاذرى ان كل عشرى بالشام اصله مما جلى عنه اهله فاقطعه المسلمون فاحيوه لذا اصبح عشرا (٦) ، وكانت الارض حول جبلة وطرطوس وبانياس ارضا صافية لانها مما جلى عنها اهله (٧) ، كما جلى اهالي المنطقة ما بين انطاكية وطرسوس لذا فتعتبر تلك المنطقة من ارض الصوافي (٨) ، ويذكر ابن عساكر ان الصوافي تكثر حول دمشق وحمص وفي البلقاء (٩) .

فحركة الفتوح دمرت الاقطاع القديم بالاستيلاء على ما سمي بالصوافي في كل الاماكن ومنها بلاد الشام حيث انتقلت ملكيتها الى بيت المال يتصرف بشؤونها الخليفة (١٠) .

---

١ ـ انظر البلاذرى فتوح ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، ابن عساكر تهذيب ج ٣ ص ١٨٤ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٤ ، (٢) الدورى نشأة الاقطاع ص ٨ ، النظم ص ١٢٠ ، (٣) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، الدورى النظم ص ١٢٠ ، (٤) انظر البلاذرى فتوح ص ١٥٠ ـ ١٥٢ ، ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، ابن عساكر تهذيب ج ٣ ص ١٨٤ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٥ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٦ ، الدورى العرب والارض ص ٤ (٥) يحيى ابن ادم ص ٢٣ ، (٦) البلاذرى فتوح ص ١٥٢ ، ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ٥٦ (٧) البلاذرى فتوح ص ١٣٣ ، ١٣٧ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٤٣٦ ، ٤٩٣ ، (٨) ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٤ ، (٩) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، ١٨٥ ،

دمشق ج ١ ص ٥٩٧ ، الدورى النظم ص ١٢٠ ، (١٠) الدورى مقدمه ص ٢٣ ، ٢٥ ، ويتناقض ما اورده شكرى فيصل في المجتمعات الاسلامية ص ٧٧ مع ما حدث اذ قال " ان العرب لم يحوزوا ارض قيصر كما فعلوا بالعراق وانما اباحوها للسكان انفسهم "

لكنها من ناحية اخرى ساعدت على ايجاد ملكية من نوع جديد قوامها الامراء والاشراف العرب ، (١)

وامر الصوافي الى الامام ان شاء اقام فيها من يعمرها لقاء اداء معين الى بيت المال وتكون الفضلة له وان شاء انفق عليها من بيت مال المسلمين واستأجر من يقوم بها وان شاء اقطعها رجلا ممن له غناء عن المسلمين (٢) وقد اقطع منها عمر ما اقطع (٣) ، ولما تولى عثمان الخلافة رأى ان عمارتها ارد على المسلمين واوفر لخراجهم من تعطيلها فاعطاها من رأى اعطاءه على ان يعمروها كما يعمرها غيرهم ويؤدوا عنها ما يجب للمسلمين عليهم ، (٤)

وكانت ارض الصوافي مصدرا رئيسيا للاقطاع في بلاد الشام ، وكانت تمنح بملكية تامة وهي ما سميت بالقطائع (٥) وكان بعضها يعطى بنوع من الايجار او المزارعه اذ يذكر ابن عساكر " فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين موقوفة يقبلها والي المسلمين كما يقبل الرجل مزرعته . . . فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبله تدخل قبالتها بيت المال " (٦) .

وقد انتبه معاوية الى الصوافي في زمن مبكر وهو وال على الشام لعثمان اذ كتب له كتابا " وصف له فيه هذه المزارع الصافية وسماها له وسأله ان يقطعه اياها ليقوى بها على ما وصف له وقال : انها ليست من قرى اهل الذمه ولا من الخراج فكتب اليه عثمان بذلك كتابا " (٧) . ولما شحن معاوية ارض الساحل الشامي بالمقاتله اتبع سياسة اقطاع القطائع للجند في سواحل جبله وطرطوس وبانياس ومرقيه بعد ان جلى عنها اهلها (٨) ويبدو انه هو اول من توسع باقطاع الصوافي اذ سأله اناس من اشراف العرب ان يقطعهم

---

١ ـ انظر ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٥٠ ، الدورى العرب والارض ص ٤

(٢) يحيى ابن ادم ص ٢٣ ، عاقل ص ٢٥٩ ، (٣) ابو يوسف ص ٥٨ ، (٤) ابو عبيد ص ٤٠٠ ، (٥) فلهاوزن ص ٢٦٦ ، الريس ص ١٥٧ ، (٦) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، (٧) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٥ ،

(٨) البلاذري فتوح ص ١٢٧ ، ١٣٣ ، أنظر ابن الاثير ج ٢ ص ٤٣٦ ، ٤٩٣ .

من ارض الصوافي ففعل (١) . ثم انه قام بمسح شامل للصوافي في بلاد الشام واعطى منها الاقطاعات لاهل بيته وخاصته حيث انه " استصفى ماكان للملوك من الضياع وصيرها لنفسه خالصة واقطعها اهل بيته وخاصته " (٢) . واقطع معاوية قسما اخر من الصوافي التي لم يكن اقطعه اياها عثمان لاناس من قريش واشراف العرب ، واكمل عبد الملك بن مروان اقطاع الصوافي في بلاد الشام اذ انه لما افضى الامر اليه " وقد بقيت من تلك المزارع بقايا لم يكن معاوية اقطع منها احدا شيئا سأله اشراف الناس القطائع منها ففعل ، قالوا ثم ان عبد الملك سأل القطائع وقد مضت تلك المزارع لاهلها فلم يبق منهـــا شيء " (٣) الامر الذى اضطره ان يقطع من ارض الخراج التي باد اهلها وعادت ملكيتها لبيت المال .

وكانت سياسة عمر بن عبد العزيز استغلال الصوافي بطريقة المزارعة او بصورة مباشرة وعدم اقطاعها اذ كتب لعماله " انظروا ما قبلكم من ارض الصافية فاعطوها بالمزارعه بالنصف ومالم تزرع فاعطوها بالثلث فان لم تزرع فاعطوها حتى تبلغ العشر فان لم يزرعها احد فامنحها فان لم تزرع فانفق عليها من بيت مال المسلمين ولا تبتزن قبلك ارضا " (٤) وربما كان ذلك في غير الشام لان ابن عساكر يروى انه في عهد عبد الملك وابنيه الوليد وسليمان لم يبق من الصوافي شاغرا في الشام (٥) .

---

١ — ابن عساكر تهذيب ج٣ ص ١٨٤ .

٢ — اليعقوبي تاريخ ج٢ ص ٢٣٤

٣ — ابن عساكر تهذيب ج١ ص ١٨٣ ، دمشق ج١ ص ٥٩٥

٤ — يحيى ابن ادم ص ٥٩ ، ويلاحظ ان كتاب عمر يبدأ وكأنه موجها لعدة عمال وينتهي وكأنه موجه لعامل واحد .

٥ — ابن عساكر ، دمشق ج١ ص ٥٩٥ ، ابن قدامه ج٢ ص ٢٧٢ ، الدوري العرب والارض ص ٥ .

الارض المـــــــــــــــوات : —

هي الارض الخراب الدارسة التي لم يجر عليها ملك لاحد ولم يوجد بها اثر عماره (١) ، ويحددها ابو يوسف كما يلي : " اذا لم يكن في الارض اثر بناء ولا زرع ولم تكن فيئا لاهل القريه ولا مرجا ولا موضع مقبرة ولا موضع محتطبهم ولا موضع مرعى دوابهم واغنامهم وليست بملك احد ولا في يد احد فهي موات " (٢) وهي مالم تكن من العامر او حريم لعامر وان كان متصلا بعامر برأى ابي يعلى (٣) ، اما الكاساني فيرى ان القريب من العامر ليس بموات (٤) ، ولا يوجد حد يفصل بين القريب والبعيد من العامر سوى العرف (٥) ،

ومن الموات ما ملكه الناس فاحيوه ثم خرب ومات وهذا لا يملكه احد الا باذن الامام كالعامر (٦) ، وهو عادى الارض التي كان لها مالك فانقرض ولم يبق لها مالك معروف فنسبت الى عاد لانهم كانوا مع تقدمهم ذوى قوة وبطش وآثار كثيرة فنسب كل اثر قديم اليهم . (٧) وهي التي عناها الرسول بقوله " عادى الارض لله وللرسول ثم لكم من بعد ، فمن احيا ارضا ميتة فهي له " (٨) .

والارض الموات تملك بالاحياء لقول الرسول " من احيا ارضا مواتا فهي له " "من اعمر ارضا ليست لاحد فهو احق بها " (٩) .

---

١ — أبن قدامه ج ٥ ص ٥١٣ ، انظر النووى تهذيب قسم ٢ ج ٢ ص ١٤٥ ، (٢) ابو يوسف ص ٦٣ ، انظر الاوزجندى ج ٣ ص ٢١٩ ، ج ٦ ص ١٢٤ ، ج ١ ص ٢٧٨ ، البخارى ج ٢ ص ٣٢ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٦ ، الصولي ص ٢١٣ ، السمرقندى ج ١ ص ٢٦٩ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ١٠ ، الكاساني ج ٦ ص ١٩٤ ، ابن منظور ج ٣ ص ٥٤٧ ، المطيعي ج ١٤ ص ٤٥٨ ، النووى مغني ج ١ ص ٣٦١ — ٣٦٢ ، النسفي ص ١٨٥ ، الزيلعي ج ٦ ص ٣٢٤ ، الفتاوى الهندية ج ٥ ص ٣٨٥ ، انظر حماده ص ٥٥ ، (٣) ابو يعلى ص ٢٠٩ ، (٤) الكاساني ج ٦ ص ١٩٤ ، (٥) ابن قدامه ج ٥ ص ٥١٧ ، (٦) الصولي ص ٢١٣ ، (٧) ابن قدامه ج ٥ ص ٥١٤ ، (٨ + ٩) ابو يوسف ص ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠١ ، يحيى ابن ادم ص ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ — ٨٥ ، البخارى ج ٢ ص ٣٢ ، ابو داود ج ٣ ص ١٤٣ ، الصولي ص ٢١٣ ، الشافعي الام ج ٧ ص ٢٣٠ ، السرخسي ج ٢٣ ص ١٦٦ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٥١٣ — ٥١٤ الماوردى ص ١٧٧ ، الكاساني ج ٦ ص ١٩٤ ، الزيلعي ج ٦ ص ٣٥ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٣٦ ،

ويرد الحديث " من أحيا أرضا ميته فهي له وليس لعرق ظالم حق " وتفسير قوله ليس لعرق ظالم حق " ان يأتي الرجل الارض الميته لغيره فيغرس بها " (١) ، واذا احيا رجل ارضا ثم هلكت فيما بعد حتى عادت مواتا فاحياها اخر مرة اخرى ملكها الاخير . (٢)

ويبدو ان الارض الموات محدودة في الشام اذ ترد اشارات دائما الى الارض التي جلى عنها اهلها فاصبحت متروكه الا انها لم تكن مواتا ومثل ذلك كل اراضي الساحل التي اقطعت للمقاتله وكذلك ارض بالس وقاصرين . اما الموات فان الاشارات اليها محدودة كمرج بردى وبعض جنباته فاخذتها جماعات قبلية واحيتها وحصل مثل ذلك حول حمص والرستن على نهر العاصي (٢) ، والسبب في قلة الاراضي الموات في الشام ان ارضها حسنة الاستغلال اذ ان الارض المعطله تكثر في البطائح او التي لا تصلح الا بالمياه وجلبها اليها لا يكون الا بكلفة ومشقه .

واحياء الموات قد يكون باذن الحاكم " الامام " او بدون اذنه ، والمرجح ان الاحياء كان في الاصل دون اذن الامام (٣) . فقد جاء رجل لعلي فقال " اتيت ارضا قد خربت وعجز عنها اهلها فكريت انهارا وزرعتها قال : كن هنيئا وانت مصلح غير مفسد معمر غير مخرب " (٤) ، وهذا دليل الاحياء دون اذن الامام ، ويعقب يحيى ابن ادم على احاديث الاحياء " وليس في الحديث باذن الامام ويرى ان قول الرسول اذنا عاما للناس . (٥)

لكن الاقبال الشديد فيما بعد على الارض واحيائها فرض ضرورة الاذن اذ وضع الامويون قاعدة بمنع احياء الارض الا بموافقة الادارة الاموية وهي قاعدة جديدة بها (٦) وعندما يناقش الفقهاء وجوب الاذن وعدمه يبرر بعضهم الاذن بانه فقط للموات القريبة من العامر ،

---

١ ــ مالك المدونه ج ٦ ص ١٩٦ ، انظر ابن قدامه ج ٥ ص ٥٢٨ ، (٢) انظر ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٥ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٧ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧٢٤ ، انظر الدورى العرب والارض ص ٩ ، (٣) مالك المدونه ج ٦ ص ١٩٥ ، انظر الماوردى ص ١٧٧ (٤) يحيى ابن ادم ص ٨٥ ، (٥) يحيى ابن ادم ص ٨٦ ، انظر الشافعي الام ج ٧ ص ٢٣٠ ، (٦) الدورى تاريخ صدر الاسلام ص ٨٦ ،

اما البعيد عن العامر فالاذن غير واجب الا ان الاذن افضل من عدمه (١) لان فيه حسم للنزاع والخصومات بين الناس كما يرى ابو يوسف مع انه يذكر حديث الرسول في الاحياء وهو غير مشروط بالاذن وانه جائز الى يوم القيامه (٢) .

اما معرفة حد القرب من العامر فهناك من يقول انه " لو وقف انسان في اقصى العامر وصاح لم يسمع الصوت منه فهو موات " (٣) بينما يذكر ابن قدامـــه انه لا يوجد حد يفصل بين القريب والبعيد من العامر سوى العرف (٤) ، وانه لا يجوز احياء ما قرب من العامر بل يترك مرعى لاهل القرية ومطارح حصائدهم (٥) ويرى مالك ان ما قرب من العامر يملك باذن الامام (٦) .

وحصل احياء دون اذن مسبق من الامام في الشام حول دمشق وحمص حيث كانت هناك " مروج مباحه فيما بين اهل دمشق وقراها ليست لاحد منهم فاقاموا حتى اوطأ الله المشركين ذلا وقهرا فاحيا كل قوم محلتهم ورفعوا ذلك الى عمر فامضاه لهم ثم امضاه عثمان ومن بعده الى زمن ابي جعفر " (٧) .

واقتصر الاحياء اول الامر على المسلمين لذا نرى البعض يقول ان الاحياء لا يجوز الا لمسلم بينما يرى اخرون ان المسلم والذمي في الاحياء سواء لان قوله (ص) من احيا ارضا ميتا فهي له اذن عام ولا تحديد فيه للمسلم فقط (٨) وربما سمح فيما بعد للذمي ان يحيي الموات .

---

١ ـ قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٦ / (٢) ابو يوسف ص ٦٤ ، وانظر ايضا الاوزجندى ج ٣ ص ٢١٩ / ج ٦ ص ١٢٤ ، الخراج " بن شمش " ص ١٢٦ ، السرخسي ج ٢٣ ص ١٦٧ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ١٠ ، النسفي ص ١٨٥ الزيلعي ج ٦ ص ٣٥ ، الفتاوى الهندية ج ٥ ص ٣٨٦ ، المطيعي ج ١٤ ص ٤٥٦ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٣٦ (٣) السمرقندى ج ١ ص ٢٦٩ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٣٦ ، شيخ زاده ص ١٢٠ ، انظر حماده ص ٥٥ ، (٤) ابن قدامه ج ٥ ص ٥١٧ ، (٥) السمرقندى ج ١ ص ٢٧٠ ، انظر ابن قدامه ج ٥ ص ٥١٦ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ١٠ ، الكاساني ج ٦ ص ١٩٤ ، النسفي ص ١٨٥ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٣٩ الشيخ زاده ص ٦٢١ ، (٦) مالك المدونه ج ٦ ص ١٩٥ ، (٧) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٥ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٧ ، (٨) الشافعي الام ج ٤ ص ١٤ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٥١٥ ــ ٥١٦ ، النووى مغني ج ١ ص ٣٦١ ــ ٣٦٢ ، الزيلعي ج ٣ ص ٢٧٢ ، الفتاوى الهندية ج ٥ ص ٣٨٦ ، المطيعي ج ١٤ ص ٤٦٠ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٣٨

والاحياء استصلاح الارض للزراعه او البناء وقد قال الرسول (صلعم) " من احاط حائطا على شيء فهوله " (١) قال مالك " واحيائها بشق العيون وحفر الابار وعرس الشجر وبناء البنيان والحرث ، فان فعل شيئا من ذلك فقد احياها " (٢) وان غلب الفياض والشجر على ارض فجاء رجل فقطعه فهو احياء لها (٣) ، كما يعتبر جلب الماء الى الارض او استخراج عين فيها احياء ايضا (٤) ، كما ان تجفيف المستنقعات واستغلال الارض يعتبر احياء (٥) ، ويفصل الماوردى في كيفية الاحياء اذ يعتبر في ذلك عمل حاجز للارض بينها وبين الارض المجاوره ثم سوق الماء اليها او حبسه عنها حسب طبيعة وضعها ان كانت جافه او بطيحه ، ثم حرث الارض وتعديلها لتصلح للزراعه فبكمال هذه الشروط يتم الاحياء ، وان كانت الغاية من احياء البناء فيكون بالبناء والتسقيف . (٦)

والاحياء يفضي الى الملكية في الواقع (٧) ، فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى احد ولاته " ان اجر لهم ما احيوا ببنيان او حرث " (٨) واذا اقطع رجل ارض موات لاحيائها فانه معرض لاسترجاع الاقطاع منه اذا لم يقم بالاحياء خلال فترة محدودة هي ثلاث سنين . وجاء تحديد المدة على لسان الرسول وعمر بن الخطاب فقد قال الرسول " وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين " (٩) اذ ان التملك لا يكون الا بالاحياء الفعلي للارض ومن هنا عرفت قاعدة التحجير .

---

١ — ابو يوسف ص ٩٥ ، يحيى ابن ادم ص ٨٨ ، ابو داود ج ٣ ص ١٤٣ ، ابو يعلى ص ٢١٠ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣٨ ، المطيعي ج ١٤ ص ٤٦٤ ، (٢) مالك المدونه ج ٦ ص ١٩٥ ، ابو عبيد ص ٤١٠ ، شيخ زاده ص ٦٢٠ ، (٣) مالك المدونه ج ٦ ص ١٩٦ (٤) يحيى ابن ادم ص ٨٦ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٦ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ١٠ ، الطوسي ج ٨ ص ١٨١ ، (٥) ابو عبيد ص ٤٠١ ، (٦) الماوردى ص ١٧٧ ، ابو يعلى ص ٢٠٩ — ٢١٠ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣٩ ، النووى مغني ج ١ ص ٣٦٥ ، المطيعي ج ١٤ ص ٤٦٣ ، انظر الخفيف ج ٢ ص ١٥٢ — ١٦٠ ، ويرى د يومبين ان العقيدة شجعت استغلال الارض الشاغرة التي تتم ملكيتها بحفر بئر او فتح جدول وهو يعني بذلك احياء الموات ص ٢٤٢ ، (٧) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٥ (٨) يحيى ابن ادم ص ٨٨ ، ابو عبيد ص ٤٠٩ ، الصولي ص ٢١٣ ، (٩) ابو يوسف ص ٦١ ، ٦٥ ، ١٠١ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٧ ، السرخسي ج ٢٣ ص ١٦٨ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٥٢٠ ، بينما يرى البعض ان المدة حددها عمر بن الخطاب بثلاث سنين بناء على العرف في زمنه انظر ابو يعلى ص ١٧٢ .

والتحجير هو الشروع في الاحياء اذ يكون المقطع احق الناس بقطيعته وليس مالكا لها الا لان الاحياء الفعلي هو الذى يؤدى الى الملكية (١) ،فاذا ما احياها اناس بعد المهله كانت ملكا لهم لان حق المقطع الاول قد زال (٢) .
ويبدو ان الاحتجار يتعلق بالارض الموات وعادى الارض معا لان الرسول ذكر تحديد المدة كتكملة لحديثه عن عادى الارض . ويذكر ابو يوسف صفة التحجير بقوله " والمحتجر هو يجئ الرجل الى ارض موات فيحظر عليها حظيرة ولا يعمرها ولا يحييها فهو احق بها الى ثلاث سنين ، فان لم يحييها بعد ثلاث سنين فهو في ذلك والناس شرع واحد فلا يكون احق به بعد ثلاث سنين " (٣) . اى ان يعمل عملا يحوز به الارض حيازة فيمتنع غيره عن احيائها لذلك . (٤)

والتحديد يشعر بمدى اقبال الناس على الارض واحياء الموات ومن هنا فلا يمكن تطبيق مثل هذا التنظيم في فترة مبكرة ولا بد انه حصل في اواخر القرن الاول الهجرى عندما اقبل الناس على الارض وملكيتها وعرفوا قيمة الارض .

---

١ ـ ابن قدامه ج ٥ ص ٥١٨ ،

(٢) ابن قدامه ج ٥ ص ٥٢٨ ، انظر ابو عبيد ص ٤٠٧ ،وابو يعلى ص ١٧٢ ،

(٣) ابو يوسف ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، انظر يحيى بن ادم ص ٨٦ ـ ٨٧ ،
الاوزجندى ج ١ ص ٢٧٩ ، ج ٣ ص ٢١٩ ، ج ٦ ص ١٢٤ ،النووى مغني ج ١ ص ٣٧٦ ،

(٤) ابو عبيد ص ٤٠٢ ، انظر ابن الهمام ج ٨ ص ١٣٨

ب ـ ملكيـــــــــــة الاراضـــــــي : ـ

لم يتجه نظر القبائل العربية اول الامر نحو تملك الارض الزراعية وذلك بسبب خلفيتهم الاجتماعية وتوجيههم للجهاد وانشغالهم بالفتوح (١) ، هذا اضافة الى ان واردهم من الغنائم لم يكن قليلا (٢) ؟

ثم ان القبائل البدوية وشبه البدوية لم تكن تحبذ الزراعة والعمل في الارض بل وترى في العمل الزراعي ما يشينها ، اما الرعي فمألوف لديها كما انه لا يبعثر جهد الجند كالزراعه اذ ان الرعي يقوم به العبيد زيادة على انه يتفق مع البداوة التي تكره العمل اليدوى (٣) ، حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب نصح القبائل المهاجرة الى الارض المفتوحه ان يقتنوا الماشيه لان العطاء وحده لا يكفي لمواجهة غوائل الزمن (٤) ، كما حذر ابو موسى الاشعرى قومه " من الدور والمزارع " (٥) وعلق اعرابي على رجل طلب من الله ان يزرع في الجنه فقال " والله لا تجدة إلا قرشيا او انصاريا فانهم اصحاب زرع واما نحن فلسنا باصحاب زرع " (٦) فاهل مكة والمدينة هم الذين يفهمون الزراعة وقيمة الارض ، اما اكثر القبائل فلم يكن لها هذا الاهتمام اذا استثنينا اهل الطائف .

اما القول بان عمر بن الخطاب منع العرب من ملكية الارض فذلك امر لا دليل عليه ولم يكن ما يدعو الخليفة ان يعارض امرا لم يكن قد بدأ في عهده . (٧)

لكن الاهتمام بالارض ظهر مبكرا لدى رجال قريش واشراف القبائل خاصة (٨) اذ انتبهت هذه المجموعة قبل سواها الى اهمية الارض واعتبارها مصدرا للربح فاتجهوا الى امتلاكها وتمثل ذلك في الاستحواذ على الارض الموات والصوافي ثم امتد الى الارض

---

١ ـ انظر الدورى تاريخ صدر الاسلام ص ٥٥ ، (٢) فلهاوزن ص ٢٧٠ ، عاقل ص ٢٦٠ ، (٣) الدورى مقدمه ص ٤٠ ، (٤) البلاذرى فتوح ص ٤٥٢ ، (٥) وكيع ج ٣ ص ٢٠٦ ، (٦) البخارى ج ٢ ص ٣٤ ، (٧) انظر فلهاوزن ص ٢٦٧ ، الدورى تاريخ صدر الاسلام ص ٨١ ، عاقل ص ٢٦١ ، (٨) الدورى نشأة الاقطاع ص ٩ .

الخراجيه (١) ،

وساهم الخلفاء انفسهم بهذا الامر حيث اقطعوا خاصتهم من الاقرباء والانصار الاراضي الزراعية فشكلوا طبقة من الملاكين الجدد (٢) .

وكان اشراف القبائل اقدر من غيرهم على فهم اهمية الارض واستغلالها بخلاف رجال عامة القبائل ، فهؤلاء لم يكن لهم هذا الادراك المبكر لاهمية الارض ولا الامكانيات المادية لاستغلالها (٣) ؟

بدأ منح الاراضي من ايام معاوية فقد سأله اناس من قريش واشراف من العرب ان يقطعهم من ارض الصوافي ففعل (٤) ، وقام بمسح شامل للصوافي في الشام واعطى منها الاقطاعات لاهل بيته وخاصته (٥) ، ونظرا لالحاح الاشراف في طلب الاقطاعات فقد نفذت ارض الصوافي ايام عبد الملك ، فراح يقطعهم من اراض خراجية صارت الى بيت المال لوفاة اصحابها دون وريث حتى استنفذت هي الاخرى مما يشعر بشدة الرغبة في اقتناء الارض ، فالحوا عليه وعلى الخليفتين بعده باقطاعهم من اراض خراجية فرفضوا . (٦)

والاقطاع كما يعرفه قدامه بن جعفر " ان يدفع الامام الى من يرون أن يدفعوا اليه شيئا مما ذكرنا — الاشارة الى اصناف معينه من الارض التي يقطع منها — فيملك المدفوع ذلك اليه رقبته بحق الاقطاع ويجب عليه العشر " (٧) وهذا الاقطاع يؤدى الى ملكية تامه للارض ودفع العشر وهو ما يعنيه الماوردى عندما يتكلم عن اقطاع التمليك فهو يعبر بذلك عن الاقطاع بمفهومه الاسلامي الذى ساد في اوائل ممارسة الاقطاع بينما يقصد باقطاع الاستغلال الاقطاع العسكرى الذى ساد في عهده . (٨)

---

١ — ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ — ١٨٤ ، دمشق ج ١ ص ٥٩٤ — ٥٩٥ ، الدورى نشأة الاقطاع ص ٩ ، (٢) انظر الدورى تاريخ صدر الاسلام ص ٨٤ ، مقدمه ص ٢٣ ٢٦ ، نشأة الاقطاع ص ٩ ، العرب والارض ص ٤ ، وانظر ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٥٠ (٣) الدورى مقدمه ص ٣٨ ، جب ص ٨ ، (٤) ابن عساكر تهذيب ج ٣ ص ١٨٣ انظر الدورى العرب والارض ص ٤ ، (٥) اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢٣٤ ، (٦) ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٤٩٥ — ٤٩٧ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧٧٢ ، الدورى العرب والارض ص ٥ (٧) قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٤ انظر الخوارزمي مفاتيح ص ٦٠ ، ياقوت ج ١ ص ٤٢ الى ٤٣ ، الدورى نشأة الاقطاع ص ٢٢ ، زيدان التمدن ص ٢٣٧ ج ١ (٨) الماوردى ص ١٩٣ — ١٩٤ ، الدورى نشأة الاقطاع ص ٢٢ — ٢٣ .

واول من اقطع ارضا في الشام هو الرسول نفسه الذى اقطع تميم الدارى ارضا في الخليل ، وبيت عينون وهي الى الشمال من مدينة الخليل ، وجاء انه كتب له بذلك كتابا وبعد الفتح نفذ الخلفاء ما جاء في الكتاب لتميم وورثته . (١)

وقد يكون الاقطاع مشروطا فان استعمل لغاية اخرى استرجع فقد ذكر ابو عبيد " ان اناسا سألوا عمر بن الخطاب ارضا من ارض اندركيسان بدمشق لمربط خيلهم فاعطاهم طائفة منها فزرعوها فانتزعها منهم واغرمهم لما زرعوا فيها (٢) وهذا يعتبر من الصوافي " ... واقطع الخليفة عثمان كثيرا من ارض الصافية لمعاوية عندما طلب منه اقطاعه اياها ليستعين بها على تسيير الامور في ولاية الشام ففعل (٣) .

وقد اتبعت الدولة الاموية سياسة خاصة ترمي الى كسب المؤيدين فكان الزعماء والاشراف يقطعون الضياع الواسعة هذا زيادة على حرص الامويين انفسهم على اقتناء الارض فالحوا في طلب الاقطاعات مما اضطر الخلفاء في الربع الاخير من القرن الاول الهجرى ان يقطعوا من ارض الخراج التي ضمت الى بيت المال لموت اصحابها عنها دون وريث، (٤) ونتيجة لما سبق فقد تكونت طبقة ملاكين عربية من الذين اتسعت املاكهم نتيجة اقطاع الخلفاء اياهم الارض (٥) ، وبقي نشوء الملكيات الكبيرة خلال قرنين الاول والثاني للهجرة معتمدا على الاقطاع من الصوافي والموات (٦) ،

وتكثر الارض المقطعه حول دمشق وحمص فقد نقل ابن قدامه عن ابن عائذ ان المسلمين عسكروا في مرج بردى بين المزة الى مرج شعبان ، وكانت جنبتي بردى مروج مباحه فيما بين اهل دمشق وقراها ليست لاحد منهم فاقاموا بها واحيا كل قوم محلتهم

---

١ ـ انظر لاقطاع تميم ابو يوسف ص ٢١٦ ، ابن سعد ج ٧ ص ٤٠٨ ، الصولي ص ٢١١ ، ابو عبيد ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ، البلاذرى فتوح ص ١٢٩ ، البكرى ج ٢ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ ، الماوردى ص ١٩١ ، ابو يعلى ص ٢٢٩ ، ابن عساكر تهذيب ج ٣ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٣ ، ياقوت ج ٢ ص ٢١٢ ، القلقشندى ج ١٣ ص ١١٨ ـ ١٢٢ ، ابن فضل الله العمرى ج ١ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ، مجير الدين ص ٨٢ ، المطيعي ج ١٤ ص ٤٨٢ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ٥٢ ، الكناني ج ١ ص ١٤٣ ـ ١٤٥ ، الحيدرباوى ص ٤٥ ـ ٤٨ ، بهجت ص ٦٦ ، الدومنكي ص ٢٨ ، (٢) ابو عبيد ص ٤٠٠ ، (٣) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ دمشق ج ١ ص ٥٩٤ ، (٤) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، دمشق ج ١ ص

٥٩٤ ـ ٥٩٥ ، انظر الدورى نشأة ص ٩ ، العرب والارض ص ٤ ، (٥) انظر الدورى تاريخ صدر الاسلام ص ٨٤ ، نشأة الاقطاع ص ٩ ، (٦) الدورى نشأة ص ٨ .

فبلغ ذلك عمر فامضاه لهم وامضاه الخلفاء من بعده (١) ،وحصل مثل ذلك في اراض حول حمص والرستن على نهر العاصي (٢) .

وهذه الاراضي كما يبدو استغلتها مجموعات قبلية وهي من الاراضي المتروكه والموات الذى تم احياؤه (٣) وكانت في مناطق غنيه (٤) ،ولعل بعضها كان من اقطاعات النبلاء الروم التي كانت كبيرة في هذه المناطق (٥) ، ويذكر ابن عساكر اسماء عدد غير قليل من القرى في منطقة دمشق في الغوطة وخارجها كانت ملكا لقبائل عربية (٦) .

وقد ساهم اقطاع التوطين الذى مارسه الامويون في الساحل الشامي خاصة في خلق ملكيات عربية للارض . ويبدو ان هذا النوع من الاقطاع كان سياسة مرسومة من ايام الراشدين فقد امر عثمان معاوية وهو امير للشام " ان ينزل العرب بمواضع نائيه من المدن او القرى ويأذن لهم في اعتمال الارضين التي لا حق فيها لاحد " (٧) وامره ايضا بتحصين المدن الساحلية في سوريا وشحنها بالمقاتله واقطاع القطائع لمن يسكنها (٨) ، ومن ذلك اقطاع المقاتله القطائع في انطاكيه (٨) وكذلك في طرطوس ومرقية وبانياس (١٠) ، واستمر ذلك الى زمن عبد الملك الذى منح المقاتله قطائع جديدة في انطاكية (١١) كما اقطع المرابطين بعسقلان الاقطاعات واقطع الوليد بن عبد الملك المقاتله ارض سلوقيه عند الساحل قرب انطاكيه (١٢) ،وقد وضعت حاميات

---

١ ــ انظر عبيد ص ٤٠٠ ،ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٨٥ ،دمشق ج ١ ص ٥٩٧ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧٢٤، (٢) ابن قدامه ج ٢ ص ٧٢٤ ــ ٧٢٥ ، (٣) البلاذرى فتوح ص ١٧٧ ، ١٨٠ ،الدورى العرب والارض ص ٧ ، (٤) ابن قدامه ج ٢ ص ٧٢٣ ، (٥) ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٩٤ ــ ٥٩٥ ،الدورى العرب والارض ص ٧ .

(٦) ابن عساكر تهذيب ج ٧ ص ١٧٦ ــ ١٩١ ، دمشق ج ٨ مخطوط ترجمة ابي الهيذام ،الدورى العرب والارض ص ٧ ، (٧) البلاذرى فتوح ص ١٧٨ ،الدورى العرب والارض ص ٣ ، (٨) البلاذرى فتوح ص ١٢٧ ،انظر ابن الاثير ج ٢ ص ٤٣٦ ،القدس مجلد ٥ ص ٩ ،الدورى نشأة ص ٨ ،مقدمه ص ٢٦ ، (٩) البلاذرى ص ١٤٧ ، (١٠) البلاذرى ص ١٣٣ ،انظر ابن العديم بغية مخطوط ص ١٧٠ ،ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٣ ياقوت ج ١ ص ٢٧٠ ، ج ٥ ص ١٠٩ ،ابن رجب ص ١٠٣ ، (١١) البلاذرى فتوح ص ١٤٧ ــ ١٤٨ ، (١٢) البلاذرى فتوح ص ١٤٤ (١٣) البلاذرى فتوح ص ١٤٨ .

في بقية المدن الساحلية مثل قيساريه وصيدا وجبيل وبيروت وعسقلان مع توطينها بمنحها الاراضي من ايام عمر وعثمان (١) ، ولما جلى اكثر اهالي بالس وقاصرين والقرى القريبة من الفرات اقطع ابو عبيده اراضيهم لجماعة من المقاتله (٢) .

ويتضح من كل ذلك اثر سياسة التوطين في تكوين الملكيات العربية في بلاد الشام .

وكان للشراء دور هام في توسيع الملكية نتيجة اقبال العرب على الارض وخاصة في فترة عبد الملك وبعده (٣) ، فبعد ان الح الاشراف عليه وعلى ابنيه من بعده باقطاعهم من ارض الخراج ورفضهم لذلك ، طلبوا منهم السماح بشراء ارض الخراج . فسمحوا لهم بذلك الامر الذى ادى الى تحويل الارض الخراجية الى عشرية وشمل ذلك كثير من القرى والضياع الواسعة (٤) .

ولما جاء عمر بن عبد العزيز لاحظ مدى انتقال ارض اهل الذمه الى المسلمين فامر بايقاف البيع واصدر امرا عاما بمنع بيع الارض الخراجية حماية لبيت المال وربما للحد من تكوين الملكيات الكبيرة (٥) ، ومع ان خلفائه وخاصة هشام التزموا بخطته الا ان ذلك لم يوقف البيع واستمر الشراء مما ادى الى فرض الخراج على الارض بصرف النظر عن المالك (٦) ، وهذا يظهر بجلاء اثر الشراء في تكوين الملكيات الكبيرة وفي ظهور طبقة ملاكين جدد (٧) .

ومن اساليب تحول ملكية الارض ، الالجاء واساسه التعزز بامير قوى او بمتنفذ ذو سلطة لتلافي مضايقة الجباه (٨) وهذا يذكر بالـ Autopragia اى حق الحماية الذى كان يحصل عليه النبلاء البيزنطيون بما فيه عدم دخول الجباه اراضيهم

---

١ ــ البلاذرى فتوح ص ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ــ ١٣٤ ، انظر الدورى العرب والارض ص ٢
(٢) البلاذرى فتوح ص ١٥٠ ــ ١٥١ ، الدورى العرب والارض ص ٣ ــ ٤ ، (٣) ابن عساكر تهذيب ج ص ٢٤٣ ، دمشق ج ٢ ص ١٣٣ / (٤) انظر ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٤٩٥ ــ ٤٩٧ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧٧٢ ، الدورى العرب والارض ص ٥ (٥) الدورى العرب والارض ص ٥ (٦) ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٧ ــ ٥٨٨ ، ٥٩٦ ــ ٥٩٧ ،
(٧) الدورى العرب والارض ص ٥ (٨) انظر الخوارزمي مفاتيح ص ٦٢ .

ود فعهم للضرائب بصورة مباشرة ، ان ظلم الجباه وعسفهم اضطر الملاكين الصغار في القرى الى طلب الحماية من الاشراف بوضع اراضيهم تحت حمايتهم (١) .

وكان للالجاء اضافة للشراء والاقطاع اثر في تكوين ملكيات كبيرة ومن امثلة ذلك انتقال بالس وقراها الى ورثة مسلمة بن عبد الملك بعد ان لجأ اليه اهلها وطلبوا منه حفر قناة من الفرات الى اراضيهم (٢) ،

ولم يقتصر تكوين الملكيات الكبيرة على بداية الفترة الاموية لكنه استمر ولعله ازداد قوة واتساعا في الفترة الاموية المتأخرة (٣) ،

وقد تمكن عمر بن عبد العزيز من ايقاف موجة التوسع في الملكيات الكبيرة لفترة قصيرة ، لكن يبدو ان الامر عاد بعده اشد مما كان في السابق حيث نلمس ذلك من تأكيد يزيد بن الوليد ١٢٦ / ٧٤٤ ، على عدم حفر القنوات والانهار واتخاذ الضياع حيث قال : " ايها الناس ، ان لكم علي الا اضع حجرا على حجر ولا لبنه على لبنه ولا اكرى نهرا " (٤) اذ انه احس بالتذمر الذى شاع من توسيع الملكيات واقتناء الاراضي على نطاق واسع من قبل الامراء وحتى الخلفاء خاصة هشام .

واذا حاولنا معرفة نوعية الملاكين في الشام نرى انهم من الاشراف العرب او الخلفاء والامراء الامويين انفسهم . فمعاويه كانت له ضيعة بالبلقاء تدعى " بقبش " (٥) وصارت لولده من بعده . وكتب لكاتبه على فلسطين سليمان المشجعي : اتخذ لي ضياعا ولا تكن بالداروم المجداب ولا بقيساريه المغراق واتخذها بمجارى السحاب . فاتخذ له البطنان من كورة عسقلان (٦) . وكانت له قرية في الغوطة تدعى " سام " (٧) واخرى " طرميس " (٨) وامتلك عمرو بن العاص ضيعة في بيت جبرين تدعى عجلان (٩) .

---

١ – د. الدورى نشأة الاقطاع ص ٧ ، ١٠ ، انظر الصالح ص ٣٨٥ ، الريس ص ٢٧٨ ،
(٢) البلاذرى فتوح ص ١٥١ ، انظر ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، الدورى العرب والارض ص ٥
(٣) انظر البلاذرى فتوح ص ٢٤٩ ، الدورى العرب والارض ص ٥ (٤) خليفة ج ٢ ص ٥٥١ ، الطبرى تاريخ ج ٧ ص ٢٦٩ ، انظر الدورى مقدمه ص ٤٦ ، (٥) البلاذرى فتوح ص ٩ – ١٠ انظر ياقوت ج ٤ ص ٣٠٠ ، ويذكرها باسم " بقنس " ابن عبد الحق البغدادى ج ٣ ص ١٣٨٦ ، بهجب ص ٦٠ ، الريس ص ٢٠٠ ، الدومنكي ص ٢٤ – ٢٥ ، (٦) الجهشارى ص ٢٦ ، الريس ص ٢٠١ ، (٧) ياقوت ج ٣ ص ١٧٣ ، (٨) ياقوت ج ٤ ص ٣٨٦ ، (٩) البلاذرى فتوح ص ١٣٨ ، انظر ياقوت ج ٢ ص ١٠١ ، بهجت ص ١٤٩ ، لسترانج ص ٤٥ .

باسم مولى له ، وله ضيعه السبع ايضا وهي قريبة منها (١) ، واقطع معاويه قرية النصرانية في الغوطه لنمران بن يزيد المذحجي (٢) ،وكانت قرية السطح قرب دمشق لعتبه بن ابي سفيان وورثها عنه ابنه عمرو (٣) . وكانت الصفوانية من نواحي دمشق لخالد بن يزيد (٤) ، واقطع يزيد بن معاويه لسعيد بن مالك بن بحدل الكلبي اقليم بيت الابار (٥) ،وكان المرج لعبد الله بن معاوية (٦) . وكانت قرية تنهج لعباد بن يزيد بن ابي سفيان (٧) ،ولوابصة بن معبد ضيعة تعرف بالوابصيه (٨) ،واقطع عبد الملك للقعقاع ضيعة قرب حلب (٩) . وكانت لداود بن مروان بن الحكم الارض الداودية (١٠) قرب دمشق . وكانت لروح بن زنباع قطيعة من عبد الملك (١١) ، ولسعيد بن عثمان قطيعة بدمشق ، واقطع عبد الملك ضيعة زملكا لحفص بن عمر الازدي وكانت من الصوافي (١٣) ولمعاوية بن مروان حقل في الشام (١٤) ، وكان للاسود ابن اصرم المحاربي قطائع في داريا (١٥) ، وكانت ضيعة بيت سابا ليزيد بن معاوية (١٦) ،ولحميد بن عقبه اقطاع في دمشق لانه كان له شرف زمن معاويه (١٧) ، وكانت قرية ريسون بالاردن ضيعة لمحمد بن مروان (١٨) ، وكانت خساف مزرعة لابي الورد الكلابي (١٩) واشترى محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس الحميمه (٢٠) ، وله جنينه عند دير البخت في دمشق (٢١)

---

١ — ياقوت ج ٣ ص ١٨٥ ،انظر الدومنكي ص ١٠٣ (٢) ياقوت ج ٤ ص ٣٠٤ ، (٣) ابن عساكر تهذيب ج ٧ ص ٤٣٩ ، (٤) . ياقوت ج ٣ ص ٤١٤ ، (٥) ابن عساكر تهذيب ج ٦ ص ٧١ (٦) ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ١٣٦ ، البلاذري انساب ج ٤ قسم ١ ص ٢٤٨ ، (٧) البلاذري انساب ج ٤ قسم ٢ ص ٧٤ ،ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ٦٣ ، (٨) ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ١٣٦ ، (٩) البلاذري فتوح ص ١٤٦ ، انظر ابن العديم بغية مخطوط ص ٧٤ ، (١٠) ابن عساكر تهذيب ج ٥ ص ١٢٥ ، (١١) ابن عساكر تهذيب ج ٥ ص ٣٣٩ ، (١٢) ابن عساكر تهذيب ج ٦ ص ١٥٥ ، ١٥٢ ، (١٣) ،ابن عساكر تهذيب ج ٤ ص ٣٨١ (١٤) البلاذري انساب ج ٥ ص ١٦٤ ، (١٥) الخولاني ص ٣٤ ،انظر الحصني ج ١ ص ٣٩٣ (١٦) ياقوت ج ١ ص ٥٢٠ ، (١٧) ابن عساكر تهذيب ج ٤ ص ٤١٢ ،دمشق ج ٢ ص ١٣١ (١٨) ياقوت ج ٣ ص ١١٢ ، (١٩) ابن العديم ج ١ ص ٥٤ ، (٢٠) البلاذري انساب مخطوط ص ٥٦٨ ، (٢١) ياقوت ج ٢ ص ٥٠٠ .

ومات عمر بن عبد العزيز عن ضيعتي بدّا وجزين بارض بعلبك (١) ، وكانت له عين تروى ضياعا بالسويداء (٢) . وكانت حرلان ناحية بالغوطة لاشراف من بني امية (٣) واقطعت قرية المزه لبني كلب وسميت بمزة كلب (٤) ، وكان فيها من قبل ضيعة لاسامه بن زيد من زمن معاوية . (٥)

ومن اصحاب الضياع الواسعة الخليفة عبد الملك بن مروان الذى اتخذ ضياعا في كل جند من اجناد الشام ، واشترى منها اربعا من خالد بن يزيد (٦) ، مما يدل ان خالد هذا كان من كبار الملاكين ايضا . وكذلك للوليد بن يزيد ضياعا واسعة فقد اقطع معاوية ابن عمر بن عتبه ضياعا له بالبثنية وقال له " اقطعتك مالي بالبثنية وما اعلم لقرشي مثله " (٧) ، فالاثنان كانا من كبار الملاكين ثم ان الرواية تدل على ان القرشيين قد يكونون اكثر من غيرهم املاكا . وتملك سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان قرية اللاذين في حوران (٨) ، وكان لسليمان بن عبد الملك بستان في دمشق خلف مرج عذراء (٩) ، وكان لبني سليمان املاك في فلسطين (١٠) . ولروح بن الوليد حوانيت "اى بساتين" (١١) في حمص اقطعها اياها والده (١٢) كما منح الوليد لزرعه بن ثوب مزرعة بما فيها (١٣) ، وكان لأبان بن مروان بن الحكم ارض أبان (١٤) وكانت لسعيد بن عبد الملك املاك بمحلة الراهب قرب دمشق (١٥) ، ولسعيد بن عثمان ابن عفان قطيعة في دمشق (١٦) .

---

١ ـ ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٨ ، (٢) ابن عبد الحكم ص ٤٥ (٣) ياقوت ج ٢ ص ٢٤٣ (٤) القزويني ص ٢٦٣ ، ابن بطوطه ص ١٠٣ ، (٥) ابن عساكر تهذيب ج ٤ ص ١٥٢ ، دمشق ج ٢ ص ٣٩٢ ، (٦) الجهشيارى ص ٢٦ ، انظر الريس ص ٢٠١ ، (٧) ابن عبد ربه ج ٣ ص ١٨٦ ، (٨) ابن عساكر تهذيب ج ٦ ص ١٢٥ ، انظر الدورى ص ٥ العرب والارض ، (٩) ابن الاثير ج ٥ ص ٢٩٣ ، ابو البقاء ص ٢١٢ ، انظر زكريا الريف ج ١ ص ٢٨٦ ، (١٠) الطبرى تاريخ ج ٧ ص ٢٦٦ ، انظر ابن كثير ج ١٠ ص ١٣ ، (١١) تعني الحوانيت في دمشق البساتين او الضياع سواء كانت مساحتها كبيرة او صغيرة ، انظر القاسمي ج ١ ص ١٦٨ ، ج ٢ ص ٢١٩ ، ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٢٥٥ ، (١٢) ابن عبد الحكم ص ٥٩ ، انظر كرد علي خطط ج ٤ ص ٦٠ ، (١٣) ابن عساكر تهذيب ج ٥ ص ٣٧٣ ، (١٤) ابن عساكر تهذيب ج ٢ ص ١٣٣ ، (١٥) ابن عساكر تهذيب ج ٦ ص ١٥٥ ، ١٥٢ ، (١٦) ابن عساكر تهذيب ج ٦ ص ١٥٥ ، ١٥٢ .

واشتهر كل من مسلمه وهشام ابني عبد الملك بالاهتمام بالارض .

اما مسلمه فقد ملك الضياع الكثيرة وكان يتعزز به كما فعل اهل بالس وقراها عندما حفر لهم نهرا مقابل ثلث الحاصل ، ثم صارت ملكا لورثته (١) ، وكانت له ارض بفراس (٢) وقرى وضياعا في شمال سوريا مثل الأسكندرونه وعين السلور وبحيرتها (٣) ، في حين احيا هشام اراض واسعة في الرصافة وحفر لاروائها نهرين هما الهني والمرى (٤) . وكان له وكيلا خاصا لضياعه في الاردن يدعى اسحق بن قبيصه (٥) .

ويبدو ان هشاماً كان من الملاكين حتى قبل توليه الخلافة وكان يحرص على ان ينال الاقطاعات الكثيرة ويذكر الطبرى احدى الطرق التي ملك فيها هشام الضياع الكثيرة وهي انه اقطع ارضا تسمى دورين " فارسل في قبضها فاذا هي خراب . فقال لذويد : ويحك كيف الحيله ؟ قال : ما تجعل لي ؟ قال : اربعمائه دينار ، فكتب " دورين وقراها " ثم امضاها في الدواوين فاخذ شيئا كثيرا " (٦) وكانت له ضيعة تسمى الزيتونه (٧) ونقل كرد علي نصا عن المنهجي ذكر فيه املاك هشام الواسعة لكنه لا يخلو من مبالغة . (٨)

ويلاحظ ان البعض امتلك الضياع في اماكن مختلفة وهذا يصدق بصورة خاصة على الخلفاء كمعاويه وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام وكبار الامراء كمسلمه . وكان اغلب الملاكين من الامويين او الاشراف المؤيدين لهم ، وقد اداروا ضياعهم بواسطة الوكلاء (٩) وهناك اخيرا الاراضي التي ملكتها القبائل وهي من الارض المتروكه او الموات التي تم احيائها (١٠) .

---

١ — البلاذرى فتوح ص ١٥١ ، ياقوت ج ١ ص ٣٢٨ ، ابن العديم بغية مخطوط ص ١٧١
(٢) البلاذرى فتوح ص ١٤٨ ، ياقوت ج ١ ص ٤٦٧ ، ابن الشحنه ص ٢٢١ ، الطباخ ج ١ ص ١١٧ ، (٣) البلاذرى فتوح ص ١٤٨ ، ٢٠٣ ، انظر ياقوت ج ٤ ص ١٦٧ ، (٤) البلاذرى فتوح ص ١٨٠ ، ٢٤٩ ، انظر البكرى ج ٤ ص ١٣٥٦ ، (٥) الجهشيارى ص ٦٠ ، انظر الريس ص ٢٧٧ ، (٦) الطبرى تاريخ ج ٧ ص ٢٠٥ ، الجهشيارى ص ٦٠ ، (٧) الطبرى تاريخ ج ٧ ص ٢٠٥ ، انظر المسعودى مروج ج ٣ ص ٢١١ ، ابن عبد ربه ج ٣ ص ١٨٧ — ١٨٨ ، (٨) كرد علي خطط ج ٤ ص ١٦٣ ، (٩) الجهشيارى ص ٦٠ ، البلاذرى فتوح ص ١٣٨ انظر الدورى العرب والارض ص ٦
(١٠) البلاذرى فتوح ص ١٧٧ ، ١٨٠ .

الفصـــــل الثالـــــث

النظـــــــــــام الزراعـــــــــي

أ ـ طـــرق اســـــتغلال الأرض : ـ

قد تستثمر الارض الزراعية بصورة مباشرة اذ يقوم صاحب الارض بزراعتهـا والعناية بمزروعاته . هذا اذا كانت ارضه قليله المساحة . اما اذا كانت الارض واسعة المساحة فاما ان يستأجر العمال الذين يقومون بالعمل في ارضه لقاء اجر يومي او سنوى مسمى او ان يؤجر ارضه لقاء مبلغ من المال سنويا . (١)

وقد عرفت طرق اخرى تقوم على اساس المشاركه بين مالك الارض والفلاح الذى لا يملك ارضا اذ يقوم الفلاح بالعمل في الارض لقاء جزء من الحاصل . وهذه الطـــرق هـــي : ـ

المزارعـــة والمســاقاه والمغارســـــه : ـ

وقد تجرى التعامل على ثمار الاشجار والمحاصيل فقط وتسمى هذه المعاملات الخاصة بالثمر : الضمان والتسليف .

اما المزارعه : فهي دفع الارض الى من يزرعها او يعمل عليها والزرع بينهما (٢) فهي عقد بين طرفين الفلاح وصاحب الارض على زرع مساحه من الارض بشرط ان يكون الناتج بينهما على جزء معلوم لاحد الطرفين كالنصف او الثلث او الربع .

وتباينت ارأء الفقهاء حول جواز المزارعه مع ان بعضها ينهى عن المزارعه

---

١ ـ عبد السلام ج ١ ص ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، الخير غوطه ص ٣٤٢ ، وتعرف حاليا طريقة تسمى بالرهن وهي كالتالي : يلجأ احد ملاكي الارض وغالبا ما يكون مالكا صغيرا الى رجل آخر ذو مال ليضع ارضه تحت تصرفه لقاء مبلغ من المال فيتصرف صاحب المال بالارض تصرفا كاملا يزرعها ما شاء او يؤجرها لغيره ويستمر ذلك حتى يعيد صاحب الارض المال ولا يخفى ما في هذه العملية من الاستغلال ولا نستطيع الجزم بوجود هذه الطريقة في القرن الاول الهجرى . (٢) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٢ .

الا انها كما يبدو تحمل اثرا للواقع ، وقد روى ابن عمر وابن عباس ان الرسول (صلعم) عامل اهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع او ثمر " اذ اقر اهلها على ان الثمر بيننا وبينكم " (١) .

اما المساقاة : فهي ان يدفع الرجل شجره الى اخر ليقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج اليه بجزء معلوم له من ثمره كالنصف والثلث والربع . (٢)

والخلاف حول جوازها اقل منه في المزارعه ذلك ان عمل الرسول (صلعم) بخيبر اعتبر مساقاة فكان سنه . وقد قيل لمالك أرأيت المساقاه تجوز على النصف والثلث والربع أو اقل من ذلك او اكثر ؟ قال : نعم (٣) . ويذكر ابن الحجاج ان المساقاه سميت كذلك لانها " تعاهد الشجر بالسقي وهو اكثر عمل المساقاه " . (٤)

وقد اعتبر عمل الرسول بخيبر مزارعة ومساقاة معا (٥) ، مما حمل النووى على القول بانهما لا تصحان الا معا اذ قال : " الا ان يكون بين النخل بياض فهنا تصح المزارعة عليه مع المساقاه على النخل " (٦) . ومن ذلك ايضا استنتج د يوسبين ان الشرع يوافق على المزارعه في حالة الارض البيضاء بين الاشجار والتي تزرع عادة بالحبوب والخضار بشرط ان يكون من صاحب عقد المساقاة والمزارعه واحدا . (٧)

ويقرر ابن قدامه جواز كل من المزارعه والمساقاه ويفند آراء المخالفين ، فهو يقول بصدد المساقاه : ان الاصل في جوازها السنة والاجماع ، فالسنة ما روى عن الرسول ومعاملته لاهل خيبر واما الاجماع فهو عمل الخلفاء الراشدين واهلوهم الذين كانوا يعطون على الثلث والربع فلم ينكر منكر عليهم فكان اجماعا . ثم يقول : " ولنا

---

١ ــ انظر لذلك مالك موطأ ج ٢ ص ٧٠٣ ، المدونه ج ٥ ص ٤ ، ابو يوسف ص ٥٠ ــ ٥١ ، ٨٩ ــ ٩٠ ، يحيى بن ادم ص ٣٧ ، الشافعي الام ج ٢ ص ٣٣ ، ابو عبيد ص ٦٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٦٥٠ ، البخارى ج ٢ ص ٣١ ، ٣٣ ، ج ٣ ص ١٤٠ ، مسلم ج ١٠ ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ــ

٢١١ ، الاوزجندى ج ٦ ص ٨٨ ، البلاذرى فتوح ص ٢٣ ، ٢٧ ، ابو داود ج ٢ ص ١١٨ ، ج ٤ ص ٢٧٣ ، ابن هشام قسم ٢ ص ٣٣٧ ، السرخسي ج ٢٣ ص ٥ ، الماوردى ص ١٧٠ ، ابو يعلى ص ٢٠١ ، الكاساني ج ٦ ص ١٧٧ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ابن تيميه ص ٢٩ ، السبكي ج ١ ص ٤٠١ ، المطيعي ج ١٤ ص ٢٣١ ــ ٢٣٥ ، النسفي ص ١٨٠ ، ابن الهمام ج ٨ ص ٣٢ ، الطورى ج ٨ ص ١٥٩ ، انظر الدورى نظم ص ١٠١ ، سابق ج ٣ ص ١٦٢ ، فكرى ج ١ ص ١٤٢ ، (٢) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٠ (٣) مالك المدونه ج ٥ ص ٢ انظر المطيعي ج ١٤ ص ٢٣٤ (٤) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ١٠ (٥) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٦ ، (٦) النووى مغنى المحتاج ج ١ ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤ انظر سابق ج ٣ ص ٥ ٢٤ وانظر ايضا ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٧ ــ ٣٨٨ ، (٧) وهو يرى ان الشرع لم يوافق على المساقاه وحدها لانه لا يسمح باستغلال الارض الا من قبل صاحبها ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ، وهذا الرأى مستند الى روايات قليلة مفرده وبرى كاسين ان الفقهاء يعترفون بكل من المساقاه والمزارعة والمغارسة ج ١ ص ١٨١

السنة والاجماع ولا يجوز التعويل على ما خالفهما " (١) ، اما المزارعه فاقراره لها يقوم اولا على ان الرسول عمل بها في خيبر (٢) ،ثم يقول " ان الحاجة داعيـــة الى المزارعه لان اصحاب الارض قد لا يقدرون على زرعها والعمل عليها والاكرة يحتاجون الى الزرع ولا ارض لهم فاقتضت حكمه الشرع جواز المزارعه . . . ولان الحاجه الى الزرع آكد منها الى غيره لكونه مقتاتاً . (٣)

لقد مارس الرسول المزارعه ومارسها من بعده الخلفاء وكبار الصحابه كابن مسعود وسعد بن ابي وقاص (٤) ، وقد روى البخارى حديثا يفهم منه ان المزارعه كانت فاشيه في المدينة قال : " ما بالمدينة اهل بيت هجرة الا يزرعون على الثلث والربع وزارع علي وسعد بن مالك وعبدالله بن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وال ابي بكر وال عمر وال علي وابن سيرين " (٥) .

ويصرح ابو يوسف بجواز المزارعه والمساقاه اذ يقول " وهو عندى بمنزلة مال المضاربه قد يدفع الرجل الى الرجل المال مضاربه بالنصف والثلث فيجوز وهذا مجهول لا يعلم ما مبلغ ربحه ليس فيه اختلاف بين العلماء فيما علمت ، وكذلك الارض عندى هي بمنزلة المضاربه الارض البيضاء منها والنخل والشجر سواء " (٦) ، ويتكلم باسهاب عن المزارعه وطرقها (٧) ،ويؤيد الاوزجندى المزارعه " لتعامل الناس في جميع البلدان " (٨) فهي اذن كانت واقع متعامل به رغم بعض الاراء التي تنهى عنها . وعند ابن تيميه " ان المزارعه جائزه في اصح قولي العلماء وهي عمل المسلمين على عهد بينهم وعهد خلفائه الراشدين . (٩) .

---

١ ــ ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٢ ،وانظر ايضا ص ٣٦٠ ــ ٣٦١ ، (٢) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٦
(٣) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٧ ، (٤) ابو يوسف ص ٦٢ ، ٩٠ ، يحيى بن ادم ص ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ابوعبيد ص ١٢١ ، السرخسي ج ٢٣ ص ١٠ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٠ ، ٣٨٤ ، السبكي ج ١ ص ٤٢٦ ، (٥) البخارى ج ٢ ص ٣١ ، الخوارزمي اسانيد ج ٢ ص ٧٧ ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣ ، ٣٦١ ، السبكي ج ١ ص ٤٠٠ ، المطيعي ج ١٤ ص ٢٣٣ ، الشوكاني ج ٥ ص ٢٨٨ ، (٦) ابو يوسف ص ٨٨ ، (٧) ابو يوسف ص ٩٠ ــ ٩١ ،
(٨) الاوزجندى ج ٣ ص ١٧٠ ، انظر السمرقندى ج ١ ص ٣١٢ ،
(٩) ابن تيميه ص ٢٨ ، السبكي ج ١ ص ٣٩٩ ، انظر الاقطارى ج ٣ ص ٣٠١

وافتى السبكي بجواز المزارعه (١) ،وذكر ملاحظه عملية في هذا المجال اذ قال : " كل من زرع ارضا ببذره فالزرع له الا ان يكون فلاحا يزرع بالمقاسمه بينه وبين صاحب الارض كعادة الشام فان الزرع يكون على حكم المقاسمه على ما عليه عمل الشام " (٢) . فاهل الشام يمارسون هذا النوع من الاستغلال للارض . حتى ان القاسمي يذكر مهنة المرابع من بين المهن التي يعتمد السكان عليها في حياتهم (٣) ، كما يسمي الفلاح الذي يتعامل بالمزارعة باسم المزارع او الزارع او البستاني (٤) ،ولا زالت تشيع طريقة المرابعه التي هي نوع من المزارعه (٥) ، حيث يكون للفلاح ربع الحاصل على ان تكون مؤونته من صاحب الارض ، ويشيع هذا في منطقة السويداء (٦) ،وفي هذه الحالة يكون البذور والحيوانات من المالك والعمل على الفلاح ، اما في القلمون فصاحب الارض يقدم البذر والارض والماء لان الزراعه هناك مرويه وعلى الفلاح العمل والحيوانات ويكون له هنا ثلث الحاصل (٧) ، وتشيع الطريقتان في الغوطة ايضا (٨) ، وتعرف في الغوطة طريقة اخرى وهي ان يقدم صاحب الارض ارضه فقط والباقي من بذر وحيوان وعمل على الفلاح ويكون نصيب الفلاح هنا النصف او الثلثين (٩) ،

وفي الارض البعلية يقدم صاحب الارض ارضه فقط وما عدا ذلك فعلى الفلاح فيكون نصيب الفلاح هنا ثلاثة ارباع الحاصل او اربعة اخماسه ، اما في حالة اشتراكهما بدفع كل شيء مناصفه فيكون الحاصل ايضا مناصفه . (١٠)

---

١ ــ السبكي ج ١ ص ٣٩٩ ، (٢) السبكي ج ١ ص ٤٣٩ ، (٣) القاسمي ج ٢ ص ٤٢٧
(٤) القاسمي ج ١ ص ١٦٨ ، ج ٢ ص ٤١٩ ، ٤٣٠ ، (٥) ابن تيميه ص ٣١ ، انظر عبد السلام ج ١ ص ٦٤٦ ، (٦) العيسمي ص ١١٥ ، الخير غوطه ص ٣٣٨ ، (٩) زكريا الريف ج ٢ ص ١٤٢ ــ ١٤٣ ، الخير غوطه ص ٣٣٨ ، (١٠) انظر عبد السلام ج ١ ص ٦٤٦

(٧ + ٨) زكريا الريف ج ٢ ص ١٤٢ ــ ١٤٣ الخير غوطه ص ٣٣٨ ،

والمزارعه هي المخابره (١) ،والخبير الاكار وقيل المخابره معامله اهل خيبر (٢) ، ويذكر النووي ان المخابره هي المعامله على الارض ببعض ما يخرج منها ويكون البذر من العامل والمزارعه مثلها الا ان البذر من مالك الارض (٣) ويذكر الكاساني ان المساقاه هي المعامله (٤) وجاء اللفظ من معامله الرسول لاهل خيبر وعدم الدقة في التعبير جاءت من ان عمل الرسول اعتبر مساقاة ومزارعه فقيل المعامله هي المساقاه واحيانا تأتي بمعنى المزارعه .

ونلمس مما سبق ان المساقاه والمزارعه مارسها المسلمون واتبعت في بلاد الشام ، اما منشأ الخلاف بين الفقهاء في جوازهما فهي احاديث نسبت للرسول عليه السلام ،رواها اثنان عن الصحابه هما رافع بن خديج وجابر ابن عبد الله كما وردت اشارة عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري بنفس المعنى الذي اورده رافع وجابر . فقد ذكر رافع عدة احاديث بمعنى واحد يريد من ورائها بيان النهي عن المزارعه وكراء الارض لقاء شيء مما تنبته فقد قال " نهى رسول الله (صلعم) عن امر كان بنا رافقا ،فقال لنا : ما تصنعون بمحاقلكم ؟ قلنا نؤاجرها على الربع والاوسق من التمر والشعير فنهى عن ذلك وانه قال من كانت له ارض فليزرعها او ليزرعها اخاه ولا يكريها بالثلث ولا بالربع ولا بطعام مسمى " (٥) ،كما روى جابر بن عبد الله وابو هريره ما يؤيد قول رافع (٦) ،وروى ابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت النهي عن المحاقله (٧) ،وهي بيع الزرع بالحنطه " (٨) .

---

١ ــ الخوارزمي مفاتيح ص ١٣ ،الطباعة المنيرية ــ القاهرة ، (٢) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٣

(٣) النووي تهذيب قسم ٢ ج ١ ص ٨٧ (٤) الكاساني ج ٦ ص ١٨٥ (٥) لهذه الاحاديث انظر مالك المدونه ج ٤ ص ٥٤٥ ،الموطأ ٢ ص ٧١١ ،البخاري ج ٢ ص ٣٣ ، مسلم ج ١٠ ص ٢٤ ،ابو داود ج ٤ ص ٢٢٩ ، ٢٧٠ ــ ٢٧١ ،النسائي ج ٨ ص ٣٣ ــ ٣٤ ، ٤٠ ،ابن قدامه ج ٥ ص ١٨٣ . (٦) انظر مالك المدونه ج ٤ ص ٥٤٥ ،البخاري ج ٢ ص ٣٣ ،مسلم ج ١٠ ص ١٩٣ ــ ١٩٤ ، ١٩٦ ــ ١٩٧ ، ٢٠١ ،الخوارزمي اسانيد ج ٢ ص ٧٧ ،الشوكاني ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥ ، (٧) مسلم ج ١٠ ص ٢٠١ ،ابو داود ج ٤ ص ٢٧٣ ،

(٨) الخوارزمي مفاتيح ص ١٣ الطباعة المنيرية ــ القاهرة .

وبالمقابل نكاد نرى اجماعا على شرعية العمل بالمزارعه والمساقاه معا مع ان الخلاف في المساقاه اقل شأنا . ويقول ابن عباس ان النبي لم ينه عن المزارعه ولكن قال : " ان يمنح احدكم اخاه خيرا له " (١) وهذا يفيد معنى التخير وليس النهي المطلق . وذكر السبكي أن ابن عباس قال : " ان الرسول لم يحرم المزارعه " ولكن امر ان يرفق بعضهم ببعض ". (٢)

اما عن كراء الارض فقد قال ابن عمر " لقد كنت اعلم في عهد رسول الله ان الارض تكرى " (٣) ، وقال سالم ابنه " اكثر رافع لو كان لي مزرعه اكريتها " (٤) . وقال زيد بن ثابت : يغفر الله لرافع انا والله اعلم منه بالحديث انما جاء الرسول رجلان اقتتلا واختلفا وكان قد عملا بالمزارعه فعندها قال الرسول (صلعم) " ان كان هذا شأنكم فلا تكروا المزارع " (٥) .

ومما يورده رافع نفسه من النهي عن المزارعه انما هو نهي عن صيغه معينـــه من صيغ المزارعه التي يلحق فيها الظلم بأحد الفريقين ولانها تعتمد على الحظ . فعن حنظله بن قيس الانصاري قال : " سألت رافع بن خديج عن كراء الارض بالذهب والورق فقال لا بأس بها انما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله (صلعم) على الماذيانات واقبال الجداول واشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويسلم هذا ويهلك هذا ولم يكن للناس كراء الا هذا فلذلك زجر عنه فاما شئ مضمون معلوم فلا بأس به " (٦)

---

١ ــ البخاري ج ٢ ص ٢هـ ٣٣ ، مسلم ج ١٠ ص ٢٠٧ ، ابو داود ج ٤ ص ٢٦٧ ، النسائي ج ٨ ص ٣٦ ، السرخسي ج ٢٣ ص ١٢ ، ابن عساكر تهذيب ج ٤ ص ١٦١ ، السبكي ج ١ ص ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٨ ــ ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٥ ؛
(٢) السبكي ج ١ ص ٤١٦ ، انظر الشوكاني ص ٢٩٥ ، الخطيب ص ١٣١ ، (٣) مسلم ج ١٠ ص ٢٠٤ ، (٤) مالك الموطأ ج ٢ ص ٧١١ ، (٥) انظر ابو داود ج ٤ ص ٢٦٧ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٥ ، سابق ج ٣ ص ١٦٤ ، (٦) انظر ابو داود ج ٤ ص ٢٨٦ ، النسائي ج ٨ ص ٤٣ ، السرخسي ج ٢٣ ص ١١ ، السبكي ج ١ ص ٤٠١ ، ٤٠٨ ، المطيعي ج ٤ ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ ، انظر الى قدامه ج ٥ ص ٣٦٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ويقصد بالماذيانات واقبال الجداول اى اطراف قنوات المياه والانهار التي تروى بها الارض حيث كانت تخصص لزرع قسم من المحصول ويعتبر ذلك للفلاح فهذا الذى نهي عنه .

ولا يرى السبكي في احاديث رافع وجابر وابي هريرة منعا للمزارعه (١) ،لان المزارع في حالة المزارعه انما يكون كوكيل صاحب الارض لقاء جعل " (٢) وكان سالم مولى عمر يزارع فقال : " ما كنت لاترك معاشي لقول رجل واحد " (٣) ،ونصح طاووس بالمخابره " على الشطر والثلث والربع ولا تخابروا على كيل معلوم " (٤) ،ويعلق ابن قدامه على احاديث رافع بقوله : " ان احاديث رافع مضطربه جدا مختلفه اختلافا كثيرا " يوجب ترك العمل بها لو انفردت فكيف يقوم على مثل حديثنا " ، وانكر قوله زيد بن ثابت وابن عباس (٥) ، ويعقب مرة اخرى بقوله " فكيف يتصور نهي النبي (صلعم) عن شيء يخالفه ؟ ام كيف يعمل بذلك في عصر الخلفاء ولم يخبرهم من سمع النهي عن النبي (صلعم) وهو حاضر معهم وعالم بفعلهم ولم يخبرهم " (٦) ، كما يدافع ابن تيميه عن جواز المزارعه والمساقاه بحماس بالغ وان اجماع الصحابه عليها اكبر مؤيد لشرعيتها (٧).

ولعقد المزارعه والمساقاه شروط واحكام اسهب الفقهاء في الكلام عنها وشرحها ويمكن تحديدها بما يلي : —

ان يكون الخارج بين الطرفين على حصة معلومه كالنصف او الثلث او الربع والا يكون محددا بمكيال معلوم فلا يجوز ان يكون لاحدهما مثلا قنطار والباقي للاخر لانه ربما لا يصل الناتج الى القنطار ،وكذلك لا يجوز تخصيص مساحة معينه من الزرع لاحدهما وما تبقى للاخر لان هذا ما نهى عنه الرسول فربما هلك قسم من الزرع وسلم الباقي .

---

١ — السبكي ج ١ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ (٢) السبكي ج ١ ص ٤٠٨ ،
٣ — الخوارزمي اسانيد ج ٢ ص ٨١ (٤) السرخسي ج ٢٣ ص ٥
(٥) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٥ (٦) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٠
(٧) ابن تيميه ص ٣٠ ، ٣١ .

كما يجب ان يجرى الاتفاق على نوعية الزرعه بينهما وان تحدد مدة العقد ثم ان يخلى بين الارض والفلاح (١) ، وعلى صاحب الارض ما فيه حفظ الاصل كسد الحيطان وانشاء الانهار وعمل الدولاب وحفر بئره (وعبر بعض اهل العلم بقوله كل ما يتكرر كل عام فهو على العامل وما لا يتكرر فهو على رب المال) . اما بقر الحرث والدولاب فهو على العامل (٢) وعلى صاحب الارض تقديم السماد اما نثره فعلى الفلاح (٣) . ويقع على الفلاح ايضا كل ما شأنه رعاية الزرع وتعهده من تهيئة الارض وزراعتها حتى يكون الموسم فيكون عليه في المساقاة مثلا كل ما فيه صلاح الثمرة وزيادتها مثل حرث الارض تحت الشجر والبقر التي تحرث والة الحرث وسقي الشجر واستقاء الماء واصلاح طرق الماء وقطع الحشيش والشجر اليابس وزبار الكرم وقطع ما يحتاج الى قطعه وادارة الدولاب والحفظ للثمر في الشجر وبعده حتى يقسم واذا كان مما يشمس فعليه تشميسه (٤) . والنفقة كاملة عليهما بقدر الحصص ، فاذا اشترط ان تكون نفقة الحصاد والدياس والتذرية على الفلاح وحده لم يجز ذلك (٥) . وهذا يشعر ان هذه الشروط كانت توضع على الفلاح حتى ان ابن قدامه يصرح بجواز ان تكون هذه الاعمال على الفلاح ، لان ذلك من العمل الذى يتكرر كل عام (٦) مع ملاحظة ان الكثير مما يورده ابن قدامه هو الواقع .

---

١ ــ لهذه الشروط انظر مالك المدونه ج ٥ ص ٢ ، الاوزجندى ج ٣ ص ١٧٠ ــ ١٧١ ، ١٧٤ ــ ١٧٥ ، ١٨٠ ، السمرقندى ج ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٢ ــ ٣١٥ ، الطوسي ج ٧ ص ١٩٧ ، الكاساني ج ٦ ص ١٨٢ ، النووى مغني ج ١ ص ٣٢٨ ــ ٣٢٩ ، النسفي ص ١٧٩ ــ ١٨٠ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٣ ــ ٣٦٩ ، المطيعي ج ١٤ ص ٢٤٠ ، ابن الهمام ج ٨ ص ٣٤ ، ٢٠٠ ، شيخ زاده ص ٥٩٤ ، الكرمي ص ١٢٨ ، سابق ج ٣ ص ١٦٦ ، فكرى ج ١ ص ١٧٢ ،

(٢) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٩ ، (٣) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٧٠ ، (٤) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٩ ، (٥) الاوزجندى ج ٣ ص ١٨٠ ، السمرقندى ج ١ ص ٣١٤ ، النسفي ص ١٨٠ ، البغدادى مجمع الضمانات ص ٣١٤ ، ابن الهمام ج ٨ ص ٤٥ ،

(٦) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٧٠ .

وفي الاصل يجب ان يكون البذر من المالك والعمل من العامل (١) ،
ويجوز ان يكون البذر من العامل ويكون الحاصل على النصف ، او ان يكون البذر مناصفه وكذلك الحاصل . (٢)

واذا كان في البستان عدة انواع من الشجر كالتين والزيتون والرمان والكرم حددت حصة الفلاح من كل نوع على حده . (٤)

اما تأجير الارض بالنقد فهو امر شائع في الشام او قد اجمع اهل العلم على ان اكتراء الارض وقتا معلوما جائز بالذهب والفضه . (٥) والتأجير يكون لقاء مبلغ من المال يتفق عليه صاحب الارض والفلاح وقد تحدد نوعية المحصول المراد زرعه في العقد ويذكر ابو يوسف ان " اجارة ارض بيضاء بدراهم مسماه سنه او سنتين فهذا جائز " (٦) وقد رد ابن تيميه على من قال بعدم جواز تأجير الارض المقطعه مشيرا الى السوابق والعرف اذ يقول : " وما علمت احدا من علماء المسلمين لا اهل المذاهب ولا غيرهم قال ان اجارة الاقطاع لا تجوز وما زال المسلمون يؤجرون الارض المقطعة من زمن الصحابه الى زماننا هذا . لكن بعض اهل زماننا ابتدعوا هذا القول ... ومن حرم الانتفاع بالمؤاجرة والمزارعه فقد افسد على المسلمين دينهم ودنياهم " (٧) فالتأجير امر شائع في الشام قديما ولا يزال شائعا حتى الان .

---

١ — ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٨ ، (٢) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٩ — ٣٩٠ ،

(٣) ويفصل الكاساني كثيرا في الحديث عن شروط المزارعه والمساقاه ويدور التفصيل حول شرعية الشروط ولئلا يغبن احد الطرفين الطرف الاخر . انظر الكاساني ج ٦ ص ١٧٥ أ — ١٨٧ ، وانظر ايضا ابو يوسف ص ٩١ ، السمرقندى ج ١ ص ٣١٣ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٩ ، ابن الهمام ج ٨ ص ٣٥ — ٣٦ .

(٤) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٦٤ ، (٥) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٩٤ ،

(٦) ابو يوسف ص ٩١

(٧) ابن تيميه ص ٣٠ — ٣١ .

وهذا لا يمنع وجود نوع من التسامح بين الناس كأن يعير احدهم ارضه لاخر يزرع فيها ما شاء دون اجرة والحاصل يكون كله للفلاح . (١)

واتبع اسلوب اخر للتعامل في استغلال الارض الا وهو " المغارسه " وهي عقد بين طرفين احدهما صاحب الارض والاخر الفلاح يتعاقدان على ان يقوم الفلاح بغرس الاشجار المثمرة في الارض البيضاء وله حصة من الارض والشجر عند نهاية مدة الاتفاق (٢) . وبموجب ذلك تنتقل ملكية جزء من الارض للفلاح . (٣)

ويذكر الاوزجندى انه اذا دفع رجل لاخر ارضا بيضاء سنين معلومه ليغرسها شجرا او كرما على ان الشجر والارض بينهما نصفان فهذا فاسد . (٤) ومن هذا النهي نلمس ان هذه الطريقة من الاستثمار للارض كانت معروفة اشار اليها الاوزجندى ومن بعده ابن قدامه الذى يقرر نوعا جائزا من المغارسه فيقول " وان ساقاة على شجر يغرسه ويعمل فيه حتى يحمل ويكون له جزء من الثمرة معلوم صح ايضا والحكم فيه كما لو ساقاه على صغار الشجر ... وهنا يكون لقاء الغرس ان يكون غلة الارض بينهما حسب الاتفاق " (٥) فهو يرى المغارسه مثل المساقاة ولا شيء للفلاح من الارض (×) لانه يعود ويجعل المغارسة " التي تقوم على ان الارض والشجر بينهما " فاسده غير جائزة (٦) في حين يذكر صاحب كتاب احكام المغارسة انه اذا طلب صاحب الارض من العامل ان يغرس ارضه بالاشجار " فاذا بلغت كذا وكذا فالارض والشجر بيننا نصفين فذلك جائز " (٧)

ومن هنا يتضح ان المغارسه التي قامت على اساس تملك العامل لجزء من الارض كانت امرا واقعا وليس فقهيا ، وهذا غير العمل بغراسة الارض بالاجرة النقدية . (٨)

---

(١) ابو يوسف ص ٩١ (٢) انظر كاهين ج ١ ص ١٨١ ، د يوسفين ص ٢٤٣
فكرى ج ١ ص ١٧٦ ، الخير غوطه ص ٣٤٢
(٣) انظر عبد السلام ج ١ ص ٦٤٦ — ٦٤٧ ، (٤) الاوزجندى ج ٣ ص ٢٠١ ، انظر ابن الهمام ج ٨ ص ٤٩
(٥) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨٠ — ٣٨١ ، انظر الخير غوطة ص ٣٤٢
(٦) ابن قدامه ج ٥ ص ٣٨١
(×) انظر الراشد ص ٤ . (٧) الراشد ص ٥ (٨) انظر الراشد ص ٥

ويبدو لنا ان المزارعه والمساقاه شاعتا اكثر من المغارسه يدل على ذلك قلة اعتناء الفقهاء بالمغارسه مع انها لا زالت معروفة وشائعه حتى اليوم . (٢)

اما عن كيفية العقد بالمغارسه المعروفة حاليا فهي ان يتفق الفلاح مع المالك على ان يعمر ارضه ويغرسها بالزيتون مثلا او الاشجار المثمرة خلال فترة محدودة وغالبا ما تطول المدة لتصل الى عشر سنين وللفلاح خلال هذه المدة ان يزرع الارض البيضاء حتى يكبر الشجر ويثمر ويجرى الاتفاق بينهما ايضا على حصة كل منهما من الزرع وانتاج الشجر خلال فترة العقد ، وفي النهاية تقسم الارض بما عليها من شجر على الثلث او الربع كما اتفقا في العقد . لكن صاحب الارض في المغارسه هو صاحب النصيب الاكبر دائما . (×)

وهناك اساليب عرفت لاستثمار الثمر فقط سواء كان من الشجر او المحاصيل ومن هذه الاساليب التي يبدو انها عرفت قديما وتزال معروفة " التسليف " ومحور هذا الاسلوب هو ثمر الاشجار فقط ، ويذكر الدينورى عند ما يتكلم عن شجر البان ان " الناس يسلفون في ثمره الاموال " (١) اى ان يسلم رجل ذو مال صاحب الشجر مبلغ من المال على ان له ناتج شجره في هذا العام وغالبا ما تجرى على الزيتون وهي عملية اضطرارية يلجأ اليها صاحب الشجر عند حاجته للمال قبل جنيه للثمر اما صاحب المال فيستفيد حيث يكون قد اشترى ناتج الزيتون بمبلغ زهيد بالنسبة للسوق .

واخيرا نذكر طريقة اخرى من طرق استثمار الاشجار " الضمان " او التضمين وقد عرفت في العصر الاموى يدل على ذلك ما ذكره ابو البقاء من ان سليمان بن عبد الملك كان له بستان اراد ان يضمنه لرجل ، ويسمى عمله " البستاني لانه يضمن البساتين " ويقال ان سليمان اكل من البستان ما جعل البستاني يعدل عن رأيه في ضمان البستان (٣) ومهما كانت صحة الرواية الا انها تدل على ان هذا النوع من التعامل كان موجودا ايام الامويين .

وعند حصول الاتفاق بين صاحب البستان والبستاني يأخذ المالك المبلغ الذى اتفقا عليه لقاء تسليم الشجر او الزرع للضمان الذى يستغل المحصول حتى اخر الموسم .

---

١ — الدينورى ص ٤٩ ، (×) هذا ما يجرى بين الناس حاليا ولم اعتمد في ذلك على مرجع مطبوع .
(٣) ابو البقاء ص ٣١٢ ، انظر القاسمي ج ٢ ص ٢٨٤ ، الخير غوطه ص ٣٤١ .
(٢) عبد السلام ج ١ ص ٦٤٦ — ٦٤٧ .

وينتهي العقد بانتهاء موسم القطاف ، وهذا الاسلوب شائع جدا في بلاد الشام حاليا . (١)

ب ـ الاســـــاليب الزراعيـــــة :ـ

مارس اهل الشام طريقة تبوير (٢) قسم الارض وزراعة قسم آخر ، اذ يذكر النويرى ان من عادة اهل الشام " ان كل فلاح يقسم الاراضي التي بيده شطريـــن فيزرع شطرا ويريح شطرا ويتماهده بالحرث لتقرع الشمس باطن الارض ثم يزرعه في القابل ويريح الشطر الثاني الذى كان به الزرع هذا دأبهم " (٣) ، ولا يزل اهالي منطقة حماه وحمص وحوران يتبعون نظام قسمة الارض الى قسمين يزرعون الاول منهما في السنة الاولى ويتركون القسم الاخر بورا وفي السنة الثانية يزرعون القسم الثاني ويتركون القسم الاول بورا وهكذا . (٤) وكذلك الحال في دوما (٥) ، كما يتبع ذلك في الجنوب الشرقي من بلاد الشام لاراحة الارض وكسب محصول جيد من القسم الذى ترك بورا عند زرعه . ويسمى هذا القسم المتروك بالكراب (٦) .

والبعض يذكر طريقة التبوير باسم تحويل الارض (٧) " اى زرعها حولا وتبويرها حولا ويطلق ابو هلال العسكرى اسم المستحال على الارض تزرع عاما وتترك عاما . (٨)

ويرى كين ان هذه الطريقة تشيع حيث تقل الامطار كمنطقة بئر السبع مثلا حيث يزرعون الارض سنة شعيرا واخرى تبور الارض لتستريح . (٩) وفي الواقع فانها اكثر ما تشيع في الشام في القسم الشرقي منها (١٠) حيث الامطار القليلة .

---

١ ـ انظر عبد السلام ج ١ ص ٦٤٧ ، (٢) التبوير : ترك الارض دون زراعه اذ تحرث وتترك للعام القادم وتسمى الكراب . (٣) النويرى ج ٨ ص ٢٥٦ ، انظر حتي لبنان ص ١٢٢ الصالح ص ٣٨٠ ، عبد السلام ج ١ ص ٦٤٨ ، (٤) انظر حماده ص ١٠٠ ـ ١٠٠ ، الكيلاني ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، (٥) زكريا الريف ج ١ ص ٢٦٦ ، (٦) النويرى ج ٨ ص ٢٥٧ ، (٧) كين ص ١٦ ، (٨) ابو هلال العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٦ ، (٩) كين ص ١٧ ، (١٠) حماده ص ١٠٠ ،

ويفترض ان يعتني الفلاحون بتسميد اراضيهم يرمون من وراء ذلك اخصاب الارض وزيادة الانتاج واهتموا بذلك حتى ان ابن وحشيه يفرد بابا خاصا للاسمدة تحت عنوان " باب ذكر عمل الازبال التي تصلح بها الارضون والمنابت " (١) ، وهي روث الحيوانات جميعا وفضلات الناس كما استعمل الرماد والتبن سمادا للارض (٢) ، ويفضل استعمال رماد اى شجرة لتسميد مثلها . (٣) اما السماد المخلوط بشتى الانواع فهو افضل ما يسمد به الزيتون (٤) ، ويفاضل ابن وحشيه بين الازبال ويرى ان افضل ازبال الطيور فضلات الحمام ثم فضلات الناس . (٥) ويجمل الازبال بقوله : " واقول ها هنا قولا كليا مجملا ان ازبال جميع الحيوان نافعة للمنابت وكذلك اتبان جميع المنابت نافع مستعمل وكذلك ارمدة جميع النبات نافعة مستعمله " (٦) . كما عرف تعفين النباتات لجعلها سمادا للزرع . (٧) واجود الازبال للارض " ما اتت عليه بعد عفنه سنتان فان اتت عليه ثلاث فهو اجود وان اتت عليه اربع سنين زالت عنه جميع الروائح المنتنه " (٨) ويوصي ابن وحشيه الفلاحين الا يستعملوا الزبل في السنة الاولى لكنه يصرح بان الزبل لا يستعمل بعد اربع سنين " فانه لا عمل له لان قوته قد انقطعت تماما " (٩) ، واحسن الازبال ما ترك عامين فانه " احسن وافضل وهو زبل جيد محمود " (١٠) .

---

١ ـ ابن وحشيه ص ١٨٤ ، انظر قسطوس المخطوط ص ١٦ أ . ابن العوام ص ٤٧ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ، ص ٢٨١ ، ٤١٩ ، (٢) ابن وحشية ص ١٨٥ ب ـ ١٨٦ أ .
(٣) ابن وحشيه ص ١٨٦ أ . ابن العوام ص ٥٠ ، النابلسي ص ١٠ ، (٤) قسطوس ص ٢٢ انظر ندى ج ١ ص ٢٩٧ ، (٥) ابن وحشيه ص ١٨٤ أ . انظر قسطوس ص ٢١ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ٦٩ ص ٤ أ ، (٦) ابن وحشيه ص ١٨٦ أ ، انظر النابلسي ص ١٠ ـ ١١ ،
(٧) ابن وحشيه ص ١٨٩ أ ، انظر ابن العوام ص ٥٤ ، (٨) ابن وحشيه ص ١٨٩ ب انظر ابن الحجاج مخطوط رقم ٦٩ ص ٤ ب ، النابلسي ص ١٠ ، (٩) ابن وحشيه ص ١٩٣ ب ،

(١٠) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٢٨٢ .

ويبدو ان هذه الانواع من الازبال التي استعملت قديما ظلت الى عهد قريب هي السماد الذي يستعمله الفلاح الشامي اذ ان سماد ارضه هو روث الحيوانات والنفايات وبقايا النباتات . (١) لكن ما هي كلفة السماد قديما ؟ وهل كان يستعمل للمزروعات المجزية كاشجار الفواكه مثلا ؟ فتلك امر لا نستطيع الجزم بها لعدم ورود ما يؤكد ذلك او ينفيه عن فلاحي بلاد الشام في الفترة الاموية .

واتبعت طرقا خاصة لمعرفة وجود المياه الجوفية كاستدلالهم من وجود بعض النباتات وكثرتها في منطقة معينة على كثرة الماء الجوفي فيها (٢) ، ويذكر ابن وحشيه الة تسمى " ميراثا " تعين على معرفة وجود الماء وكثرته في الارض . (٣)

ويوصي ابن الحجاج بغرس الشجر الطويل " مع حوائط البستان حتى تدور بنواحيه كلها فانه احسن كالدلب والسرو والصنوبر والصفصاف والجوز والبندق وما اشبه ذلك " (٤) . وذلك لصد الرياح عن البستان . وينصح ابن الحجاج ان تعمل العرائش " الكروم " والمعرشه افضل واطيب وليكن ارتفاع الكرمه ثلاثين قدما " . (٥)

واتبعوا اساليب حسنه في تنظيم الزراعة كابعاد الشجر والمسافة بين كل شجرة واخرى فابن بصال يقول عن الزيتون " والمسافة بين الغرسة والاخرى عشرون ذراعا وهو مذهب اهل الشام " (٦) . ومن الامثال القديمة لدى الفلاحين ما يؤيد ذلك " تقول الشجرة لجارتها ابعدى عني ظلك احمل حملي وحملك " . (٧)

---

١ ــ حماده ص ٩٥ ، (٢) انظر لذلك ابن وحشيه ص ٢٣ ب ــ ٢٤ أ ، قسطوس مخطوط ص ٥١ أ ــ ٥١ ب ، وكتاب الفلاحين اليونانية ص ٢١ ، ابن العوام ص ٦٦ ــ ٦٧ ، ٦٨ ، ابن بصال ص ١٧٥ ــ ١٧٦ ، النابلسي ص ١٥ ــ ١٨ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤٠٦ ــ ٤٠٧ ، ٤١٦ ــ ٤١٧ ، ورقم ٦٩ ص ٢ ب ــ ٣ أ ، رقم ٦٣٣٢ ص ٣٨ ب ، (٣) ابن وحشيه ص ٢٧ أ ــ ٢٧ ب ، (٤) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤٣٨ ، انظر ابو النصر ص ٤٤٨ ، (٥) ابن الحجاج مخطوط رقم ٦٩ ص ٢١ أ ، (٦) ابن بصال ص ٦٠ ، انظر ابن العوام ص ٩٤ ، النابلسي ص ٢٥ ، (٧) الثعالبي خاص ص ٦٤ .

ولا يزال الناس يزرعون اللوز مثلا كما نصح به ابن الحجاج عندما يقول :

" ويجعل بين نواة واخرى اثنا عشر ذراعا ويعلم على كل نواة بعلامة او يوقف عليها عودا " واللوز ان ترك في المكان الذى يزرع فيه نواه ولم ينقل الى موضع سواه كان احسن . (١)

واذا اريد قطع الاغصان الغلاظ من الشجرة فيجب " ان تقرض بالمنشار ولا تنشر الا من اسفل اولا فانها ان نشرت من الاعلى تنزل الغصن فسلخ جرم الشجرة فاثر فيه فيكون ذلك سببا لفساده " (٢) ولا يزال الفلاح يتبع هذه النصيحة كي لا ينسلخ قشر الشجرة عن جرمها عند نشر الاغصان .

اما التطعيم وهو التركيب " فقد مارسوه بجميع اشكاله (٣) ويذكر ابو البقاء انه " كان بالغوطة اشجار تحمل الواحده منها اربع فواكه . . . كذلك الكرمه الواحده تطرح العنب الابيض والاسود والاحمر " (٤)

ويصف ابن الحجاج طريقة الترقيد وصفا جيدا ويسميها " التكبيس " وهي ان يعمد الى الفروع النابته في اصل الشجرة ويحفر حول الاصل حفرا طويله على هيئة القنوات ثم تمد فروع الشجرة في الحفر التي حفرت بمقابلتها ثم يغطى عليها وكأنــها زرعت على ان يبرز رأس الفرع من الناحية الاخرى وكلما كان الفرع طويلا وامتد في الحفرة التي اعدت له كان احسن ثم تترك الفروع ممدوده على هذه الصفة مدة عامين وتنقل

---

١ — ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٣٠٣

٢ — ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ١٤٨ — ١٤٩ ، النابلسي ص ٧٨ — وما بعدها

(٣) انظر ابن العوام ص ١٩٧ ، النابلسي ص ٧٨ — وما بعدها ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٣٠٢ ، ٣٢١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٥٠١ ،

(٤) ابو البقاء ص ٣٥٩ — ٣٦٠ .

يُراد
بعد ذلك الى المكان الذي أغرسها فيه بحيث تقطع عن الشجرة الاصل بعد ان تكون قد كونت جذورا خاصة بها . (١) ويرى ابن الحجاج ان هذا " باب جيد في الغراسات"(٢)

ويبدو ايضا ان طريقة قطف الزيتون لم تتغير عما هي عليه منذ ايام الامويين حتى الان حيث كانت تقدم نفس النصائح التي تقدم لقاطفي الزيتون في هذه الايام فقد ذكر عن هشام بن عبد الملك انه وقف يوما قريبا من حائط له فيه زيتون فسمع نفض الزيتون بالعصي فقال لرجل " انطلق اليهم فقل لهم التقطوه لقطا ولا تنفضوه نفضا فتتفقأ عيونه وتتكسر غصونه " (٣) . اذ ان غصون الزيتون الطرية تتكسر من الضرب مما يعيق كثره الحمل في العام المقبل . (٤)

وحاولوا مكافحة الافات الزراعية ، اذ قاوموا دودة خاصة تهاجم شجر العنب عندما تتكون العناقيد بواسطة مادة الحمرية حيث كانوا يدهنون سيقان الكروم لمنع الدود من الصعود للشجر (٥) ، وهي ما تسمى الان بالتكليس . وكانت هذه المادة تقذف من البحر الميت فذكر الاصطخري ان البحر الميت " يقذف شيئا يسمى الحمرية يلقحون به كروم فلسطين " (٦) بينما يذكر المسعودي ان هذه المادة تطلى بها المناجل " ويكسح به الكروم ليؤمن من الدود عليها " (٧) وتجرى هذه العملية بعد تقليم العنب. (٨)

---

١ ـ انظر ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٣١٨ ، النابلسي ص ٢٨ ، ٣٠

(٢) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٣١٩ ، (٣) الطبري تاريخ ص ٣٠٦ ج ٧ انظر ابن عبد ربه ج ٣ ص ١٨٣ .

(٤) النابلسي ص ٨٢ ـ (٥) انظر البيروني ص ٢٥٨

(٦) الاصطخري اقاليم ص ٣٥ ، مسالك ص ٦٤ ، انظر ابن حوقل ص ١٦٩ ، ابو الغداء ص ٢٢٨ ، (٧) المسعودي التنبيه ص ٩٥ ، القاسمي ج ١ ص ١١٦ ، ج ٢ ص ٤٢١

(٨) القاسمي ج ١ ص ١٦٣ .

وعرفت فيما سبق طريقة في البذر تسمى حاليا " بالتلقيط " ويبدو انها لم تتغير منذ العصور القديمة " اذ ان الحرث والبذر يجريان معا بواسطة الة لبذر البذور ، وكان يتم ذلك باستعمال محراث تتصل به الة على هيئة القمع ، تنتشر منه البذور من وعاء خاص الى الاخاديد التي يحدثها المحراث " (١) ولا تزال هذه الطريقة متبعة في اماكن كثيرة في الشام .

اما الحصاد فخير اوقاته سحرا او اخر النهار (٢) والسبب في ذلك لان سنابل الحبوب تتقصف بسهولة في اوقات الحر بينما تخف حدة الحر في الصباح الباكر وفي المساء .

وينصح ابن الحجاج برفع جميع الحبوب بعد الحصاد قبل ان تشرق الشمس فانه اجود لها وابقى لحبها وقبل ان يذهب عنها نداء الليل " . (٣) ويسمى الفلاحون عملية رفع سنابل الحبوب من الارض وتجميعها في مكان واحد من الحقل بالتغمير " وتجرى هذه العملية دائما في الليل وتوضع في مكان واحد تمهيدا لنقلها الى البيدر ، وهو الاندر " جمعها انادر " (٤) .

وتنقل الحبوب من الحقل الى البيدر الى حيث درسها " دياسها " ، وبعد الفراغ من دياسها يعرم الفلاحون الحبوب عرما وهو ان يتركوه في تبنه وهو العرم (٥) اى يجعلونها كوما على هيئة قبه ولا يزال الفلاحون يسمونها "عرمه" ثم تجرى عملية التذرية وهي فصل الحب عن الاقصال والتبن (٦) ، ويسمى كوم الحب بعد التذرية صبرة (٧) .

---

١ ـ ابو النصر ص ٤٨٨ ، (٢) انظر قسطوس ص ٢٩ ، النابلسي ص ١٣٩ ،
(٣) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤٢٤ ، (٤) ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ٧٣ ، انظر النويرى ج ٨ ص ٢٥٨ ، (٥) ابو هلال العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٥ ،
(٦) النويرى ج ٨ ص ٢٥٨ ،
(٧) ابو هلال العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٥ .

وكل هذه الاعمال تجرى على البيدر الذى يجب ان تتوفر فيه شروط اذ يجب ان يكون على مستوى من الارض بعيد عن الاشجار والمزارع لان التبن الخفيف المتطاير يضر بها ، كما يجب ان يكون بعيدا عن المساكن . (١) ،

ويذكر قسطوس الصفات الواجب توفرها في عمال الزراعه فيفضل ان يكون الحراث طويلا اما عامل السقي فصفته ان يكون نشيطا خفيف الجسم ، وعلى راعي الغنم ان يتصف باليقظة والسهر بينما راعي البقر الطويل جهير الصوت وافضل ما عالج الحمل الرجال الاقوياء البنيه . (٢) والشباب عموما هم خير من عمل بالفلاحة " فان الشباب اقوى على احناء الظهور والاكتاف والمداومه على العمل . (٣) " وينصح ابن الحجاج ان لا يجتمع العمال مع بعضهم في العمل فتكون الجماعه بين عشرة وستة لا زياده ولا نقصان . (٤)

اما الوكلاء على الضياع فيجب ان تتوفر فيهم الامانه والنشاط ويفرد ابن وحشيه بابا خاصا يتكلم فيه عن صفات واخلاق الوكيل عن الضيعه ومعاملته للعمال الذين يشرف عليهم . (٥) وعلى الوكيل " ان ينبعث من نومه قبل العمال ليقتدى به اهل القرية " (٦) ويشجع ابن وحشيه نظام المكافآت للعمال لتشجيعهم على العمل (٧) كما يحبذ ان يكون في القرى عمال مختصون من حدادين ونجارين وفخرانيين ليصلحوا ما يحتاج الفلاحون الى اصلاحه من آلاتهم لان ذهابهم للمدن وتركهم للضيعه فيه مضيعه للعمل وترك للضياع (٨) .

اما حيوانات العمل التي كانت تستخدم في الاعمال الزراعية فهي الركيزة الاولى للفلاحين في اعمالهم كالثور والحمار والبغل والجمل والحصان . وتستخدم للحرث

---

١ ــ انظر قسطوس ص ٢٩ ، ابن العوام ص ٣١٧ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤٢٤ ، النابلسي ص ١٣٩ ، (٢) قسطوس ص ٢٢ ــ ٢٣ (٣) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤١٨ ، (٤) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤١٩ ،
(٥) ابن وحشيه ص ٨٨ أ ، ٩٢ أ ، (٦) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤١٩ ،
(٧) ابن وحشيه ص ٨٨ أ ،

(٨) ابن وحشيه ص ٩٤ ب.

او الرى او النقل او الدياسه او الركوب (١) . واكثرها استعمالا الثيران والبغال والحمير وربما كانت الافادة من الثيوان اكثر من غيرها لورود اشارات باعفاء الثيران العامله من الضرائب إذ جاء ان " ليس في البقر العوامل صدقه " وليس في الحراثة صدقه ، ليس في الثور المثيرة صدقه ، (٢) كما يشمل الاعفاء كل حيوانات العمل اذ جاء " ليس في الخيل والبغال والحمير صدقه " (٣) ، وليس في السواني من الابل والبقر ولا في بقر الحرث صدقه من اجل انها سواني الزرع وعوامل الحرث " (٤) .

ولا ينتظر ان يستعمل الحصان في الفترة الاموية في العمل الزراعي للحاجة الية في الحروب بينما كانت البقر والحمير تقوم بالعمل كله بالدرجة الاولى ثم الابـل ويذكر رسلبيه ان الحيوانات التي استعملت في العمل الزراعي في آسيا الصغرى والبلاد العربية هي الجمال والبقر والجاموس والحمار (٥) ، ولما كانت الجواميس قليلة في الشام بل انها نادرة في اغلب البقاع الشاميه فان الارجح عدم الاعتماد عليها في العمل بل ان العمليات الزراعية اعتمدت في الاساس على الثيران (٦) ، اذ كانت تجر المحاريث وتدير السواني والسواقي في الغالب وتشاركها بذلك الابل بينما كانت الاثقال تحمل بالدرجة الاولى على الابل ثم البغال والحمير . (٧)

وقد تستخدم الابل في الحراثه لكنها غير محمودة لدى الفلاحين وهناك مثل عندهم يعبرعن ذلك فيقولون " **مثل الجمل اللي بحرثه يلبّدُهُ** " يعنون بذلك ان الابل وهي تدوس الارض بخفيها الواسعتين تعيد الارض صلبة وكأنها لم تحرث .

---

١ ــ الشهابي الزراعة ص ٧٨ ، (٢) ابو عبيد ص ٥٢٥ ، انظر الخوارزمي اسانيد ج ١ ص ٤٦٠ (٣) يحيى ابن ادم ص ٣٠ ، (٤) ابو عبيد ص ٥٢٦ ، انظر السمرقندى ج ١ ص ١٣٠ ، (٥) رسلبيه ص ١١٠ ،

(٦) جب المجتمع ج ٢ ص ١١٠

(٧) جب المجتمع ج ٢ ص ٦٨ .

جـ ـ الادوات الزراعيــــــة : ـ

ان ادوات الحراثة هي اهم الادوات الزراعية التي استعملها الفلاح في بلاد الشام . واول هذه الادوات :

المحراث الخشبي : ويطلق عليه ابو هلال المسكرى اسم الجاره (١) " وهو محراث بسيط له سكه من حديد او من حشب لا تتعمق في الارض كثيرا نظرا لخفة وزنه اذ لا يكفي لان تغرز السكه الى عمق كاف عند الحرث ، زيادة على قصر السكه الذى لا يسمح بالتعمق في الحرث اذ لا يزيد عمق الحرث بواسطته على ٨ ـ ١٠ سم . (٢) ولا يزال يستعمل هذا المحراث في كثير من الاماكن الشاميه في حين انه كان الاداه الرئيسية في الحرث قبل فترة قصيرة (٣) .

يجر هذا المحراث عادة اثنان من الثيران التي تسمى بالشام " الفدان " (٤) والى جانب الثيران قد تستعمل الحمير لجر المحراث (٥) في حين ان الابل استعملت ايضا لهذا الغرض اذ كان هذا شائعا في منطقة بئر السبع قبل فترة قصيرة (٦) .

واصل هذا المحراث هو المحراث الروماني القديم الذى يتكون من خشبه معقوفه من احد طرفيها حيث يشكل الطرق المعقوف السكه . وفي الطرق الاخر الطويل للخشبه يشد الحبل الذى يربط بالدابه . وعلى الطرف المعقوف عمود خشبي اخر وفي اعلاه خشبة صغيرة مستطيله هي " اليد " (٧) يرتكز عليها الحراث ضاغطا على المحراث ليغرز السكه في التراب . " انظر شكل " ٥ "

اما المحراث البلدى المستعمل فهو متطور عن الروماني القديم ، ويتكون من الخشب ايضا واهم اجزائه : السكه : وهي عباره عن حديده طولها حوالي نصف متر

---

(١) ابو هلال المسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٣ ، (٢) انظر قسطوس ص ٢٢ ، حماده ص ٩٢ حميده ص ١٤١ ، الخير غوطه ص ٣٤٩ ، (٣) انظر حماده ص ٩٢ ، حميده ص ١٤١ ، (٤) ابو هلال التلخيص ج ٢ ص ٤٧٦ ، انظر القاسمي ج ١ ص ٩٥ ، (٥) رسلييه ص ١١٠ ويذكر ان الفلاح كان يجر المحراث احيانا بنفسه جنبا الى جنب مع حماره . (٦) العارف بئر السبع ص ١٩٣ ، (٧) ابو هلال العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٣ ، انظر زكريا المفكره ص ٢٥٤ .

مخروطية الشكل حادة من الاسفل يزداد عرضها كلما ارتفعت وهي ذات جناحين وتدخل هذه **السكه** بطرف خشبي يعرف بالذكر الذى يكون في اعلاه الكابوسه ، وهي التي ترتكز عليها يد العامل اثناء الحراثه ، وتقع السكه في نقطه تلاقي الذكر مع الحنيه وهي التي تسمى " البوروك " عباره عن خشبه محنيه في وسطها وتبدأ من السكه ممتدة الى الامام وفي طرفها الامامي ترتبط الوصله وهي عمود خشبي يمتد الى الامام حيث يثبت في طرفها الميزان الذى يتكون من خشبه تثبت على الوصلة عرضيا في طرفيها ثقبين يربط بكل منهما حبل ويلتقي الحبلان على **طرفي** النير (١) ، وهو الذى يوضع على عنقي الثورين اللذان يجران المحراث (٢) ، انظر شكل "٦" .

وعوضا عن المحراث تستعمل احيانا الفأس ذات الرأس الحاد (٣) التي قد يعتمد عليها اعتمادا كليا في الاراضي الوعرة ، اذ يذكر ياقوت عن القدس ان زراعتها على الجبال وسفوحها ويقوم بالعمل كله " بالفؤوس لان الدواب ليس لها صنع هناك" (٤) اذ لا يستطيع الفلاح ان يحرث ارضه بواسطة المحراث في الاراضي الجبلية الوعرة فيستعيض عن ذلك بالنكش بالفؤوس . كما يعول على الفأس في النكش حول النباتات المزروعه (٥) ، وهناك نوع خاص من الفؤوس يسمى المناقش" وهي فؤوس صغيرة ذو طرف حاد نكشها لطيف" (٦)

ومن الالات الزراعية التي عرفت قديما ولا تزال المجرفة (٧) التي تسمى الان " بالطورية " وهي عبارة عن فأس عريضة وتستعمل لقلب التراب بدلا من الحراث كما تستخدم لتنظيف القنوات من الاعشاب والرواسب .

---

١ ـ يبدو ان اسم النير قديم جدا حيث يذكره بهذا الاسم ابن وحشيه ص ٣٦ أ ـ (٢) للمحراث انظر Dic. of the Bible Vol. 2 P;49 اذ يذكر اسماء اجزاء المحراث قديما وانظر ايضا القاسمي ج ١ ص ٩٥ ، الشهابي الزراعه ص ٦٩ ـ ٧٠ ، الخير غوطه ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، (٣) انظر قسطوس ص ١٨ ، عبد السلام ج ١ ص ٦٤٩ ، حماده ص ٦٢ ، (٤) ياقوت ج ٥ ص ١٦٨ ، الدومنكي ص ٣٤ ، (٥) الشهابي الزراعه ص ٦٨ ، (٦) ابن بصال ص ١١٩ ، ابن العوام ص ١٣٦ ، ابن الحجاج مخطوط رقم ٦٣٣٢ ، ص ٢٣ب ـ ٢٤ أ . (٧) انظر ابن وحشيه ص ١٨٧ أ ، ابن العوام ص ٥٤ المصرى ص ٣٤٣ ، ويذكر ابو هلال المسحاه " يقال لها المعرقة والعود التي في نصابها المترة " ج ٢ ص ٤٧٦ ، ويبدو ان المجرفة هي التي سميت بالمسحاة والمعرقة " .

اما المر فاستعماله قريب من استعمال المجرفة اذ انه يستعمل لقلب التراب ويستعمل احيانا في الحرث لكنه بطيء العمل فيصلح للمساحات الصغيرة كتهيئة مشتل مثلا ، وهو يتكون من قطعة حديدية مثلثة الشكل حادة من الاسفل فوقها نصاب خشبي ذو يد للارتكاز عليها ، ثم قطعة من الحديد تقاطع النصل والنصاب ، (١) انظر الشكل "٨" .

كما استعمل ما يسمى بالوتد وذلك لغرس الاشتال (٢) وهو لا يزال يستعمل لهذا الغرض ، وهو عبارة عن قضيب من الخشب طوله حوالي نصف متر مدبب من احد طرفيه ليسهل غرسه في التربه .

ومن الالات الزراعية " المنجل ويستخدم على نطاق واسع اذ انه الوسيلة الوحيدة للحصاد والقطاف كما كان يستخدم لقطع غصون الشجر الطرية زيادة على المنشار (٣) الذي يستعمل اساسا لقطع غصون الشجر اليابسه او الزائده ، والمنجل حديدة مقوسه على شكل نصف دائره تتصل بها يد خشبيه وقد تكون الحديدة مسننة او دون تسنين انظر الشكل " ٧" وكذلك المنشار فهو حديدة يقرب طولها من نصف متر مسننه تسنينا حادا ولها مقبض خشبي .

ويستعمل لتسوية التربة وتعديلها اذا ما اتسمت بالارتفاع والانخفاض آلة يسميها ابن بصال "الجاروف" " اذ يقول ان تعديل الارض اذا عولج بالنقل كان صعبا " لكن لها وجه تعدل به بايسر كلفة وهو ان يصنع لها الجاروف وهي التي يجذ بها البقر وهي معروفة عند أئمه الفلاحين " (٤) .

---

١ — الشهابي الزراعه ص ٦٦ ، الخير غوطه ص ٣٥١ ، انظر ابن منظور ج ٣ ص ٤٦٦ — ٤٦٧ ، (٢) ابن العوام ص ٢٩٢ ،

(٣) انظر ابن وحشيه ص ٨٥ أ ، ٩٩ ب ، قسطوس ص ٤٢ ، ابن بصال ص ١٠٦ ، ابن العوام ص ٢٠٠ ، انظر الخير غوطه ص ٣٥٢ ، حماده ص ٩٢ ، عبد السلام ج ١ ص ٦٥٠ ، (٤) ابن بصال ص ٥٥ .

والجاروف يشبه الى حد كبير الاله المسماه " المسحاه " التي لا تزال تستعمل حتى الان في بلاد الشام ، وهي تتكون من قطعة حديدية مستطيله تثبت في وسطها عصا خشبيه مزودة بمقبض خشبي في قسمها العلوى . وفي طرفي القطعة الحديدية حلقتان يربط بهما الحبل ويعمل بها رجلان وجها لوجه فيغرس احدهما قطعة الحديد ويتحكم بها بواسطة المقبض الخشبي العلوى ويشد الاخر الحبل فيجر التربه وتستعمل لتسوية الحقل والحصول على سطح افقي لتسهيل الرى (١) انظر شكل " ٩ " .

ومثل الجاروف والمسحاه في الاستعمال الالة المسماه بـ " الشوافه " التي لا تزال مستعمله حتى الان ، وهي عبارة عن قطعه خشبية اسطوانية الشكل طولها ٢ ــ ٣ متر وعرضها من ٢٠ ــ ٣٠ سم يجرها ثور او حصان بواسطة حبليـــن مثبتين بطرفي الاسطوانه وهي تزحف زحفا ولا تدور وعند زحفها تمهد الكدر اثناء مرورها والغرض منها ضغط التراب وتسوية سطح الارض . (٢)

ومما سبق نرى التشابه بين كل من الجاروف والمسحاه في الشكل والعمـــل اما الشوافه فتختلف عنهما بانها تجر فوق التراب لضغط ذراته وتكسير الكدر .

وتجرى عملية درس الحبوب بواسطة لوح من الخشب طوله حوالي المتريـــن وعرضه اقل من ذلك يثبت في اسفله حجارة صغيرة صلبه غير مهذبه بل تكون كثيرة النتوءات لتساعد على تقطيع السنابل او سيقان المحاصيل المراد درسها " دياسها " (٣) ويجر هذا اللوح بغل او حصان او زوج من الثيران ، حيث تدور الدابة فوق الحبوب التي تكون ملقاة على الارض بشكل دائرة ويستمر الدوران حتى يقرر سائس الدابه نهاية عملية الدرس " الدياس " . وقد يكون درس الحبوب بواسطة الدق بالعصا اذ تضرب

---

١ ــ الخير غوطه ص ٣٥٠ ــ ٣٥١ ، الشهابي البقول ص ٤٠ ، دمشق سنة ١٩٢٧
(٢) الخير غوطه ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠ ، انظر عبد السلام ج ١ ص ٦٤٩ ، " ويقال للخشبه التي يسوى بها الارض المدمه " انظر ابو هلال العسكرى ج ٢ ص ٢٧٤ ،
(٣) انظر القاسمي ج ١ ص ١٤٣ ، الشهابي الزراعه ص ١٠٨ ، حتي سوريا ج ١ ص ٩٣ حميده ص ١٤١ ، شويحات ص ٢٧٦ ، زكريا محاصيل ج ١ ص ١٣٩ ، الخير غوطه ص ٣٥٠ حماده ص ٩٣ ، عبد السلام ج ١ ص ٦٤٩ ، ابو النصر ص ٤٤٨ ،

الحبوب المراد درسها بخشبه طويله قد يصل سمكها الى ١٠ سم (١) ولا تمارس هذه العملية الا اذا كانت كمية الحبوب ضئيله بحيث لا تصلح ان تطرح على البيدر .

وبعد الفراغ من الدياس يجرى تكويم المادة التي ديست على هيئة قبـه تسمى " العرم " (٢) او العرمه كما يسميها الفلاحون . وعندها تبدأ عمليـة التذرية بواسطة المذراه وتتكون من عمود خشبي طويل يصل الى المترين يتصـل بطرفه السفلي عدة اصابع من الخشب مصفوفة صفا افقيا على خشبة صغيرة تتصل مع العمود العلوى حيث يربط بها العمود ربطا محكما (٣) انظر شكل " ١٠ "، وتستعمل ايضا لقلب الحبوب اثناء عملية درسها على البيدر ليعم الدرس كل المحصول المطروح على ارض البيدر .

وتتم عملية تصفية الحب من الاوساخ والتراب بعد التذريه بواسطة الغربال والغرابيل انواع منها ما يكون صغير الثقوب ومنها ما يكون كبيرها حسب حجم الحب المراد تصفيته (٤) .

ونلاحظ مما سبق ان الادوات الزراعيه المستعمله لدى الفلاحين غالبا تصنـع من الخشب ويمكن صناعتها محليا . (٥)

ويبدو ان ما يسمى لدى الفلاحين " بالخرج " كان مستعملا منذ القديم ويتكون من الخيش او الجلد او القش ويوضع على الدابه بحيث يكون احد طرفيه على اليمين والاخر على اليسار كأنه سلتان مربوطتان معا ويستعمل لنقل ما يريد الفلاح نقله من ادواته الزراعية او بعض المحاصيل (٦) .

---

١ ــ الشهابي الزراعه ص ١٠٨ ، زكريا محاصيل ج ١ ص ١٣٨ ، (٢) ابو هلال العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٥ ، (٣) انظر ابو هلال العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٥ ، القاسمي ج ٢ ص ٤٢٤ ، زكريا محاصيل ج ١ ص ١٤١ ، الخيرغوطه ص ٣٠٥ ، شويحات ص ٢٧٦ ، حماده ص ٩٣ ، عبد السلام ج ١ ص ٦٤٩ ، (٤) انظر قسطوس ص ١٨ ، القاسمي ج ٢ ص ٢٢٧ ، (٥) جب المجتمع ج ٢ ص ٦٨ ، (٦) انظر حتي سوريا ج ١ ص ٣٢٨ .

د ـ الـــــري ووســـــائلــــه :ـ

تعتمد زراعه بلاد الشام بالدرجة الاولى على المطر ، اما المناطـق المروية فهي قليلة المساحة وتكاد تتركز في الغوطه وحوض نهر الارد ن والعاصي وفيما عدا ذلك هناك، اماكن متفرقة في الشام تعتمد على الرى في مواقع وجود العيون والينابيع والقنوات التي تمد مياهها الارض الزراعيه حولها بالماء لغاية الارض . (١)

ويذكر ابن العوام ان الرى قسمان اولها " السقي بالعيون ومن الانهار بالسواقي والقسم الثاني شاق متعب وهي السقي بالالات والنواعير والسواني والدلاء التي تدور بها الابل والحمر **والبغال** " (٢) والمقصود **بالسواقي** هنا القنوات الصغيرة حيث الرى سيحا والذى اكثر ما يتمثل في الغوطه وعلى ضفتي الارد ن . اذ شاعت هذه الطريقة وهي الرى سيحا ودون الاستعانه بالات الرى في اغلب اماكن الرى في الشام ، فلم ترد اشارات لوجود النواعير او الدواليب على نهر الارد ن بينما نجد ها كثيرة عند الكلام عن نهر العاصي وعلى نطاق اضيق في الغوطـــــه .

كانت الغوطه ولا تزال تروى بواسطة نهر بردى **وفروعـــــه** دون الة او تعب اذ ان القنوات تتشعب من النهر واقسامه على سطح الارض وتسقي المزارع سيحا . ويقول شيخ الربوة عن بردى وفروعه : " ثم ينقسم من هذه الانهار فرق وجداول وتتفرق متشعبه باراضي الغوطه حتى لا يبقى منها بقعه يمكن وصول الماء اليـــها الا ويصل ويركبها سقيا لها بحساب وتسقيطا معلوم في الليل والنهار بساعات معلومه لا تزيد ولا تنقص ثم يخرج عمود بعد ذلك وينبعث في جهة الشرق ويسقي قرايا

---

١ ـ انظر ص ٣٠ - ٣٣ من الرساله

(٢) ابن العوام ص ٣ .

وضياعا واراضيا مرجيه وصحراويه حتى يصب اخزه في بحيرة شرقي دمشق" . (١)

وقد اسهم الامويون في توسيع رقعة الاراضي الزراعيه في غوطه دمشق عند ما حفر يزيد بن معاويه القناة التي اتخذت اسمه فسميت بنهر يزيد (٢) .

ويبدو ان يزيد كرى النهر الذى اتخذ اسمه ووسعه لاصلاح الرى في الغوطه .

ويزودنا ابن عساكر برواية عن اصل هذا النهر ووضعه في العصر الاموى اذ يذكر " انه كان نهرا صغيرا نباطيا يجرى فيه شئ من الماء يسقي ضيعتين لقوم يقال لهم بني فوقا " لوقا " ولم يكن فيه لاحد غيرهم شئ ، فماتوا في خلافة معاوية ابن ابي سفيان ولم يبقى لهم وارث . فاخذ معاوية ضياعهم واموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاويه في رجب سنة ٦٠ وولي ابنه يزيد ونظر الى ارض واسعة ليس لها ماء وكان مهندسا فنظر الى النهر فاذا هو صغير ، فامر بحفره فمنعه من ذلك اهل الغوطه وذموه فلاطفهم على ان ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فاجابوه الى ذلك فاحتفر نهرا سعة عرضه ٦ اشبار على ان له ملء جنبتيه وكان على ذلك كما شرط لهم" (٣) .

وفي عهد هشام ابن عبد الملك اخذ احد مواليه قناة له يسقي ضيعته (٤) ،كما اخذ رجل اخر ماضية (٥) لرى ضيعته ايضا (٦) .

---

١ — شيخ الربوة ص ١٩٨ ، (٢) الاصطخرى مسالك ص ٥٩ ، اقاليم ص ٣٢ ، ابن حوقل ص ١٦١ ، شيخ الربوة ص ١٩٤ ، الخير غوطه ص ٣٧٤ ،حتي تاريخ العرب ج ١ ص ٢٩٨ ، Ency. Vol. 1 P: 293 . (٣) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ٢٤٤ — ٢٤٥ ، دمشق ج ٢ ص ١٤٥ ، انظر ابن شداد ج ٢ ص ١٣ — ١٨ السبكي ج ١ ص ٤٦٨ — ٤٦٩ ، بدران ص ٣٩٥ ، (٤) ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ١٤٦ ،

(٥) الماضيه لدى اهل دمشق كل فتحة تأخذ من النهر دون انقطاع وتسمى ايضا "باب" والمصاص : هو المكان الذى ينقسم فيه ماء النهر الى فروع عديده يملكها اصحاب حقوق كثيرة ويسمى " مزاز " والمزازات احجار ضخمه توضع وسط النهر من ضفة الى ضفه . انظر زكريا الريف ج ٢ ص ٣٢ ، الخير غوطه ص ١٦١ ، (٦) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ٢٤٦ ، دمشق ج ٢ ص ١٤٦ ، انظر بدران ص ٣٩٦ ،

ويتكلم ابن عساكر عن تقسيم مياه بردى على فروعه اذ حصل في عهد هشام تجديد لتقسيمها فجعل لكل فرع منها جزءاً محدوداً من مياه بردى كما يلي : اخذ نهر يزيد ست عشرة مسكبه (١) ، نهر داريا ست عشرة مسكبه نهر ثورا اثنتين واربعين مسكبه ، ولم يكن عليه الا مواصي السقي ، ونهر قينيه " القنوات احدى عشر مسكبه وبانياس ثلاثين مسكبه وكان ذلك سنة ١١٥ هـ ، ويعقب قائلا " فهذه الانهار التي ينتفع بها الداني والقاصي وينقسم منها الماء الى الارضين في الجداول والمواصي " (٢) .

ويسمى المكان الذى يبدأ عنده تشعب بردى بالمقسم (٣) ، ويمكن القول ان جميع فروع بردى كانت تستخدم لاغراض الرى والشرب في العصر الاموى (٤) ، ويقول ابو البقاء ان اليونان " اختاروا هذه البقعه الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين وصرفوا انهارا تجرى الى الاماكن المرتفعه والمنخفضة " (٥) ، فهذه الفروع اذن استفيد منها بالرى قبل الفتح العربي لدمشق واهم ما اضافه الامويون هو توسيعهم لنهر يزيد ، أما هذه الفروع فهي : يزيد وثورا وكلاهما بذيل الجبل الشرقي وهو قاسيون (٦) ، وبانياس والقنوات (٧) ، والداراني والمزه بذيل الجبل الغربي اى على يمين بردى بينما يشق بردى بطن الوادى . (٨)

---

١ ـ المسكبه . يبدو انها مقياس خاص استعمل لتوزيع المياه على فروع بردى ولا يذكر لها الفيروزبادى اى معنى ، انظر سكب ج ١ ص ٨٢ ـ ٨٣ ، القاموس المحيط مؤسسة فن الطباعه ـ القاهرة . ولا يفيد بالمعنى ابن منظور كذلك انظر سكب مجلد ٢ ص ١٦٩ بينما يرد في مجلد واحد من المصطلحات العلمية والفنيه " لسان العرب " سكبه = مسكبه وهي ارض في المشتل تهيأ لكي تنبت فيها البذور او تنقل اليها الاشكال ص ٣٥ ، ولا معنى لها في تاج العروس انظر سكب ج ١ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، (٢) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ٢٤٦ ، دمشق ج ٢ ص ١٤٧ (٣) انظر ابو البقاء ص ٩١ ، ابن بطوطه ص ١٠٣ ، بدران ص ٤٠٧ ، (٤) انظر شيخ الربوة ص ١٩٤ ، زكريا الريف ج ١ ص ٢٤ـ٢٥ (٥) ابو البقاء ص ٢٣ (٦) ابو البقاء ص ٩٢ (٧) القنوات هو المقرباني انظر شكل " ٣ " (٨) انظر شيخ الربوة ص ١٩٤ ـ ١٩٨ ، ابن شداد ج ٢ ص ١٢ القلقشندى ج ٤ ص ٩٥ ، المنيني ص ٧٢ ، ابو البقاء ص ٩٢ ـ ٩٣ ، كرد علي غوطه ص ١١٤ ، انظر شكل " ٣ " .

ويذكر زكريا "عن تراس" ان نظام الرى في الغوطة لم يجر عليه تعديلات اساسيه منذ اربعة قرون اما ما هو اقدم فلن نستطيع الجزم بشئ (١) ، الا ان الغوطه بقيت ولا تزال تسقى بواسطة مياه بردى في الشمال ومياه الاعوج في الجنوب منذ مئات السنين (٢) .

وقد ذكر تراس" ان الغوطه قسمت الى خمسة اقسام حسب مناطق الرى واتخذ كل قسم اسم اشهر قراه ويبدو ان هذا التقسيم جرى على اساس توزيع مياه الرى فكل منطقة رويت من نهر معين وهذه هي الاقسام : ـ

١ ـ اقليم بيت لهيا : ويشرب من نهر ثورا ويشمل قرى جوبر وزملكا وعربيل ومديره ومسرابه وحرستا ودوما وبعض اراضي حزه وعين ترما .

٢ ـ اقليم بيت الابار : ويشرب من النهر العقرباني "القنوات" ويشمل جرمانا والمنيحه وبيت سحم وعقربا .

٣ ـ اقليم داعيه : ويشرب من الداعياني (٣) وهو فرع آخر لبردى بعد ثورا ويشمل عين ترما وكفر بطنا وحزه وجسرين وافتريس وسقبا وحموريه وبيت سوا .

٤ ـ اقليم بانياس : ويشرب من نهر بانياس ويشمل بيلا ويلدا وحجيره وقبر الست وببويضه .

٥ ـ اقليم داريا : ويشرب من الداراني ويشمل المزه والقدم وكفر سوسه وداريا وبلاس وحوش الريحانيه وسبينه الصغيرة والكبيره (٤) . انظر شكل "٣" وليس بالامكان الجزم بوجود هذه التقسيمات في العصر الاموى لكنه من الممكن الاعتقاد ان نظام الرى لم يطرأ عليه تغيير جوهرى عن هذه التقسيمات .

---

١ ـ زكريا الريف ج ٢ ص ٢٣ ،

(٢) كين ص ١٩

(٣) فرع الداعياني يخرج من بردى بعد دمشق شمالا بينما النهر المليحي يبدو انه هو بانياس .

(٤) زكريا الريف ج ٢ ص ١٠ ـ ١١ ، انظر شكل "٣" .

ويلاحظ ان التقسيم السابق يغفل عن ذكر النهر المليحي الذى يسقي كل من جامي وطيحه وبلاط وخياره (١) ، اما نهر يزيد فيسقي اراضـــــي القابون وحرستا حيث تسقي بعض اراضي حرستا من نهر ثورا (١) ، ويذكر تراس ان لكل من دمر والهامه الحق في الرى من نهر يزيد (٢) ، بينما يسقي مجرى بردى الرئيسي كل من مناطق زبد ين وحد يثة الجرش من الفرع المسمـــــى الزبد يني ، كما تسقى بيت نايم من الفرع المسمى باسم نهر الملك ، في حين تسقى محمد يه من نهر بيت نايم ، وهناك فرعين يتجهان نحو اقليم داعيه هما الجسريني والزابون (٣) ، وتوجد قنوات بعيده عن بردى كقناة الاشمرى التي تسقي اوتايا والشيفونيه والاشمرى . (٤)

ويبدو ان نظام الرى منظم تماما بحيث ان الخلاف نادر الوقوع بين الفلاحين على تقسيم مياه الرى في الغوطه ويرجع ذلك للنظام الدقيق المتبع والذى يجرى التعامل بموجبه منذ عدة قرون . (٥)

ويكون الرى في هذه المناطق بواسطة القنوات . ويجب ان تكون القناة تسير بميل خفيف نحو الارض المراد ريها ، ويذكر ابن وحشيه انه كانت تستعمل آلة لتقويم القناة وتسهيل سياقة الماء تسمى "كبافيوا" " حيث ان القناه التي تكون منضدة على اعوجاج اجود جريا من التي يجرى الماء فيها على استقامه صحيحه لان الماء في المعوج الملتوى أسرع أنحدارا من المستوى " (٦) وكذلك الحال بالنسبة للابار " فمن اراد حفر بئر في جنته فليكن في اعلى نقطه فيها لكي يصل الماء سريعا الى اسفل الجنه " (٧)

---

١ ـ انظر الخارطه شكل "٣" (٢) عن تراس زكريا الريف ج ٢ ص ٣٥ ،
(٣) انظر خارطه شكل "٣" (٤) زكريا الريف ج ٢ ص ٣٩
(٥) زكريا الريف ج ٢ ص ٤٠ (٦) ابن وحشيه ص ٣٤ ب ؛ انظر النابلسي ص ١٣
(٧) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٤٠٤ .

وعرفت في منطقة معرة النعمان طريقة الرى بالركايا (١) وهي ان تحفر حفرا بعمق ١٠ أمتار او اكثر حيث يجتمع الماء مما يتحلب من الارض وجدران الحفرة (٢) ومما يسيل من ماء المطر ويستخرج الماء منها بواسطة دواليب تديرها الدواب ، وهي كما يبدو بئر يقام عليه دولاب لرفع المياه حتى ان ابا هلال العسكرى يعرف البئر بقوله " وهي الركيه جمع الركايا " (٣) . حيث تكون قد هيئت ساقيـــة على طرف البئر ومنها يتحكم العامل بالماء ويروى ما شاء ريه من المزروعات (٤) .

اما الاداة التي استعملت في بلاد الشام اكثر من غيرها فهي الناعورة ثم الداليـــه والدولاب وكلها تعمل على نفس المبدأ فالناعورة دولاب يديره تيار النهر ويجهز الدولاب بعلب خزفيه او من التنك حول دائرته تديره البغال او الحمير او قوة جريان الماء نفسها فيرتفع به الماء من النهر الى الارض المراد ريها (٥) . اما الداليه فهي دولاب يديره ثور في حين ان الدولاب اكثرها تعقيدا ويدار بواسطة ثوراو حصـــان (٦) .

واكثر ما استعملت الناعورة على نهر العاصي " حيث انه لا يسقي الا بنواعير تنزع منه الماء " (٧) وعن نواعير العاصي يقول شيخ الربوة " وعلى العاصـــــي النواعير الكبار التي لم ير في الافاق مثلهن يحملن من العاصي انهارا من المـــــاء

---

١ ـ يذكر ابن العديم انه كانت في قرية تمنع من عمل كفر طاب ركيه ، انظر بغية ص ٢٠٤ ،

(٢) يبدو انها تحفر في مناطق تنز الماء (٣) ابو هلال العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٤٠ ، ويذكر ابن وحشيه طريقتين لرفع المياه من الاماكن السفلى الى العليا ويصف الاله التي نستطيع بها رفع الماء لكننا لا نستطيع الجزم انها استعملت في الشام لان كتاب ابن وحشيه يعالج فيه الفلاحه في العراق بشكل خاص الذى يعتمد اعتمادا كليا على الرى ص ٣٤ ب ـ ٣٥ أ ، ب ٣٦ أ ، ب . (٤) انظر للركيه الجندى ص ٢٧٤ ،

(٥) حماده ص ١٠٨ .

(٦) الدورى تاريخ العراق ص ٥١ ، انظر النووى المجموع ج ٥ ص ٤٤٧

(٧) ابو الفداء تقويم ص ٢٤٩ ، انظر ياقوت ج ٢ ص ٣٠٠ ، البغدادى ج ١ ص ٤٢٣ ، القلقشندى ج ٤ ص ٨٠ .

يسقون بها البساتين والاماكن " (١) ويذكر ابن العديم ان " اهل حمــــاه لا ينتفعون بماءه في السقي والزرع الا بالنواعير " (٢) وحتى اوائل هذا القرن كان في سوريا " ٧٣٤٩ " ناعورة او ما يشاكلها من الالات التي تستعمل كلها على ضفاف نهري العاصي والفرات (٣) .

وعلى نطاق اقل من العاصي استخدمت النواعير على نهر يزيد اسرى الارض التي تمتد شمال النهر ويديرها الماء كما في حماه وكان لا يزال عليه عشرة نواعيــــر في اوائل هذا القرن (٤) . وحين يتكلم ابو البقاء عن حواكير الورود يقول : " غير ان الماء لا يصل اليها الا بجهد كبير لعلوها عن نهر يزيد فاصطنعوا لها الدولاب ودورانه بكل بهيم شديد " (٥) كما عرفت النواعير الخشبيه التي تدار بواسطة الدواب ، وانتشرت هذه على الابار التي تأخذ مياهها من الانفاق المتصله بمجرى النهر (٦) ويذكر النويري انهم كانوا " يركبون على افواه الابار السواقي المتخذة من اخشاب السنط وما ناسبه) وتسمى بحماه النواعير ، والنواعير لا تدور الا بالماء وهذه تدور بالابقار " (٧) فالفرق اذن بين الناعورة وكل من الدولاب والدالية انها تدور بالماء وهما تدوران بواسطة الدواب " الثيران " . حيث تدور الدابه في دائرة حول البئر ودورانها تحرك بواسطة القائم الخشبي المثبت فوق عنقها رحى أفقيه متحركه ذات اسنان تلف بدورانها عجلة كبيرة رأسيه تتحرك حركه دائريه يرفع بواسطتها من اسفل البئر قواديس متتابعة ترتفع بالدوران حتى تسير في مستوى الارض وتقذف بالماء الى المجرى الموصل للحقل (٨) .

---

١ ــ شيخ الربوة ص ٢٠٦ ؛ ناظر خسرو ص ١٢ ؛ ابن بطوطه ص ٦٦ ؛
(٢) ابن العديم بغية مخطوط ص ٣٩٦ ــ ٣٩٧ ،
(٣) حماده ص ١٠٨ ، (٤) الخير غوطه ص ١٥٩
(٥) ابو البقاء ص ١٨٥ ، (٦) القاسمي ج ٢ ص ٤٨٩ ــ ٤٩٠ ، الخير غوطه ص ١٥٩ ، (٧) النويري ج ٨ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤ ،
(٨) عيروط الفلاحون ص ١٠٧ ، طبع القاهرة .

والناعورة تقوم على هذا الاساس لكن الماء هو الذى يديرها وليس الدابه (١) اذ يدور دولاب الناعورة بسرعة الماء الجارى حيث تزداد سرعة الماء عند مروره تحت الدولاب الذى اعد له حاجز من الحجارة على عرض النهر او سد بسيط من الحجارة والخشب امام الدولاب فيأخذ هذا الماء عند ارتطامه به ودورانه فيرفعه الى اعلاه ويصبه في المجرى المعد لرى الارض ، والذى يكون فوق سلسلة قناطر حجرية تبتدأ من الدولاب وتنتهي في اعلى الارض المعده للرى (٢) ، وتستخدم النواعير ايضا على نهر الخابور (٣) ، بينما يشيع استعمال الدولاب على نهر قويق (٤) .

ومن آلات رفع المياه من الابار (الشادوف) وقوامه عمود تتحرك فوقه خشبة طويلة يعلق في احد طرفيها الدلو ويثقل الطرف الاخر بالحجارة حتى اذا نزل الدلو في الماء وامتلأ صعد بقوة الثقل (٥) ، ولانظن ان هذه الاله استعملت للرى في المزارع لكنها ربما استعملت لاجل الشرب نظرا لبطئ عملها في الرى .

كرى الانهار ، وتنظيم الـــــــرى :ـ

اتبعت قواعد خاصه لكرى الانهار ونظمت المسؤولية بين الفلاحين المشتركين في نهر واحد . فتقع على الدولة مسؤولية كرى الانهار الكبيرة ذات الفائدة العامه وهناك قواعد لتوزيع الماء بين الناس عند اشتراكهم في نهر او قناة واحدة .

اما الكرى فهو تنظيف مجرى النهر او القناة من الاوساخ والاعشاب الكثيفة التي تعيق جريان الماء (٦) . اما تنظيف جنبتي المجرى من الاعشاب وكذلك اصلاح السدود فهي من اعمال الصيانة للانهار وقد سمي الذى يقوم بهذه العملية

١ ــ النووى المجموع ج ٥ ص ٤٤٧ ، (٢) غرفة تجارة حلب الكتاب السنوى لسنة ١٩٤٩ ، ص ٣٧٣ ، باز رفع المياه مجلة المشرق مجلد ٢٨ لسنة ١٩٣٠ ص ٤٩٠ ، كاهين ج ١ ص ١٧٢
(٣) الغزى ج ١ ص ٦٠٢ ، غرفة تجارة حلب ص ٣٧٤ ، (٤) الغزى ج ١ ص ٥٤ ،
(٥) باز رفع المياه المشرق مجلد ٢٨ لسنة ١٩٣٠ ص ٤٨٨ ، (٦) كاهين ج ١ ص ١٧٣ .

بالاكار " وتجرى عادة بالنسبة لانهار وقنوات دمشق كل عام مرة في فصل الصيف عندما يخف الماء فيها (١) ، ويبدو ان مسؤولية هذه العملية كانت ملقاة على عاتق الحكومة ايام الامويين لما يرويه ابن عساكر من ان ماء نهر بردى قل في عهد سليمان حتى لم يبق فيه الا اليسير ، فشكى له الناس الامر " فوجه مولاه عبيده ابن اسلم الى اصل ماء العين ليكريها فاكراها ... الى ان شكى اهل بردى قلة الماء فامر هشام القاسم بن زياد ان يميز لهم الانهار فمازها " (٢) ، فالدولة هي التي قامت بعملية الكرى وتنظيم مجرى المياه .

والامام مسئول عن كرى الانهار الكبيرة اذا احتاجت للكرى بشرط ان تكون لعامة المسلمين ، بينما النهر الخاص فاهله يكرونه بانفسهم ولهم ان يمنعوا غيرهم من الرى منه (٣) ، ذلك انه في هذه الحالة يكون ملكا خاصا باهله ولهم وحدهم حق استغلاله . لكن الانهار العامه لا يحق لاحد ان يسيطر على مائها ويمنع غيره من الاستفادة منها ، ولكل من ملك ارضا على جانبيها الحق بالاستفادة من مياهها كغيره من الناس لان ملكية النهر هنا تعود للامه ومن هنا فان انهار دمشق تعتبر عامة النفع للمسلمين ويقرر السبكي انها وقف عام " وليس واحد منها في يد اقوام مخصوصين لان وقف عمر شملها سواء كان ارضا ، فأرض نهر بردى او ثورا او بانيـــاس وغيرها او بناء كالقنوات والمجارى التي داخل دمشق وخارجها .... والتصرف فيها كالتصرف في الاوقاف العامه (٤) ، ويقول مرة اخرى " اما بردى فلا اشك انه غير مملوك " اما بقية الانهار في منطقة دمشق مثل يزيد وثورا وبانياس ونهر المزه ونهر قينيه المسمى نهر القنوات وغيرها فالظاهر ايضا انها كذلك " (٥) ،

وعندما يكون الكرى على اهل النهر فهناك رأيان طرحهما ابو يوســـــف على الرشيد وغيره ايهما اراد ان يتبع اتبع " انهم يجتمعون جميعا فيكرونه من اعلاه

---

١ ــ القاسمي ج ٢ ص ٢١٦ ــ ٢١٧ ، (٢) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ ، دمشق ج ٢ ص ١٤٦ ــ ١٤٧ ، (٣) انظر ابو يوسف ص ٩٧ ــ ٩٨ ، الاوزجندى ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ، الفتاوى الهندية ج ٥ ص ٣٨٦ ، الكاساني ج ٦ ص ١٩١ ــ ١٩٢ ، قدامه الخراج " بن شمش ص ٩٦ ، النسفي ص ١٨٥ ، الزيلعي ج ٦ ص ٤٠ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٤٦ ، شيخ زاده ص ٦٢٣ ــ ٦٢٤ ، (٤) السبكي ج ١ ص ٤٦١
(٥) السبكي ج ١ ص ٤٦٧ .

الى اسفله فكلما جاوزوا ارض رجل رفع عنه الكرى وكرى بقيتهم كذلك حتى ينتهي الى اسفله " او " يكرى النهر من اعلاه الى اسفله فاذا فرغ من ذلك حسب اجر جميع حفر ذلك النهر على جميع من يشرب منه من الارض فلزم كل انسان من اهله بقدر ماله " (١) . وقال مالك في قوم لهم نهر يشربون منه فينقطع ان عليهم ان يكروه بالحصص على الشرب والارضين " (٢) .

ولا يجوز لاحد الشركاء في نهر ان يفتح قناة او ينصب عليه رحى او يتصرف اى تصرف يخل بنظام الرى ومياه النهر دون رأى الاخرين وموافقتهم (٣) .

اما عن كيفية تنظيم الرى فقد روى ان الرسول قضى بين رجلين ان الشرب يكون من الاعلى الى الاسفل ولا يمنع الاعلى الاسفل (٤) ، قال السبكي " وحكم الانهار المباحه صغيرة كانت او كبيرة ان الاعلى يسقي قبل الاسفل بالسنة الصحيحة الثابتة (٥) " ويذكر الزيلعي ان الاسفل يبدأ بالرى حتى ينتهي لقول عبد الله ابن مسعود " اهل اسفل النهر امراء على اهل الاعلى حتى يرووا " (٦) ، وقد يكون المعنى اى حتى يروى الاعلى ثم يطلق الماء للاسفل لا كما ظن الزيلعي .

---

١ — ابو يوسف ص ٩٤ ، الكاساني ج ٦ ص ١٩٦ ، انظر الاوزجندى ج ٣ ص ٢١٦ — ٢١٧ ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣٧ ، الفتاوى الهندية ج ٥ ص ٣٩٠ ، الزيلعي ج ٦ ص ٤١ ، النسفي ص ١٨٥ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٤٧ ، شيخ زاده ص ٦٢٤ ، (٢) قدامه الخراج " بن شمش " ص ٩٧ ، (٣) الاوزجندى ج ٣ ص ٢٠٨ ، ج ٦ ص ١١٥ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ٩٨ ، الماوردى ص ١٨١ ، ابو يعلى ص ٢١٤ ، الكاساني ج ٦ ص ١٩٦ السبكي ج ١ ص ٤٦٧ ، الزيلعي ج ٦ ص ٤٢ ، ابن الهمام ج ٨ ص ١٤٩ ، شيخ زاده ص ٦٢٤ — ٦٢٥ ، (٤) يحيى ابن ادم ص ٩٦ ، قدامة الخراج " بن شمش " ص ٩٩ الماوردى ص ١٨٠ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣١ — ٥٣٢ ، النووى المغنى ج ١ ص ٣٧٣ المطيعي ج ١٤ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ ، (٥) السبكي ج ١ ص ٤٦١ ، (٦) الزيلعي ج ٦ ص ٤٢ ، انظر يحيى بن ادم ص ٩٧ ،

ويذكر ابن قدامه انه اذا كان النهر صغيرا واختلف فيه اهل الارض الشاربه فانه يبدأ بمن في اول النهر فيسقي ويحبس الماء حتى يبلغ الكعب ثم يرسل الى الذى يليه ، فيصنع كذلك وعلى هذا الى ان تنتهي الاراضي كلها (١) وكان الرسول قد قضى بذلك في سيل مهزوز (٢) ، وبالنسبة لتحديد حبس الماء حتى يبلغ الكعب يرى مالك ان هذا الامر ليس من الرسول عاما في الازمان والبلدان لانه مقدر بالحاجه وقد يختلف من خمسة اوجه هي : —
اختلاف الارضين فمنها ما يرتوى باليسير ومنها ما لا يرتوى الا بالكثير ثم اختلاف الزرع فان الاشجار تشرب اكثر من المحاصيل النباتية ، ثم باختلاف الفصل من السنة ان كان صيفا او شتاء ، ووقت الزرع ثم حالة الماء فان المنقطع يأخذ منه ما يدخر والدائم يأخذ منه ما يستعمل (٣) ، فالتحديد اذن معتبر بالعرف المعهود. ويحق للرجل ان يجرى الماء الى ارضه من ارض غيره رغما عن الرجل الاخر صاحب الارض اذا لم يكن له سبيل اخر (٤) .

وذكر قدامه " انه اذا كان نهر بين قوم لهم عليه ارضون فان الشرب سهم على قدر اراضيهم لكل منهم حصته فان كان الاعلى منهم لا يشرب حتى يسكر لم يكن له ذلك الا ان يتراضى القوم به " (٥) والافضل دائما ان يتراضى اهل النهـــر على الطريقة التي يستفيد بها الجميع من مياه النهر (٦) ، فان لم يتراضوا " قسمه الحاكم بينهم على قدر املاكهم لان كل واحد منهم يملك من النهر بقدر ذلك فتأخذ خشبه صلبه او حجر مستوى الطرفين والوسط ويوضع على موضع مستو من الارض فـــي الماء فيه حزوز او ثقوب متساوية في السعة على قدر حقوقهم يخرج من كل جزء او ثقب

---

١ — ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣١ ، (٢) ابو يوسف ص ١٠٢ ؛ انظر ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣١ـ ٥٣٢ ، (٣) الماوردى ص ١٨١ ، ابو يعلى ص ٢١٥ ، السبكي ج ١ ص ٤٦٣ ،
(٤) يحيى ابن ادم ص ١٠٨ ، ابن قدامه ج ٥ ص ٤٩٥ — ٤٩٦ ،
(٥) قدامه الخراج " بن شمش" ص ٩٩ — ٩٨ ، (٦) ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣٦ .

الى ساقية مفردة لكل واحد منهم فاذا حصل الماء في ساقيته انفرد به فان كانت املاكهم مختلفة قسم على قدر ذلك ، فان كان لاحدهم نصفه وللاخر ثلثه وللاخر سدسه جعل فيه ستة ثقوب لصاحب النصف ثلاثة تصب في ساقيته ولصاحب الثلث اثنان ولصاحب السدس واحد " (١) . واذا كان النهر لا يروى الا اذا حبس ماءه فللاول ان يبدأ بالرى حتى يكتفي ثم الذى يليه حتى يرووا جميعا (٢) . ولهم ايضا ان يتفقوا ان يكون الرى بالتناوب بالايام او الساعات او ان يقتسموا فم النهر عرضا كما ذكر ابن قدامه (٣) .

---

١ – ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣٣ – ٥٣٤ ،

(٢) الماوردى ص ١٨٠ ، ابو يعلى ص ٢١٤ ،

(٣) الماوردى ص ١٨١ – ١٨٢ ، ابو يعلى ص ٢١٦ ، السبكي ج ١ ص ٤٦٥

ابن قدامه ج ٥ ص ٥٣٣ – ٥٣٤ .

هـ ـ التقويم الزراعي : ـ

ويقصد به مواعيد الاعمال الزراعية خلال شهور السنة ، وتبدأ السنة الزراعية في بلاد الشام في شهر تشرين اول " اكتوبر " اذ يذكر ابن الحجاج " واهل الشام اول عامهم الخريف وابتداؤه شهر اكتوبر في حسابهم وقالوا في هذا الفصل يبدأ المطر الذى هو غيث العالم وسر عمارة الدنيا وهو فصل الزراعة عند هم" (١) ولا يزال الفلاحون يرون ان شهر تشرين اول بداية الموسم حيث يبدأون بتهيأة الارض للزرع (٢) . ويصادف هذا الشهر بداية نضوج اهم محاصيل الشام وهو الزيتون مما جعل البعض يعتبروه اول العام الزراعي (٣) .

ويلاحظ فرق في مواسم الزراعة بين شمال البلاد وجنوبها فان مواسم زراعة وحصاد الحبوب الشتوية تتأخر في شمال سورية عنها في جنوبها كما ان البطيخ والشام تتأخر زراعتها في الشمال عنها في الجنوب لانهم يضطرون لتأخير زراعتهم في الشمال حتى ينقضي موسم البرد (٤) فالبطيخ مثلا يقطف في اواخر حزيران وخلال تموز في الجنوب بينما يقطف في حلب في آب وايلول (٥) وبينما يحصد الشعير والقمح في ايار واوائل حزيران في الجنوب فانه يبقى الى تموز في المناطق الجبلية في الشمال (٦) .

وقد جعلنا التقويم على هيئة جدول نبين فيه الاعمال الزراعية في شهور السنة لشتى المحاصيل لتوضيح سير هذه الاعمال وتجنبا للتكرار الذى قد يحدث نتيجة للترابط بين الاعمال الزراعية . وحاولنا ان نعتمد في وضع الجدول على كتب الفلاحة القديمة وخاصة كتاب الفلاحة اليونانية ، الذى وضع لهذه البلاد بشكل خاص واستعنا بالمعلومات الزراعية الحديثة حيث جاءت مؤيدة وموافقة للمعلومات القديمة .

---

١ ـ ابن الحجاج مخطوط رقم ج ١٧ ٦ ص ١٩ ، (٢) ابنظر قسطوس ص ٢٣ ، رسلبيه ص ١١٢ ، (٣) رسلبيه ص ١١٢ ، زكريا مفكرة ص ٣٤١ ، (٤) قسطوس ص ١١٨ (٥) زكريا المحاصيل ج ٢ ص ١٧٨ ، (٦) الشهابي الزراعة ص ٢٨٠ ، انظر زكريا الريف ج ١ ص ٢٨١ .

اسم الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
تشرين اول " اكتوبر "	الاشجار المثمرة	الحرث وتهيئة الارض للزراعه (١)	يستمر ذلك الى الشهر التالي ٠	(١) قسطوس ص ٢٣ زكريا مفكرة ص ٣٥٤ ، الشهابي زراعة ص ٩٢
		بداية تقليم الكروم (٢)	يذكر قسطوس " واكثر الناس في بلادنا يقلمون كرومهم عند قطاف اعنابها وتناثر اوراقها "	(٢) قسطوس ص ٤٢
		بداية قطاف الزيتون وعصره (٣)	يستمر ذلك في الشهرين التاليين	(٣) النابلسي ص ٢٤٢ ، رسليبه ص ١١٢ ، ابن وحشيه ص ١٠٨ ب الظاهر ص ١٣٣ ٠
		تزرع بذور الزيتون في المنابت (٤)		(٤) ابن العوام ص ١٠٠ ، النابلسي ص ٣٢
		نهاية موسم قطاف الكروم والتفاح والتين والرمان	في المناطق البارده	(٥) النابلسي ص ٢٤٢ ، زكريا مفكرة ص ٣٥٦ -
		غرس الكمثرى والتين واللوز والجوز والمشمش	تغرس في الخريف واوائل الشتاء وهو اجود اوان الغرس	(٦) قسطوس ص ٨٣–٨٤ ، ٩٠ ، ٩٣ ، النابلسي ص ٤٩ ٠
	المحاصيل الصيفية			
	" بامية فلفل باذنجان "	انتهاء موسم قطفها وقلعها لحرث الارض		(٧) زكريا مفكرة ص ٣٥٦ ،

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
	الشعير والقمح (×)	زراعة بذورها (١)	يزرع البكير منها قبل المطر وتسمى هذه الزراعة بالعفير	(١) الغزى ج ١ ص ١١٥ ، شويحات ص ٢٦٤ ، الشهابي زراعة ص ٢٥١ .
	بطيخ ، سمسم ، البصل .	قطاف البطيخ وقلع السمسم والبصل (٢)	في المناطق الشمالية	(٢) زكريا مفكرة ص ٣٥٤ ،
	القنب	يقلع (٣)	في الغوطة	(٣) زكريا محاصيل ج ١ ص ٣٣٥ ،
	الترمس	زراعة بذوره (٤)	تزرع بعد الاستواء الخريفي بعشرة ايام	(٤) قسطوس ص ٢٨ ، ابن الحجاج رقم ج ١٧ ص ٦١٧ ٢٤٣-٢٤٤ ،

(×) يذكر ابن وحشيه " وينبغي ان يزرع في تشرين اول من الحبوب المقتاته مثل الحنطة والشعير والباقلاء بالزروع الشتوية كلها جملة " انظر ص ١٠٩ أ .
بينما يذكر النويري فعند نزول المطر الموسمي تزرع الحبوب فاذا نزل المطر الثاني نبت الزرع ج ٨ ص ٢٥٦

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
	الفول	زراعة بذوره (١)	المبكر منها	(١) ابن الحجاج مخطوط رقم ج٦١٧ ص٢٣٧، ٢٤١
	الخس، فلفل باذنجان، ملفوف قنبيط	تزرع اشتالها (٢)	يستمر حتى الشهر التالي	(٢) انظر ابن الحجاج مخطوط رقم ٦٩ ص ٥١ب
	الثوم	تزرع بذوره (٣)	ويؤكل اخضر في الشتاء	(٣) النابلسي ص٢٢٤، ١٦٥، ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ص٥٠٦، قسطوس ص١١٦.
	السبانخ	تبذر بذوره (٤)	يؤكل في الشتاء	(٤) قسطوس ص١١٢.

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
تشرين ثاني (××) "نوفمبر"	الاشجار المثمرة (×) كروم ،زيتون ،تفاح ،لوز، تـوت	غرس اشتالها واقلامها وزرع بذور اللوز (١)	يرى قسطوس ان هذا افضل الاوقات للغرس والناس على ذلك في عهده.	(١) قسطوس ص ٣٥ ، ٧٠ — ٧١ ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٢٩٥ ، ٤٤٠ ، ١٣٦ ، مخطوط رقم ٦٩ ص ١٩ ب
	خضار شتوية	بداية انتاج الملفوف والقنبيط والفجل والسبانخ (٢)	يستمر وجودها خلال الشتاء	(٢) ابن الحجاج رقم ٦٣٣٢ ص ٣٣ أ. زكريا مفكرة ص ٣٦١.
	الحبوب "قمح ، شعير عدس ، فول ، حمص ، حلبه ، جلبان ، ترمس ، كرسنه "	زراعة بذور هذه الحبوب (٣)	هذا الشهر هو الموسم الرئيسي لزراعتها خاصة في المناطق الحارة ويلاحظ نشاط الفلاحين بشكل عام في هذا الشهر	(٣) النابلسي ص ٢٤٢ ، الغزى ج ١ ص ١١٤ ، ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٢٤٠ — ٢٤١

(××) يذكر النابلسي ان هذا الشهر هو شهر الزرع انظر ص ٢٤٣

(×) بالنسبة للزيتون يذكر قسطوس انه يزرع في الفترة بين تشرين ثاني واواخر كانون اول وتغرس اوتاده في كانون ثاني اذا تأخر ليصيبه مطر شباط وآذار . ص ١٠٠

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	مصادر
كانون اول	الاشجار المثمرة	تسميد الارض المزروعة بالشجر ثم حرثها (١)	يستمر ذلك حتى كانون ثاني	(١) ابن وحشيه ص ١١٠، أ. النابلسي ص ٢٤٢، ٢٤٥
" ديسمبر "	زيتون ، لوز ، كرم ، تين .	تقليم الزيتون واستمرار تقليم الكروم (٢)	بعد القطاف (×)	(٢) قسطوس ص ١٠٢ ، ٤٢
		غرس اقلام التين (٣)		(٣) ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٤٣٩ ،
		يزهر اللوز المبكر (٤)		(٤) النابلسي ص ٢٤٢ .
	القنب ، الكتان ،	بذر بذورها (٥)		(٥) قسطوس ص ٢٨
	فول ، حمص ، عدس ،	. بذر البذور (٦)	انتهاء موسم زراعة الحبوب الشتوية .	(٦) قسطوس ص ٤٧ ، ٢٨ .
	فجل	يدرك (٧)	في اواخر الخريف حتى فصل الربيع	(٧) قسطوس ص ١١١ ،
	خضار الصيف	قلع هذه المحاصيل لانتهاء موسمها (٨)	المتأخر منها	(٨) زكريا مفكرة ص ٣٧١ ،
	بامية ، فلفل ، باذنجان ،			

(×) يذكر قسطوس ان اجود الاوقات للتقليم حين اجتباء ثمارها هذا هذا هو الاجود والاصلح ص ٧٥ .

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
كانون ثاني (×)	الاشجار المثمرة	تحرف الارض الحرثة الثانية (١)		(١) النابلسي ص ٢٤٥
" يناير		وتسمد ارض الزيتون بعد القطف (٢)		(٢) قسطوس ص ١٠٢
		تغرس اشتال الفستق والبندق (٣)	في اواخر كانون ثاني واذار	(٣) قسطوس ص ٩٤-٩٥ انظر ابن الحجاج رقم ٦٩ ص ٢٠ أ . النابلسي ص ٢٧
	الخضار	تحضير الارض لزراعة الخضروات الصيفية المبكره		
		وتهيأة ارض المنابت لبذور الفلفل والباذنجان (٤)		(٤) انظر زكريا مفكره ص ٣٧٦ .
	البصل ، الثوم	تبذر بذور البصل ويزرع الثوم (٥)	في اواخر هذا الشهر	(٥) قسطوس ص ٥ (١-١١٦) ، انظر ابن الحجاج رقم ٦٩ ص ١٥ ب.
	الكرسنه	تبذر بذورها (٦)	يستمر الى منتصف شباط	(٦) زكريا محاصيل ج ١ ص ٣١٩
	الجزر	تقلع جذوره للاكل (٧)		(٧) قسطوس ص ١١١
	السبانخ ، القرع	تبدأ زراعة البذور (٨)	يكون ادراك السبانخ في اواخر اذار	(٨) قسطوس ص ١١٢ ، انظر
			ويستمر زرع القرع حتى ايار	ابن الحجاج رقم ٦٩ ص ٢٦ أ .
	الباذنجان ، الخس ، بصل ، ملفوف ، قنبيط	تبذر بذورها للحصول على الشتل (٩)	تنقل للارض الدائمة في الربيع	(٩) النابلسي ص ٢٤٥

(×) نظرا لشدة المطر واستمراره في هذا الشهر فان الاعمال الزراعية تقل ويمكن اعتباره فترة انتقال بين الزراعة الشتوية والصيفية . فاذا سمح الطقس تهيأ الارض للزراعة الصيفية وتحرث البساتين الشجرية . انظر زكريا مفكرة ص ٣٧٦ ، ٣٧٩ .

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
شباط " فبراير "	الاشجار المثمرة	تقليم الاغصان ، الحراثة السطحية للقضاء على الاعشاب (١) .	شباط وآذار هو الموسم العادي للتقليم مع افضلية التقليم بعد القطف .	(١) قسطوس ص ٧٦
		ينقل الغرس لكل الشجر " تفاحيات لوزيات تين رمان توت " (٢)	في شباط وآذار	(٢) انظر قسطوس ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ابن بصال ص ٦١ ، ابن الحجاج رقم ٦٢٧ ج ١ ص ١١٥ ، رقم ٦٩ ص ٣٠ أ ، ١٩ أ ، ب ، ٢٠ ب .
		بداية ازهار اللوز (٣)	في المناطق الساحلية والدافئة	(٣) زكريا مفكرة ص ٣٨٦ ، الشهابي الاشجار ص ٣٦٨
	العصفر	زراعة بذوره (٤)	يزرع منه في اذار	(٤) ابن الحجاج رقم ٦٣٣٢ ص ٢٢ أ ،
	محاصيل صيفية	استمرار تحضير الارض والبداية بالزرع (٥)	في المناطق الدافئة والسواحل	(٥) قسطوس ص ٩٣ ، ١١٥ ،
			في اواخر شباط	انظر ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٣١٥ ، رقم ٦٣٩ ص ١٩ ب ، ٢٥ ب .
	الحبوب الشتوية	انتهاء موسم زراعتها (٦)	يستمر زرع العدس في الداخل	(٦) زكريا محاصيل ج ١ ص ٣٠١
	الخس	غرس اشتاله (٧)		(٧) قسطوس ص ١٠٨ ،
	اللفت	زرع بذوره (٨)	يدرك في نيسان	(٨) قسطوس ص ١١٢ ، النابلسي ٢٤٦
	الفول	بداية الازهار (٩)	في المناطق المعتدلة	(٩) زكريا مفكره ص ٣٨٩
	البصل	زرع القنار (١٠)	يجمع في حزيران	(١٠) قسطوس ص ١١٥

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
آذار (×) " مارس "	الاشجار المثمرة	تحرث الارض بين الاشجار (١)		(١) النابلسي ص ٢٣٧ ، انظر ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٣٠ ،
		تسميد اشجار التفاحيات واللوزيات والكروم والنخيل (٢)		(٢) ابن وحشيه ص ١٠٠ أ .
		استمرار غرس وتركيب الاشجار . (٣)	بشرط عدم ظهور العيون النابته ما عدا الرمان فانه يفرس بعد ظهور ورقه .	(٣) قسطوس ص ٧٩ ، ٨١ ، ٨٧ ، ابن وحشيه ص ٩٩ ب ـ النابلسي ص ٢٧ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٩٢ ، ٤٣٩ ،
		بداية قطف اللوز الاخضر (٤)	خاصة في السواحل	(٤) الشهابي الاشجار ص ٣٦٨
		تقليم النخيل (٥)		(٥) ابن بصال ص ٦٠
	بطيخ شمام قثاء خيار	زراعة بذورها (٦)	خاصة في السواحل	(٦) زكريا محاصيل ج ٢ ص ١٧٠
	الانيسون " اليانسون "	زراعة بذوره (٧)	يحصد في آب	(٧) ابن بصال ص ١٤٢
	قطن ، قنبيط ،	زرع بذور القطن واشتال القنبيط المبكر (٨)		(٨) قسطوس ص ٢٩ ، ١١٤ ، النابلسي ص ١٧٩ ، ابن الحجاج رقم ٦٩ ص ٣٢ أ ، رقم ٦٣٣٢ ص ٢٢ أ .

(×) في الربيع والذى يبدأ في آذار يكون موسم العزق والتمشيب والحرث للقضاء على الاعشاب وتهيئة الارض للزراعة الصيفية ولتسهيل وصول الغذاء لجذور الشجر والزرع ، انظر القاسمي ج ٢ ص ٣٠٩ ، زكريا مفكره ص ٣٩٨ ، وفي آذار تحرث الارض وتكرب للعام المقبل لانه ابلغ في المنفعة واجود كما انه لا ينبت فيها حشيش . وهذا في المناطق التي يتبع فيها نظام التبوير . انظر ابن وحشيه ص ١٠٠ أ .

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
آذار	قنب ، كتان	زراعة بذورها (١)	في آذار ونيسان	(١) النابلسي ص ١٤٩ ، ١٣٦
	حمص ، كرسنه ، لوبية سمسم	زراعة البذور (٢)	في آذار ونيسان	(٢) النابلسي ص ١٤٥–١٤٧ ، ١٣٦
	الارز	تزرع بذوره (٣)	وينقل في مايو " ايار " ويحصد في ايلول	(٣) ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٢٤٢ –
	الفول	قطف الفول الاخضر		
	ملفوف ، قنبيط	زرع بذورها (٤)	للحصول على الشتل والزراعة الصيفية في المرتفعات	(٤) انظر قسطوس ص ١١٤

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	مصادر
نيسان "ابريل"	الاشجار المثمرة	حرث الارض حراثة سطحية بين الاشجار (١)		(١) الشهابي زراعة ص ٩٢
		نقل غراس الزيتون للارض الدائمة وتطعيم الاشتال المغروسة سابقا (٢)		(٢) ابن وحشية ص ١٠١ ب. ابن الحجاج رقم ٦٩ص ٢٥أ ، ٣٠أ . رقم ج ٦١٧ ص ٢٩٠ .
		زرع اشتال النخيل (٣)		(٣) التقويم
		بداية تزهير الزيتون والكرم والفستق وكثير من الاشجار .	خاصة في السواحل ويتأخر	(٤) انظر زكريا مفكره ص ٤١٥ ،
		خاصة التفاحيات واللوزيات (٤)	في المناطق الباردة	٤١١ ، محاصيل ج ١ص ٣٠٢
	لوز ، فول	استمرار قطفها خضراء (٥)	خاصة في الاماكن الباردة	(٥) قسطوس ص ٢٩ ، النابلسي ٢٣٨ ،
	بطيخ قثاء ، خيرا قرع	زرع بذورها (٦)	يذكر قسطوس ان "اوان زرع هذه الاصناف في بلادنا في شهر نيسان"	(٦) قسطوس ص ١٢٠ ، انظر ابن الحجاج ج ٦١٧ ص ٣٥٦ ، النابلسي ص ٢٣٨
	الخس	يدرك (٧)	في اوائل هذا الشهر	(٧) قسطوس ص ١٠٨
	الارز	نقل الاشتال للارض الدائمه (٨)	يستمر حتى ايار	(٨) قسطوس ص ٢٩ ،
	الشعير	يحصد (٩)	المبكر منه في المناطق الدافئة	(٩) النابلسي ص ٢٣٨ ،
	الباذنجان	غرس الاشتال (١٠)		(١٠) النابلسي ص ٢٣٨
	سمسم ، ذره ، لوبيا .	زراعة بذورها (١١)		(١١) ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، النابلسي ص ٢٣٨

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	مصادر
نيسان	قنبيط ، ملفوف	زرع البذور المتأخرة (١)	تنقل في حزيران	(١) الغزى ج ١ ص ١٢١
	خضار صيفية	الاستمرار بزراعتها ونكش المبكر منها (٢)		(٢) زكريا مفكرة ص ٤١٨ ،
ايار " مايو "	الاشجار المثمرة	حرث البساتين (٣)	استمرار الحرثة الثالثة " الربيعية "	(٣) النابلسي ص ٢٣٩ ،
		تعقد أزهار الزيتون والكروم والتفاحيات (٤)		(٤) ابن الحجاج ٦٩ ص ٣٢ أ ،
		نضوج ثمار المشمش والكرز والتوت (٥)		(٥) زكريا مفكرة ص ٤١٨ ، ٤٢٣ ،
	بصل ، ثوم	نكش البصل وجمع الثوم (٦)		(٦) قسطوس ص ١١٦ ،
	كرسنه ، شعير ، عدس ، فول ،	قلع هذه المحاصيل (٧)	في الساحل والداخل واول ما يقلع	(٧) النابلسي ص ٢٣٨–٢٣٩ ، انظر
	كتان ، قنب		الكرسنه ثم العدس والشعير والفول وتجفف حتى حزيران .	قسطوس ص ٢٩ . زكريا مفكرة ص ٤١٩
	الباذنجان	يبدأ المبكر منه بالثمر (٨)	يستمر حتى الخريف	(٨) قسطوس ص ١١٥ ،
	قنبيط ، ملفوف ،	غرس الاشتال المبكره (٩)		(٩) ابن الحجاج ٦٩ ص ٣٢ أ ،
	القثائيات	العناية بالمزروعات بنكشها وتمشيبها (١٠)		(١٠) التقويم .

الشهر	المحصول	طبيعة المحصول	ملاحظات	المصادر
حزيران "يونيه"	الاشجار المثمرة (×)	نضوج وقطاف ثمار المشمش ،الكرز ، التوت ، الخوخ ،الدراق ، وبداية نضوج التفاح والاجاص والتين والعنب المبكر (١)		(١) ابن الحجاج رقم ٦٩ ص ٣٠أ ، انظر النابلسي ص ٢٣٩ ،زكريا مفكره ص ٤٢٩ ،الشهابي الاشجار ص ٤٠٨
	البصل	يجمع (٢)		(٢) قسطوس ص ١١٥
	قمح (الحبوب عامه)	يحصد (٣)	في السواحل والمناطق الدافئه.	(٣) النابلسي ص ٢٣٩ ،زكريا مفكرة ص ٤٢٩ ،محاصيل ج ١ص ١٩٢
	قنب ،كتان	يستمر الحصاد للمحصود المتأخر (٤)		(٤) النابلسي ص ١٤٩
	بطيخ ،شمام ،خيار ،قثاء،	تبدأ بواكيرها بالنضوج (٥)		(٥) النابلسي ص ٢٣٩
	سمسم	بداية قلعه (٦)	يتأخر ذلك في المناطق المرتفعة.	(٦) الشهابي زراعه ص ٤٣٢ ،
	خضار الصيف باميه ،باذنجان ،فلفل ،كوسا ، فصوليا ،لوبيا ، ملوخية .	تكون في اوج ثمارها (٧)		(٧) زكريا مفكره ص ٤٢٩

(×) لا تزرع الاشجار في هذا الشهر لازدياد الحر فيه ، النابلسي ص ٢٤٠ .

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصدر
تموز "يوليه"	الاشجار المثمرة	استمرار نضوج الفواكه وقطافها نضوج اللوز اليابس ، يكون البطيخ والشام في اوج قطافها . (١)	يعتبر هذا شهر الفواكه في الشام	(١) النابلسي ص ٢٤٠ ، ابن وحشيه ص ١٠٥ ب ، ١٠٦ أ ، الغزى ج ١ ص ١١٨ ، ١٢٤
		حرث الارض الحراثة الصيفية بين الشجر وحرث الارض بعد الحصاد (٢)		(٢) زكريا مفكره ص ٤٣٧ ، الشهابي ص ٩٢ الزراعه .
	قمح شعير سمسم	حصاد وقلع السمسم (٣)	في المناطق الشمالية والمرتفعة	(٣) الشهابي زراعه ص ٢٨٠ ،
	البصل	يجمع (٤)	المتأخر منه في المرتفعات	(٤) زكريا مفكره ص ٤٣٨
		وتجمع زريعة البصل في هذا الوقت (٥)		(٥) قسطوس ص ١١٥
	الفول	يزرع (٦)	في المرتفعات خاصة كما في القلمون	(٦) زكريا محاصيل ج ١ ص ٢٨٢
	خضار الصيف	يستمر جني ثمارها		
	القطن	يبدأ جمع ازهاره (٧)	ويستمر في تموز واب وايلول	(٧) قسطوس ص ٢٩

الشهر	المحصول	طبيعة العمل	ملاحظات	المصادر
آب "اغسطس"	الاشجار المثمرة	يستمر موسم قطاف الفواكه (١)		(١) قسطوس ص ٤٨ ، ٩١ ، النابلسي ص ٢٤٠
		يبدأ نضوج الفستق والبندق والجوز واللوزاليابس (٢)		(٢) النابلسي ص ٢٤٠ ، الغزى ج ١ ص ١٢٣ ، زكريا مفكره ص ٤٢
		بداية تسميد ارض البساتين وحرثها الحراثة الصيفية (٣) .	يستمر موسم التسميد حتى اوائل الشتاء .	(٣) النابلسي ص ١٣ ، التقويم
	سمسم ، بطيخ ، ارز ، قطن .	قلعها وقطافها (٤)		(٤) قسطوس ص ٢٩ ، النابلسي ٢٤٠ .
	القمح	يحصد (٥)	في المناطق المرتفعه "المتأخر منه"	(٥) الشهابي زراعه ص ٢٨٠ ،
	قثائيات	استمرار قطافها (٦)	الى اواخر الشهر	(٦) النابلسي ص ٢٤٠ ،
	فجل ، جزر	زراعة بذورها (٧)	المبكر منها وتؤكل في الخريف	(٧) ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٥٠٥ — ٥٠٦
	قنبيط ، ملفوف	نقل الاشتال (٨)	المبكر منها	(٨) ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٢٦٥ — ٢٦٦ .

الشهر	المحصول	طبيعة	ملاحظات	المصادر
ايلول "سبتمبر"	الاشجار المثمرة	بداية حراثة الارض استقبالا للمطر (١)		(١) النابلسي ص ٢٤١ ،
		استمرار نضوج الفواكه واللوزيات اليابسه (٢)	ينتهي موسم العنب في الجنوب ويتأخر في الغوطه	(٢) النابلسي ص ٢٤١ ، قسطوس ص ٩٣
		بداية قطاف الزيتون (٣)	يذكر قسطوس ان ذلك يبدأ في اواخر	(٣) قسطوس ص ١٠٢
		زرع بذور الجوز واللوز (٤)		(٤) ابن الحجاج رقم ج ٦١٧ ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .
	البطيخ	قطافه (٥)	في الشمال خاصة منطقة حلب	(٥) زكريا محاصيل ج ٢ ص ١٧٨
	اللفت (×) ، الهليون	يـــــزرع (٦)	(××)	(٦) قسطوس ص ١١٢ ، ١١٤ .
	قمح ، شعير	بداية الزرع المبكر (٧)	في اواخر هذا الشهر وتسمى بالعفير	(٧) النابلسي ص ٢٤١ ، ١٣٧ الغزي ج ١ ص ١١٧ ، زكريا مفكرة ص ٣٤٦ ، الشهابي زراعه ص ٢٥١ .
	البصل	ينضج ويقلع (٨)	في منطقة حماه	(٨) الغزي ج ١ ص ١١٥ زكريا مفكره ص ٣٤٧
	الارز	استمرار الحصاد (٩)		(٩) ابن الحجاج ج ٦١٧ ص ٤٣٢ .
	فجل ، جزر لفت ، قنبيط ، ملفوف ،	زراعه بذور الثلاثة الاولى ونقل اشتال الباقي (١٠)	في ايلول وتشرين اول	(١٠) قسطوس ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ .

(×) زراعة اللفت في موسمين ، ايلول واواخر شباط ، يدرك الاول في كانون اول حتى اواخر الشتاء والثاني في نيسان حتى اواخر الربيع . قسطوس ص ١١٢ .

(××) تبدأ زراعتها في النبك والزبداني وجبال لبنان وشمال سوريا حيث تكون الرطوبة قد بدأت بالازديا د واحيانا تزرع في الجنوب ايضا وتسمى بالغباريه شمالا وبالعفير جنوبا وتستمر حتى تشرين اول .

الفصـــل الرابـــع

المحاصيـــل الزراعيـــة وتربيـة المواشـــي

أ ـ المحـــاصيـــل الغذائيـــة : ـ

لا تكاد تختلف انواع المحاصيل والاشجار المثمرة في سوريا في العصـــر الاموى عما هي عليه الان الا في حاصلات عرفت بعد اكتشاف العالم الجديد كالتبغ والبندورة والبطاطا والذرة الصفراء او المشرق كالاسكي دنيا والجريب فروت وقصـب السكر الذى نقله العرب عن الصينيين ⁶ (١) ونظرا لمعرفته في وقت مبكر فانه سرعان ما اصبح من محاصيل الغور الرئيسية (٢) ، كما اشتهر في كابل (٣) ، وطرابلس (٤) وصيدا (٥) وعكا (٦) وعرقه (٧) .

وكذلك الحال بالنسبة للبرتقال والحمضيات عموما فهي لم تعرف في بلاد الشام قبل سنة ٣٠٠ هـ اذ يذكر المسعودى (ت ٣٤٥ هـ) وكذلك شجر النارنج والاترج المدور جلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف" (٨)

---

١ ـ انظر حتي تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٣٠ ، زكريا محاصيل ج ٢ ص ٨٤ حماده ص ٩٠ ، الشهابي مجلة المجمع العربي مجلد ٧ ص ١١٢ ، وتاريخ الزراعة في العالم العربي .

(٢) ياقوت ج ١ ص ١٤٧ ، ج ٣ ص ١١١ ، ن ٤ ص ٢١٧ ، القلقشندى ج ٤ ص XV ، الباكوى ص ٤٣ ، ابن شداد ج ٢ ص ١٣٦ لسترانج ص ٤٩ ، (٣) المقدسي ص ١٦٢ (٤) خسرو ص ١٣ ، ابن شداد ج ٢ ص ١٠٤ (٥) خسرو ص ١٤ ـ ١٥ ، (٦) النويرى ج ٨ ص ٢٧١ ، (٧) ابن شداد ج ٢ ص ٩٢ ، (٨) المسعودى مروج ج ٢ (طبعة طهران بالاوفست عن طبعة باريس الثانية) ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، الفزى ج ١ ص ٣٣ ، الدورى تاريخ العراق ص ٥٨ ، الدومنكي ص ١٠٨ ، الشهابي الزراعه ص ٥ ، الشهابي تاريخ الزراعه في العالم العربي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٧ ص ١١٢ .

اما الارز والقطن فلا اهمية لهما بين غلال البلاد حتى اوائل هذا القرن وكانا يزرعان بمقدار قليل (١) ، وقد ذكرهما قسطوس ت ٣١١ هـ لكنه يقول انهما لا يصلحان الا بالماء " ولذلك لا يقدر على زراعة القطنية في بلادنا الا من كان له ماء جار يسقي به متى احتاج الى السقي " (٢) ، كما يذكر المقدسي ٣٧٥ الارز والقطن على انهما من محاصيل الشام (٣) ، وهذا يعني انهما كانا معروفين عند اهل الشام قبل القرن الرابع الهجرى ، لكننا لا نستطيع الجزم بوجودهما في العصر الاموى ، ويذكر رسلبيه " أن القطن زرعه المسلمون في سوريا " (٤) فهو ان عرف فقد كانت بداية معرفته الا انه اشتهر في الحولة (٥) وجبل السماق (٦) وعسقلان (٧) وكذلك الرز في الغور خاصة بيسان (٨) والحولة (٩) .

كان القمح والشعير وبعض الخضار كالبصل والثوم وكذلك التين والزيتون والكرمة معروفة في سوريا منذ اقدم العصور . (١٠)

واشتهرت الشام عموما بالحنطة والشعير (١١) وكانت حوران ولا تزال مشهورة بالحبوب (١٢) واعتبرت مدينة نوى في حوران " معدن القموح والحبوب " (١٣)

---

١ ــ انظر النابلسي ص ١٤٣ ، حماده ص ٧٧ ، زكريا محاصيل ج ١ ص ٢٥٢ ، موترد الاحوال الاقتصادية في سوريا الرومانية المشرق مجلد ٢٥ لسنة ١٩٢٧ ص ٢٩٩ ،
(٢) قسطوس ص ٢٩ ، (٣) المقدسي ص ١٦٢ ، ١٨٠ ــ ١٨١ ، (٤) رسلبيه ص ١١٥ ، انظر حتي لبنان ص ٢٣٦ ، ويرى د . الموصلي وجميل معلا ان الاغلب عدم وجود القطن بسوريا في العصر الاموى . (٥) المقدسي ص ١٦٠ ، (٦) القزويني ص ١٨٣ ٢٠٧ ، الباكوى ص ٥٢ ، (٧) ابن العوام ص ٢٧١ ، انظر النابلسي ص ١٤٩ ، ١٥٠ ،
(٨) انظر حماده ص ٧٧ ، (٩) المقدسي ص ١٦٢ ، ١٨٠ ــ ١٨١ ، انظر الظاهري ص ٤٦ ، جبب المجتمع ج ٢ ص ١٠٨ ، (١٠) فخرى ص ٥٨ ، (١١) الازدى ص ١١٣ ، ابن اعثم ج ١ ص ١٧٧ ، الدبس مجلد ٤ ص ١٤٥ ، (١٢) موتر المشرق مجلد ٢٩ لسنة ١٩٤١ ، ص ٢٢٧ ،
(١٣) المقدسي ص ١٦٠ ، ياقوت ج ١ ص ٣٣٨ .

واكثر زراعة معرة النعمان القمح " وهو كثير " (١) ، واغلب زراعة الخليل الشعير اما القمح فهو قليل (٢) ، ويذكر ياقوت ان عمان معدن الحبوب (٣) ، ويضرب المثل بجودة حنطة البلقاء (٤) واشتهرت بالس بالقمح والشعير (٥) وما بين حلب وانطاكية كان الفلاحون يزرعون الحنطة والشعير تحت اشجار الزيتون (٦) ، ولا يزالون يفعلون ذلك . كما اشتهر جبل السماق وسهل حلب بالحبوب ومنها السمسم (٧) ، وفي الواقع فان الحبوب كالقمح والشعير والعدس والحمص والفول والسمسم تحتل $\frac{3}{4}$ الاراضي الزراعية في الشام حتى اوائل هذا القرن لانها تزرع في شتى انحاء سوريا خاصة القمح الذى تخصص له نصف الارض الزراعية في سوريا (٨) . ويتوقع ان تحظى الحبوب باهتمام كبير في العصر الاموى نظرا لاهميتها الغذائية للسكان .

وفي القرن السابع الميلادى كان يزرع نوعا جيدا من القمح على جبل الزيتون في القدس لان تربته جيدة لزرع الحبوب والزهور (٩) .

ويعدد النويرى المحاصيل الشتوية بالشام في عهده ت ٧٢٢ هـ ، وهو وان تأخر عصره الا ان الحاصلات لم تتغير عما كانت في العصر الاموى وهذه هي : — قمح ، شعير ، شوفان ، فول ، حمص ، عدس ، كرسنه ، جلبان ، البستيلبه ، وتسمى في طرابلس الحالبه (١٠) ، اما المحاصيل الصيفية فهي : ذره ، سمسم ، دخن ، ارز ، الحبه السوداء ، (١١) ، السكبرة ، المقاثي ، الوسمه ، هو ورق النيل القرطم ، هو العصفر ، القطن والقنب (١٢) . كما يذكر ابو هلال العسكرى ان الترمس " حب يكون بالشام " (١٣) وعرفت كذلك في حماه جميع الغلال الصيفية والشتوية (١٤) .

---

١ — خسرو ص ١١ ، (٢) خسرو ص ٣٥ ، (٣) ياقوت ج ٤ ص ١٥١ ، (٤) ياقوت ج ١ ص ٤٨٩ ، (٥) ابن حوقل ص ١٦٥ ، (٦) ابن بطلان ص ١٨ ، ياقوت ج ١ ص ٢٦٧ ، (٧) القزويني ص ٢٠٧ ، الباكوى ص ٥٢ ، (٨) انظر حماده ص ٧٥ — ٧٦ ، حميده ص ١٩ ، ١٤٠ ، (٩) العارف المفصل في تاريخ القدس ج ١ ص ١٠٦ ، (١٠) وربما كانت ما يسمى اليوم الحلبه ويسميها النابلسي قرون المعز ص ١٤٧ ، (١١) وتسمى في فلسطين القزحه ، انظر منصور ص ١٠٣ ، (١٢) النويرى ج ٨ ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ، انظر القلقشندى ج ٤ ص ٨٦ ، ابو البقاء ص ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٢٥٤ ، الغزى ج ١ ص ١١٤ — ١١٦ ، يوسف الحوليات الاثرية مجلد ٢٠ لسنة ١٩٧٠ ص ٤٠ ، (١٣) العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٧٩ ، (١٤) يوسف الحوليات مجلد ٢٠ لسنة ٧٠ ص ٣٥ .

واهم مناطق زراعة القنب هي : الغوطة ، وسهل حلب (١) ، وكانت النيله تزرع في الغور وكابل (٢) ،

وزرعت في الشام شتى انواع البقول والخضار (٣) ، ويذكر ابو هلال العسكرى ان النبات الرطب كله عند العرب بقل مثل حب الرشاد ، اللفت ، الفرفخ ، الكرفس ، البصل ، الثوم ، القنبيط ، الخس ، الكراث ، الجرجير ، الفطر ، الدبا ، اليقطين ، القرع ، سواء - البطيخ ، الباذنجان ، الفول " ويبين ان هذه كلها من البقول (٤) وكلها زرعت بل ولا تزال تزرع في الشام ، اذ يرى حتي ان العدس والقرع والفصوليا دخلت سوريا من مصر قبل الميلاد (٥) ، كما عرفت الشام قديما الخس والثوم والحمص والفول والخيار ، (٦) وان القمح والشعير والفول والترمس واللوبيا والحلبه والكرسنه والقنب من المحاصيل القديمة جدا في الشام (٧) ، وتزرع في شتى الاماكن الشامية وكذلك السمسم والبصل (٨) ، وقد ورد ذكر هذه المحاصيل على انها من ثمار الارض المقدسه في الكتاب المقدس (٩) . ومن اماكن زراعتها المشهورة غوطة دمشق ، وسهل حلب (١٠) ، فقد اشتهر في الغوطة البصل والثوم (١١) ، وكذلك في معرة مصرين (١٢) ، كما اشتهرت عسقلان بالفجل والبصل منذ زمن الرومان (١٣) ، حتى ان الفجل اعتبر نباتا خاصا بسوريا (١٤) وهو ينمو جيدا في دمشق وغوطتها (١٥) .

---

١ - ابن الشحنه ص ١٤٨ ، ابو البقاء ص ٦١ ، الغزى ج ١ ص ١١٧ ، القاسمي ج ١ ص ٩٠ ، (٢) المقدسي ص ١٦٢ ، ابن شداد ج ٢ ص ٦٧ ، لسترانج ص ٤٩ .
(٣) القلقشندى ج ٤ ص ٨٧ ، (٤) العسكرى التلخيص ج ٢ ص ٤٦٧ - ٤٦٨ ،
(٥) حتي سوريا ج ١ ص ٣٠٢ ، (٦) حتي سوريا ج ١ ص ٢٧ ، ٥٢٠ ، وانظر الحسني ص ٣٠ ، (٧) زكريا محاصيل ج ١ انظر ص ٣٧ ، ١٨٣ ، ٢٧٨ ، ٢٦٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، (٨) زكريا محاصيل ج ٢ ص ٥ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٨٠
(٩) انظر منصور ص ٧ ، ٩ - ١٥ ، ١٧ ، زكريا مفكرة ص ٢٢ - ٢٧ ،
(١٠) ابو البقاء ص ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ - ٢٩٥ ، ٢٩٧ - ٢٩٨ ، النويرى ج ١١ ص ٧٨ ، ابن الشحنه ص ١٤٧ - ١٤٨ ، انظر جب المجتمع ج ٢ ص ١٠٥ ، (١١) ابو البقاء ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، (١٢) ابن العديم بغية مخطوط ص ١٨٠ ، (١٣) المعارف عسقلان ص ٤٧ ، بني ص ٥٣١ ، (١٤) حتي سوريا ج ١ ص ٣٢٥ (١٥) القاسمي ج ٢ ص ٣٣٥ .

وبشكل عام فان الغوطة والمرج يزرع بيها مختلف اصناف الحبوب والخضار والبقول الصيفية والشتوية وكذلك الحال بالنسبة للجولان (١) والقلمون (٢) ومناطقــة حماه (٣) .

ومن المحاصيل القديمة في بلاد الشام البطيخ (٤) والشمام ، ويبدو ان البطيخ اشتهر من قبل في فلسطين لان ابن العوام يذكر من انواع البطيخ ، البطيخ الفلسطيني (٥) ، كما اشتهرت منطقة حماه بالبطيخ ايضا ، (٦) وكثر وجوده في كابل (٧) ، أما نابلس ففيها البطيخ المنسوب اليها وهو طيب عجيب (٨) ولها ايضا " البطيخ الاصفر (اى الشمام) الزائد الحلاوة على جميع بطيخ الارض(٩) كما كان يزرع البطيخ في البلقاء (١٠) وينسب الى قرية ضمير شمال شرق دمشق البطيخ الضميرى (١١) ، ويذكر ابو البقاء اصناف البطيخ في الغوطة (١٢) واشتهر كذلك البطيخ في حلب (١٣) وفي الشام عموما " من انواع البطيخ والقثاء ما يستطاب ويستحسن " (١٤) .

ب ـ الاشجار المثمرة والفواكـــــــــــه : ـ

اما الاشجار المثمرة في الشام فان اقدمها بل واهمها واكثرها انتشارا في انحاء الشام هي شجرة الزيتون والتين (١٥) ، والكرمه . وقد ورد ذكر هذه الاشجار في الوثائق المصرية القديمة والكتاب المقدس (١٦) .

---

١ ـ زكريا الريف ج ١ ص ٥٣٠ ، (٢) ن ٠م٠ ص ٩٨ ، (٣) الكيلاني ص ١٨١ ، مجلة الحوليات الاثرية مجلد ٢٠ لسنة ١٩٧٠ ص ٣٥ ، عبد الودود يوسف .
(٤) انظر زكريا محاصيل ج ٢ ص ١٨٠ ، منصور ص ١٧ ، (٥) ابن العوام ص ٢٩٦ ، انظر عيسى ص ٦٣ ، (٦) مجلة الحوليات مجلد ٢٠ لسنة ١٩٧٠ ص ٣٨ عبد الودود يوسف
(٧) المقدسي ص ١٦٢ ، (٨) ابن بطوطة ص ٦١ ، (٩) شيخ الربوة ص ٢٠٠ ،
(١٠) انظر ابن الوردى تاريخ ج ١ ص ٢٠٤ ، (١١) ابو البقاء ص ٢٥٦ ،
(١٢) ابو البقاء ص ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، (١٣) ، القزويني ص ١٨٣ ، ابن الشحنه ص ١٤٣ ، الغزى ج ١ ص ١١٨ ، (١٤) القلقشندى ج ٤ ص ٨٧ ، (١٥) حتي ابن عساكر يذكر ان ابن عباس فسر اية " والتين والزيتون " الواردة في القرآن الكريم بقوله : التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين اى انهما مختصتان بهاتين الشجرتين ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٢٠٣ ـ (١٦) فخرى ص ٦٣ ، ٦٨ ، منصور ص ٧ ، المشرق مجلد ٢ لسنة ١٨٩٩ ص ٧٢١ ، سليم اصفر ، حميده ص ١٨ ـ ١٩ ، الشهابي الزراعه ص ٥ ، الاشجار ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ، ١٢٣ ، ٢١١ ، الديس مجلد ٤ ص ١٤٥ ، جب المجتمع ج ٢ ص ١٠٩ ، حتي سوريا ج ١ ص ١٨ ، كرد علي مخطط ج ٤ ص ١٦٨ ، .

وكان الخل والزيت يدفع ضريبه عينية في بلاد الشام مما يدل ان الكرمه والزيتون كانت محاصيل اساسية لدى الفلاحين في الشام في العهد الاموى (١) ووصفت الشام انها بلاد الفواكه والاعناب (٢) .

ويوجد الزيتون في اكثر نواحي الشام بشكل كثيف خاصة في منطقة البلقاء ونابلس والجليل وطرطوس واللاذقية وانطاكية وادلب وحلب وقنسرين (٣) ، كما تتوزع الكرمه في البلقاء والقدس والغوطه وحلب وادلب والسويداء ووادى العاصي (٤) .

واثناء المطالبة بدم الوليد بن يزيد من قبل اهل حمص لقيهم سليمان بن هشام وقد نزلوا بالسليمانية (٥) " فجعلوا الزيتون على ايمانهم والجبل على شمائلهم والجبال خلفهم وليس عليهم مأتى الا من وجه واحد " (٦) ، اى ان السليمانية كانت مغروسه بالزيتون الذى كان كثيفا وضخما مما شكل غابة تمنع عبور الجيش منها .

كما غرس الزيتون ايضا في اقصى جنوب الشام في الحميمه (٧) ، ووادى موسى (٨) ويرى الدينورى ان الزيتون في فلسطين في عهده كله قديم منذ زمن الرومان (٩) ، ويصف الثعالبي الشام انها " اكثر بلاد الله زيتونا " (١٠) وكان الزيت الشامي يصدر على نطاق واسع ويسمى بالركابي لانه كان يحمل على الركائب وهي الابل الى مختلف البلدان .

---

١ — ابو عبيد ص ٥٥ ، ٣٢٥ ، ٩٦٥ ، (٢) الازدى ص ١١٣ ، ابن اعثم ج ١ ص ١٧٧

(٣) الشهابي الاشجار انظر ابن الفقيه ص ١١٥ ، المقدسي ص ١٧٤ ، ياقوت ج ١ ص ٦٧ ، ج ٤ ص ٤٧٦ ، ابن العديم بغية ص ١١٦ ، ١٤٨ — ١٥٠ ، ٢١١ — ٢١٣ ، ٣٢٤ — ٣٢٥

(٤) زكريا مفكره ص ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، (٥) مزرعه كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على اربعة عشر ميلا ، الطبرى ج ٧ ص ٢٦٤ ، (٦) الطبرى ج ٧ ص ٢٦٤ ، ابن عساكر تهذيب ج ٤ ص ١٠٦ ، (٧) البلخي ج ٥ ص ١٠٦ ، المبرد ج ٢ ص ٢٠٧ ، (٨) ياقوت ج ٥ ص ٣٤٦ ، البغدادى المراصد ج ٣ ص ١٤١٨ ، القزويني ص ٢٧٢ ، (٩) الدينورى ص ٢٠٢ ، (١٠) الثعالبي ثمار ص ٤٢٢ ، لطائف ص ١٥٧ .

اما ما بين فلسطين وقنسرين فهذه " ريف الدنيا من الزيتون " (١) ، ووصفت نابلس بكثرة الزيتون " بل انها اكثر بلاد الشام زيتونا " (٢) ، وكانت سائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وتين وجميز وعنب (٣) ، ويذكر ياقوت ان المسافة بين حلب وانطاكيه كانت مغروسه بالزيتون (٤) ، وما بين الاثارب الى نحو جبل السماق كفلسطين في كثرة الزيتون (٥) ، كما غرس الزيتون في ارك (٦) وتدمر (٧) . واشتهرت به كذلك معرة النعمان (٨) ، ويبدو ان هشام بن عبد الملك غرس في ضياعه بالرصافة الزيتون الكثير (٩) .

والى جانب الزيتون فقد انتشرت اشجار التين والعنب على نطاق واسع فيذكر المقدسي انه يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب (١٠) وكذلك الحال في دمشق (١١) وكما اشتهرت معرة النعمان بالزيتون فقد اشتهرت ايضا بالتين والكروم (١٢) ووصفها ابن جبير انها " سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ويتصل التفاف البساتين وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقا " (١٣) . واشتهرت كروم منبج (١٤) ، واكثر زرع د ركوش العنب (١٥)

---

١ ــ ابن الفقيه ص ١١٥ ، انظر شيخ الربوة ص ٢١١ ، (٢) المقدسي ص ١٧٤
انظر مجير الدين ص ٧٥ ، ابن بطوطه ص ٦٠ ، شيخ الربوة ص ٢٠٠ ، الدومنكي ص ٢٧٧ ،
(٣) الاصطخرى مسالك ص ٥٨ ، اقاليم ص ٣١ ، ابن حوقل ص ٩ ــ ١٠ ، الادريسي ص ٧
ابو الفداء ص ٢٤١ ، ابن شداد ج ٢ ص ٢٣٩ ، القلقشندى ج ٤ ص ٩٥ ، الدومنكي ص ٦٨ ،
(٤) انظر ابن بطلان ص ١٨ ، ياقوت ج ١ ص ٥٦٧ ، ج ٤ ص ٤٧٦ ، (٥) ابن العديم بغية ص ١١٦ ، (٦) ياقوت ج ١ ص ١٥٣ ، البغدادى المراصد ج ١ ص ٥٧ ،
(٧) القلقشندى ج ٤ ص ١١٤ ، (٨) خسرو ص ١١ ، ابن جبير ص ٢٤٢ ، (٩)
انظر البكرى ج ٤ ص ١٣٥٦ ، (١٠) + (١١) المقدسي ص ١٨٠ ، (١٢) ابن حوقل ص ١٦٤ ، (١٣) ابن جبير ص ٢٤٢ انظر ياقوت ج ٥ ص ١٥٦ ، ابن بطوطه ص ٦٧ ، ابو الفداء ص ٢٣١ ، ٢٦٥ ، شيخ الربوة ص ٢٠٥ ، البغدادى مراصد ج ٣ ص ١٢٨٨ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٢٦ ، القزويني ص ٢٧ ، ٢٠٧ ، ابن الشحنه ص ١٤٩ ، الهاكوى ص ٧٥ ،
(١٤) ابن حوقل ص ١٦٦ . (١٥) القلقشندى ج ٤ ص ١٢٨ .

اما ما بين فلسطين وقنسرين فهذه " ريف الدنيا من الزيتون " (١) ، ووصفت نابلس بكثرة الزيتون " بل انها اكثر بلاد الشام زيتونا " (٢) ، وكانت سائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وتين وجميز وعنب (٣) ، ويذكر ياقوت ان المسافة بين حلب وانطاكيه كانت مغروسه بالزيتون (٤) ، وما بين الاثارب الى نحو جبل السماق كفلسطين في كثرة الزيتون (٥) ، كما غرس الزيتون في ارك (٦) وتدمر (٧) . واشتهرت به كذلك معرة النعمان (٨) ، ويبدو ان هشام بن عبد الملك غرس في ضياعه بالرصافة الزيتون الكثير (٩) .

والى جانب الزيتون فقد انتشرت اشجار التين والعنب على نطاق واسع فيذكر المقدسي انه يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب (١٠) وكذلك الحال في دمشق (١١) وكما اشتهرت معرة النعمان بالزيتون فقد اشتهرت ايضا بالتين والكروم (١٢) ووصفها ابن جبير انها " سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ويتصل التفاف البساتين وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقا " (١٣) . واشتهرت كروم منبج (١٤) ، واكثر زرع دركوش العنب (١٥)

---

١ ــ ابن الفقيه ص ١١٥ ، انظر شيخ الربوة ص ٢١١ ، (٢) المقدسي ص ١٧٤ انظر مجير الدين ص ٧٥ ، ابن بطوطه ص ٦٠ ، شيخ الربوة ص ٢٠٠ ، الدومنكي ص ٢٧٧ ، (٣) الاصطخرى مسالك ص ٥٨ ، اقاليم ص ٣١ ، ابن حوقل ص ٩ ــ ١٠ ، الادريسي ص ٧ ابو الفداء ص ٢٤١ ، ابن شداد ج ٢ ص ٢٣٩ ، القلقشندى ج ٤ ص ٩٥ ، الدومنكي ص ٦٨ ، (٤) انظر ابن بطلان ص ١٨ ، ياقوت ج ١ ص ٥٦٧ ، ج ٤ ص ٤٧٦ ، (٥) ابن العديم بغية ص ١١٦ ، (٦) ياقوت ج ١ ص ١٥٣ ، البغدادى المراصد ج ١ ص ٥٧ ،

(٧) القلقشندى ج ٤ ص ١١٤ ، (٨) خسرو ص ١١ ، ابن جبير ص ٢٤٢ ، (٩) انظر البكرى ج ٤ ص ١٣٥٦ ، (١٠) + (١١) المقدسي ص ١٨٠ ، (١٢) ابن حوقل ص ١٦٤ ، (١٣) ابن جبير ص ٢٤٢ انظر ياقوت ج ٥ ص ١٥٦ ، ابن بطوطه ص ٦٧ ، ابو الفداء ص ٢٣١ ، ٢٦٥ ، شيخ الربوة ص ٢٠٥ ، البغدادى مراصد ج ٣ ص ١٢٨٨ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٢٦ ، القزويني ص ٢٧ ، ٢٠٧ ، ابن الشحنة ص ١٤٩ ، الباكوى ص ٧٥ ، (١٤) ابن حوقل ص ١٦٦ . (١٥) القلقشندى ج ٤ ص ١٢٨ .

واذا ما انتقلنا الى حماه فان هناك سهل فسيح " اكثر اشجاره الاعناب والبساتين متصله على شاطئ النهر " (١) ويذكر ابو الفداء ان البساتين كانت متصلة من الزبداني حتى دمشق على طرفي وادى بردى (٢) ،ويعدد ابو البقاء خمسين صنفا من اصناف العنب في الغوطه بعد ان يذكر ان كثيرا من قراها " برسم زراعه كروم العنب وعرائشه " (٣) . كما يعدد ستة عشر صنفا من اصناف تين الغوطه (٤) . وكان بملطية الكروم والجوز واللوز والرمان وسائر الثمار (٥) .

ويبدو ان الرمان كان اقل اهمية في الشام لكنه اشتهر في بعض الاماكن كبلدة حـــارم التي بلغت جودة رمانها انه كان دون عجم (٦) . كما اشتهرت بلدة ياسوف بالرمان (٧) ، زيادة على ان الغوطه اشتهرت بالرمان (٨) ،وكان كثيرا في مآب خاصة الكرك (٩) واشتهر ايضا من بين اشجار معرة النعمان (١٠) وحلب (١١) . واشتهر كذلك ايضا رمان السلط (١٢) ، وشيزر (١٣) ،وكان رمان عسقلان كثيرا (١٤) ،وعلى نطاق اضيق زرع في بلاد الشام النخيل والموز واكثر انحاء الشام شهره بهذين المحصولين هو الغور (١٥) . ويصف ابن حوقل كثرة نخيله بقوله " وكأن الغور من بين البلاد لحسنه وتعدد نخيله وطيبه ناحيه من نواحي العراق الحسنة الجليلة " (١٦) كما وجد النخيل على الساحل في قيساريه وحيفا

---

١ ــ خسرو ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥ ، (٢) ابو الفداء ص ٢٥٥ ، (٣) ابو البقاء ص ٢٢٣ــ٢٢٤
(٤) ابو البقاء ص ٢٦١ ،انظر القاسمي ج ٢ ص ٣٢١ ــ ٣٢٢ (٥) ابن حوقل ص ١٦٦
(٦) ابو الفداء ص ٢٥٩ ،انظر القلقشندى ج ٤ ص ١٢٤ ،(٧) ياقوت ج ٥ ص ٤٢٥ ، البغدادى مراصد ج ٣ ص ١٤٧١ وهي من قرى نابلس (٨) ابو البقاء ص ٢١٤
(٩) المقدسي ص ١٧٨ ،الادريسي ص ٤ ، دومنكي ص ٤٩ ،كرد علي خطط ج ٤ ص ١٦٧ ابو الفداء ص ٢٤٧ ، (١٠) خسرو ص ١١ ابن جبير ص ٢٤٢ ، (١١) ابن الشحنه ص ٢٥٢ ،(١٢) ابو الفداء ص ٢٤٥ ، (١٣) ابو الفداء ص ٢٦٣ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٢٣ ، (١٤) ابن الوردى خريده ص ٣٩ ، (١٥) الاصطخرى اقاليم ص ٣٢ ،مسالك ص ٥٩ ، المقدسي ص ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ،خسرو ص ١٣ ،ياقوت ج ١ ص ٥٢٧ ، ج ٣ ص ١١١ ،ج ٤ ص ١٨ ،القزويني ص ١٤٢ ،باكوى ص ٤٣ ، دومنكي ص ١٠ ،
(١٦) ابن حوقل ص ١٦٠ .

وجبيل (١) ،واشتهر بالجفار النخل الجيد الثمر (٢) ،وكان في غزه قليل من النخل (٣) ،وكذلك في طرابلس (٤) ،وبيروت (٥) والاسكندرونه (٦) ، واشتهرت تدمر بالنخيل (٧) ،ومثلها منطقة بالس (٨) ،اما عين زربه فهي " شبيهه بمدن الغور وبها النخيل (٩) .

ويزرع التوت في بلاد الشام ، لكنه لم يكن منتشرا ، الا انه اكثر ما اشتهر في منبج (١٠) ،ونسب للشام التوت الاحمر ويسمى بالتوت الشامي (١١) ، لكنه يبقى من المحاصيل غير الهامه في الشام على كل حال .

وتعتبر اللوزيات عموما محاصيل قديمه في الشام ، ومن هذه اللوز والمشمش والخوخ ،والدراق والجوز والفستق والبندق . فقد اشتهرت الغوطه باللوز (١٢) ، والمشمش (١٣) ،وفي منطقة موآب اشتهر اللوز والمشمش (١٤) ، وينتج في طرابلس والقدس كثير من الجوز واللوز (١٥) ، كما كانت عسقلان تنتج كثيرا من اللوز (١٦) ، اما منطقة معرة النعمان فكان غالب شجرها التين والفستق واللوز والمشمش والرمان والتفاح " (١٧) ، واشتهر الخوخ في حلب ايضا (١٨) ، اما في حماه فالشهرة للمشمش واللوز (١٩) وكذلك في الشوبك (٢٠) ،وجبل السماق (٢١) .

---

١ — خسرو ص ١٤ ، (٢) ياقوت ج ٢ ص ١٤٥ ،القزويني ص ١٧٩ — ١٨٠ ، (٣) ابو الفداء ص ٢٣٩ ، (٤) الاصطخرى اقاليم ص ٣٣ ، مسالك ص ٦٦ ، (٥) ابو حوقل ص ١٦٢ ، (٦) ابن حوقل ص ١٦٧ ، (٧) ياقوت ج ١ ص ١٥٣ ،البغدادى مراصد ج ١ ص ٥٧ ، ٢٥٤ ،القلقشندى ج ٤ ص ١١٤ ، (٨) ابن خرداذبه ص ٩٨ ، (٩) ابن حوقل ص ١٦٧ ،انظر ابن العديم بغية ص ٢٠٥ ، (١٠) ابو الفداء ص ٢٧ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٢٧ ، (١١) البيروني ص ١٢٢ ، (١٢) ابو البقاء ص ٣٣٥ ، (١٣) ابو البقاء ص ١٨٧ — ١٨٨ ،جنب المجتمع ج ٢ ص ٩ ، ١٠ ، (١٤) المقدسي ص ١٧٨ ،ابو الفداء ص ٢٤٧ ،الادريسي ص ٤ (١٥) المقدسي ص ١٦٦ ، القزويني ص ١٦١ ،ابن الشحنه ص ٢٦٣ ،ابن كثير البداية ص ٣١٣ ج ٣ ، (١٦) ابن الوردى خريده ص ٣٩ ، (١٧) شيخ الربوة ص ٢٠٥ ،انظر الادريسي ص ٣ — ٤ ،ابن الشحنه ص ١٤٩ ،الجندى ج ١ ص ٨٧ ، ٢٧٦ ، ج ٢ ص ٨٤ ،كرد علي خطط ج ٤ ص ١٦٤ ، (١٨) ابن الشحنه ص ٢٥٢ ، (١٩) ابن بطوطه ص ٦١ ، (٢٠) ابو الفداء ص ٢٤٧ ، (٢١) القزويني ص ١٨٣ ، ٢٠٧ .

وجبيل (١) ،واشتهر بالجفار النخل الجيد الثمر (٢) ،وكان في غزه قليل من النخل (٣) ،وكذلك في طرابلس (٤) ،وبيروت (٥) والاسكندرونه (٦) ، واشتهرت تدمر بالنخيل (٧) ،ومثلها منطقة بالس (٨) ،اما عين زربه فهي " شبيهه بمدن الغور وبها النخيل (٩) .

ويزرع التوت في بلاد الشام ، لكنه لم يكن منتشرا ، الا انه اكثر ما اشتهر في منبج (١٠) ،ونسب للشام التوت الاحمر ويسمى بالتوت الشامي (١١) ، لكنه يبقى من المحاصيل غير الهامه في الشام على كل حال .

وتعتبر اللوزيات عموما محاصيل قديمه في الشام ، ومن هذه اللوز والمشمش والخوخ ،والدراق والجوز والفستق والبندق . فقد اشتهرت الغوطه باللوز (١٢) ، والمشمش (١٣) ،وفي منطقة مآب اشتهر اللوز والمشمش (١٤) ، وينتج في طرابلس والقدس كثير من الجوز واللوز (١٥) ، كما كانت عسقلان تنتج كثيرا من اللوز (١٦) ، اما منطقة معرة النعمان فكان غالب شجرها التين والفستق واللوز والمشمش والرمان والتفاح " (١٧) ، واشتهر الخوخ في حلب ايضا (١٨) ، اما في حماه فالشهرة للمشمش (١٩) اللوزى وكذلك في الشوبك (٢٠) وجبل السماق (٢١) .

---

١ ـ خسرو ص ١٤ ، (٢) ياقوت ج ٢ ص ١٤٥ ،القزويني ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ، (٣) ابو الفداء ص ٢٣٩ ، (٤) الاصطخرى اقاليم ص ٣٣ ، مسالك ص ٦٦ ، (٥) ابو حوقل ص ١٦٢ ، (٦) ابن حوقل ص ١٦٧ ، (٧) ياقوت ج ١ ص ١٥٣ ،البغدادى مراصد ج ١ ص ٥٧ ، ٢٥٤ ،القلقشندى ج ٤ ص ١١٤ ، (٨) ابن خرداذبه ص ٩٨ ، (٩) ابن حوقل ص ١٦٧ ،انظر ابن العديم بغية ص ٢٠٥ ، (١٠) ابو الفداء ص ٢٧١ ، القلقشندى ج ٤ ص ١٢٧ ، (١١) البيروني ص ١٢٢ ، (١٢) ابو البقاء ص ٣٣٥ ، (١٣) ابو البقاء ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، جب المجتمع ج ٢ ص ١٠٩ ، (١٤) المقدسي ص ١٧٨ ،ابو الفداء ص ٢٤٧ ،الادريسي ص ٤ (١٥) المقدسي ص ١٦٦ ، القزويني ص ١٦١ ،ابن الشحنه ص ٢٦٣ ،ابن كثير البداية ص ٣١٣ ج ٣ ، (١٦) ابن الوردى خريده ص ٣٩ ، (١٧) شيخ الربوة ص ٢٠٥ ،انظر الادريسي ص ٣ ـ ٤ ،ابن الشحنه ص ١٤٩ ،الجندى ج ١ ص ٨٧ ، ٢٧٦ ، ج ٢ ص ٨٤ ،كرد علي خطط ج ٤ ص ١٦٤ ، (١٨) ابن الشحنه ص ٢٥٢ ، (١٩) ابن بطوطه ص ٦١ ، (٢٠) ابو الفداء ص ٢٤٧ ، (٢١) القزويني ص ١٨٣ ، ٢٠٧ .

ومن فواكه الكرك المفضله المشمش (١) ،لكن الفستق يكثر في حلب بالدرجة الاولى حتى انه نسب اليها فعرف بالفستق الحلبي (٢) ، هذا اضافة الى البندق والجوز.

وكان السماق ينتج بكثرة في منطقة القدس والخليل (٣) ،والغوطه (٤) ، والقلمون (٥) . لكن شهرته في شمال غرب حلب لا مثيل لها في الشام حتى ان الجبل الواقع هناك سمي بجبل السماق لكثرة السماق به (٦) .

ويلي التين والزيتون والعنب في الاهمية بين اشجار الفاكه ، شجرة التفاح التي اختصت الشام بها واشتهر خاصة "التفاح اللبناني فان اللبناني منه موصوف بحسن اللون وطيب الرائحه ولذاذة الطعم يحمل منه في القرابات الى الافاق " (٨) ويبدو انه كان كثيرا لدرجة ان الضريبة عليه كانت تؤخذ عينا (٩) ، كما اشتهرت الخليل بالتفاح (١٠) ،وكان التفاح كثيرا في جبل السماق (١١) ، وخاصة قرية نواز الواقعه عليه (١٢) . اما في دمشق فقد كان التفاح مشهورا وكثير الاصناف اذ عدد ابو البقاء من اصنافه ثلاثة وعشرين صنفا (١٣) وكانت تزرع في الغوطه ايضا الكمثرى والسفرجل (١٤) ، وكذلك في منطقة الزبداني (١٥) ، اما في صفد فهناك الكمثرى المسكي المعطر الرائحه الطيب الطعم " (١٦) ، ويعدد ابو البقاء اصناف

١ ـ ابو الفداء ص ٢٤٧ ، (٢) ابن حوقل ص ١٦٤ ، انظر خسرو ص ١١ ، ابن بطوطه ص ٦٧ ، البغدادي ج ٣ ص ١٢٨٨ ، الغزي ج ١ ص ٤٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، فرحات ص ٤٤ ، يني ص ٣٠٥ ، حتي لبنان ص ٢١٣ ، الشهابي الاشجار ص ٣١٤ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ٢٠١ ، (٣) خسرو ص ٣٢ ، انظر ياقوت ص ٤٢٧ ، (٤) ابو البقاء ص ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، (٥) الشهابي زراعه ص ٤٨٥ ، (٦) ابن الشحنه ص ١٤٩ ، ابن العديم بغية مخطوط ص ٤٢ ، (٧) النويري ج ١ ص ٣٥٧ ، ابن الوردي خريده ص ٢٠٩ ، (٨) الثعالبي ثمار ص ١٨٦ ، لطائف ص ١٥٦ ، انظر البيروني ص ١٥١ ، (٩) الثعالبي ثمار ص ٤٢٢ ، (١٠) المقدسي ص ١٧٢ ، (١١) القزويني ص ١٨٣ ، (١٢) البغدادي ج ٣ ص ١٣٩١ ، (١٣) ابو البقاء ص ٢٠١ ، (١٤) الخير غوطه ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ، دمشق ص ١٥٢ ، (١٥) زكريا الريف ج ٢ ص ٢٥٩ ، (١٦) شيخ الربوة ص ٢١١ ،

الكمثرى في الغوطه ويعرفها اهل دمشق باسم الانجاص (١) ، كما يعدد ايضا اصناف السفرجل (٢) .

وبعد هذا توصف بعض المناطق انها ذات اشجار وبساتين دون ذكر لانواع تلك الاشجار فمثلا يصف الثعالبي جبل لبنان بانه ذو " اشجار كثيرة تشتمل على كل الثمرات " (٣) وجاء مثل هذا الوصف ايضا للغوطة التي وصفت انها اطيب واحسن جنان الدنيا (٤) ، ويمكن القول ان الغوطة تنتج كل الثمار والاشجار التي ذكرت سوى التي تجود في المناطق الحارة كالموز والنخيل كما تزرع فيها وعلى نطاق واسع كل المحاصيل الشتوية والصيفية المعروفة في بلاد الشام . ووصفت بكثرة الشجر والثمار ايضا بعلبك (٥) وطرابلس (٦) والخليل (٧) وانطاكيه (٨) وحماه (٩) وجبل السماق (١٠) .

وقد ورد ذكر التفاح والزيتون والعنب والتين والجوز والرمان واللوز والفستق في الكتاب المقدس ، مما يدل على قدم وجودها في بلاد الشام (١١) ، ويعدد القلقشندى فواكه الشام عموما كالعنب والتين والزيتون والتفاحيات واللوزيات والتوت والعناب والرمان (١٢) ،

---

١ — ابو البقاء ص ١٩٥ ، (٢) ابو البقاء ص ٢٥١ ، (٣) الثعالبي ثمار ص ١٨٦ ، انظر ابن الفقيه ص ١١٢ ، المقدسي ص ١٦٢ ، ابن جبير ص ٢٧٦ ، ابن بطوطه ص ٨٢ شيخ الربوة ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، الباكوى ص ٦٠ ، (٤) الخوارزمي مفيد العلوم ص ١٢٤ ، انظر الاصطخرى اقاليم ص ٣٢ ، ابن حوقل ص ١٦٠ ، المقدسي ص ١٥٧ ، ١٦٠ ، الادريسي ص ٩ — ١٠ ، ياقوت ج ٢ ص ٤٦٤ ، ابن بطوطه ص ٨٤ ، ابو الفداء ص ٢٥٣ ، ابن الوردى خريده ص ٣٨ ، البغدادى ص ٥٣٤ ، ١٠٠٥ مراصد ج ٢ ، القزويني ص ١٨٩ ١٩١ ، ٢٣٢ ، الظاهرى ص ٤٦ ، الباكوى ص ٦٥ ، (٥) ابن حوقل ص ١٦٢ ، ابو الفداء ص ٢٥٥ ، ابن بطوطه ص ٨٣ ، القلقشندى ج ٢ ص ١١٠ ، الادريسي ص ١٠ ابن الوردى خريده ص ٤١ — ٤٢ ، القزويني ص ١٥١ ، الظاهرى ص ٤٧ ، الباكوى ص ٤٦ (٦) الادريسي ص ١٣ (٧) الاصطخرى اقاليم ص ٣١ ، ابن حوقل ص ١٥٩ ، المقدسي ١٧٢ ، الادريسي ص ٧ ، ابو الفداء ص ٢٤١ ، ابن الوردى خريده ص ٤١ ، (٨) الاصطخرى اقاليم ص ٣٣ — ٣٤ ، ابن حوقل ص ١٦٥ ، ابن بطوطه ص ٧٤ ، ابن الشحنه ص ١٦٦ ، (٩) ابن حوقل ص ١٦٣ ، ابن جبير ص ٢٤٣ — ٢٤٥ ، (١٠) ابن العديم بغية مخطوط ص ٤١ — ٤٢ ، ٣٥ ، ١١٥ ، (١١) منصور ١٠ — ١٦ ، انظر الحسنية ص ٣٠ ، (١٢) القلقشندى ج ٤ ص ٨٧ .

ج ـ الـــــــــــــورود : ـ

يبدو ان الورود لم تنل حظا وافرا من الاهتمام عند الجغرافيون العرب وكذلك المؤرخين ، فاذا ما استثنيا غوطة دمشق لا نكاد نجد ما يشفي الغليل عن ورود وازهار بلاد الشام ؛

وكانت تكثر الازهار على جبل الطابور قرب الناصرة في العصر الاموى كما (١) اشتهر ورد الباب كثيرا ، اذ يذكر ابن الشحنه ماء الورد النصيبي الذى يستخرج في الباب ، وكذلك القرنفل كما تشتهر به حلب ايضا ، (٢) وفي وادى بين هونين وتبنين شجر ملتف اكثره شجر الرند"(٣) ، وذكر المقدسي أن اريحا كثيرة الريحان (٤) .

لكن البلد الذى بلغت شهرته بالورود شأنا عظيما كان دمشق وغوطتها فقد وصفها الخوارزمي أنها من جنان الدنيا الاربع بل هي احسن واطيب هذه الجنان ، وقال ابن جبير عنها " تحلت بازاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسيه من البساتين "(٦) وقال المقدسي " يعجز عن وصفها " (٧) ؛ وسميت قرية المزة بالمنزه لما تمتعت به من المناظر الخلابه " وكثرة الزهور والورد واستخراج الماء منه حتى ان حراقته تلقى على الطرقات وفي دروبها وأزقتها كالمزابل ، فلا يكون لرائحته نظير ويكون الذ من المسك الى مدة انقضاء الورد " (٨) ووصف القزويني الغوطه " متجاوبة الاطيار مؤنقة الازهار (٩) ، ويعدد القلقشندى من زياحين الشام " الآس والورد والنرجس والياسمين والنسرين " اما الورد فهو كثير جدا " حتى انه يستقطر منه ماء الورد وينقل الى سائر البلدان وقد نسي به ماكان يذكر من ماء ورد جور تصيبين " (١٠)

---

١ ـ انظر زيادة ص ٥١ ، (٢) ابن الشحنه ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ١٧٤ ، (٣) ابن جبير ص ٢٩٠ ، (٤) المقدسي ص ١٧٥ ، (٥) الخوارزمي مفيد العلوم ص ١٢٤ ، (٦) ابن جبير ص ٢٤٨ ، انظر ابن بطوطه ص ٨٤ ، الظاهرى ص ٤٦ ، (٧) المقدسي ص ١٦٠ ، (٨) شيخ الربوة ص ١٩٥ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ١٧٣ ، (٩) القزويني ص ١٩١ ، ٢٣٢ ، انظر الباكوى ص ٦٥ ، (١٠) القلقشندى ج ٤ ص ٨٧ ، انظر فرحات ص ٤٧ ، الزيات الورد وماء الورد بدمشق المشرق مجلد ٤٦ لسنة ١٩٥٢ ص ٤٠١ .

وخير من تكلم عن ورود وازهار دمشق وغوطتها هو أبو البقاء الدمشقي (١) ، الذى يصف الزبداني بأنها " قلعة الورد " (٢) ، وهو يعدد اصناف الورد وانواع كل صنف منها فالورد جيده الجورى ومنه الورد الاحمر والابيض معا ، (٣) وكان النسرين " لا يجمع ولا يباع في الشام لكثرته " (٤) وكذلك كان الزنبق من محاسن الشام وهو من خصوصياتها (٥) ، كما يذكر النرجس والبنفسج (٦) ، ومن ورود الشام المنثور والسوسن والاس (٧) ، وعن قاسيون يقول " تنبت في قاسيون من عند اللـه تعالى من الازهار والاشجار مالا ينبت في غيره " (٨) ، ومن ورود الشام النيلوفر " الذى ينبت لنفسه في مستنقعات المياه ورواكدها الا انه لا ينبت الا في الماء العذب". ويزيد انفتاح زهره بزيادة ارتفاع الشمس ويضم ليلا (٩) .

د ـ الاحـــراج والمراعـــي والماشيـــــة : ـ

اما المناطق الحرجية فتتركز في بلاد الشام في الجهات الجبلية الكثيرة الارتفاع التي يغلب على اشجارها الصنوبر والبلوط (١٠) كجبال اللكام اذ كان هناك مقطع لخشب الصنوبر (١١) ، ويمكننا ان نطلق على منطقة البسيط والباير اسم غابه دون تردد (١٢) ، وكذلك حال جبال لبنان اذ يصفها شيخ الربوة بان فيها " انواع الفواكه والزروع من غير ان يزرعه احد " (١٣) ، ولبيروت غيضه من اشجار الصنوبر سعتها اثنى عشر ميلا في التكسير (١٤) ، ويؤكد حتي ان جبال لبنان كانت في القرن الاول الهجرى كثيفة الحراج ، الامر الذى ادى ان استغله الجراجمة جيدا في حربهم ضد الامويين (١٥) . واهم اشجارها الصنوبر والبلوط والسنديان والخروب والسرو والارز (١٦) .

١ ـ لورود دمشق انظر ايضا الحصني ج٣ ص١١٨٥ ـ ١٢٠١ ، (٢) ابو البقاء ص١١٨
(٣) ابو البقاء ص١٠٥ ، (٤) ابو البقاء ص١٢٠ ، (٥) ابو البقاء ص١٤٦ ،
(٦) ابو البقاء ص١٢١ ، ١٣٣ ، (٧) انظر ابو البقاء ص١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، منصور ص٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ (٨) ابو البقاء ص٣٤٠ ، (٩) ابن وحشيه ص٥٧ أ ـ ٥٧ ب . ابو البقاء ص١٧١ ـ ١٧٢ ، (١٠) الشهابي الاشجار ص١ ، حميده ص١٨
(١١) الاصطخرى اقاليم ص٣٤ ، ابن حوقل ص١٦٧ ، المقدسي ص١٨٨
(١٢) عبد السلام ج١ ص٣٢١ ، (١٣) شيخ الربوة ص١٩٩ ، المقدسي ص١٨٨ ، ابن شداد ج٢ ص٣٥ ، القزويني ص٢٠٨ ، حتي لبنان ص٢٦٥ ، ٣٣٨ ، (١٤) الادريسي ص١٢ ، القلقشندى ج٤ ص١١١ ، ابن شداد ج٢ ص١٠١ ، ابو النصر ص٤١
(١٥) حتي تاريخ سوريا ج٢ ص٥٣ ، (١٦) حتي لبنان ص٣٩ ، كرد علي خطط ج٤ ص١٥٧ ، ١٩٠ .

وقرب مدينة الخليل كانت الجبال كثيفة الاشجار (١) ، اذ كان يؤتى بالخشب للقدس" من غابة كثيفة واقعة على بعد ثلاثة اميال من الخليل الى الشمال وفيها صنوبر بكثرة (٢) ، كما وجدت غابة كثيفة الشجر حول قيسارية (٣) ، واهم اشجار غابات فلسطين السنديان والخروب والبلوط (٤) ، وكانت الجولان بلد المتصوفين قوتهم فيها من البلوط والشعير البرى (٥) ، ويبدو ان جبل الريان "المرب حاليا" كان مكتسيا بالغابات وذلك للاسم الذى اكتسبه والذى يعني الخضرة الدائمه (٦) ، وكان الغور قبل فترة وجيزه مليئا باشجار السدر خاصة حول الحولة وطبريا وغور بيسان (٧) كما اشتهر البطم على ضفتي الاردن (٨) ، واشتهرت جبال عجلون والبلقاء بكثرة وكثافة اشجارها الحرجية ولا زالت مشهورة بها (٩) . اما غابة عسقلان فكانت تمتد الى نواحي الرمله وكذلك غابة ارسوف التي امتدت الى عكا (١٠) ،

واهم المناطق الحرجية الطبيعية هي منطقة مرتفعات جبال اللكام والمناطق الجبلية في انطاكيه وجبال النصيرية والكرد طاغ واحراج حمص وحماه وجبال البلماس بالاضافة الى احراج جبال لبنان والكرمل وعجلون والبلقاء (١١) ، وبما انها تنمو بشكل طبيعي فيرجح انها كانت كذلك في العصر الاموى .

واهم الاشجار الحرجية البلوط والصنوبر والسنديان والزعرور والخروب والدلب والدردار والسرو والملول والارز والبطم والسدر والاس والغار ثم الدفلي والحور والصفصاف في المناطق الكثيرة المياه (١٢) .

---

١ ــ الاصطخرى اقاليم ص ٣١ ، ابن حوقل ص ١٥٩ ، (٢) العارف المفصل في تاريخ القدس ص ١٠٧ ، (٣) زياده ص ٥١ ، (٤) فرحات ص ٥١ ، زكريا المفكرة ص ٢٩ ، (٥) المقدسي ص ١٨٨ ، (٦) العيسمي ص ١١٢ ، (٧) الشهابي الاشجار ص ٤٢٥ ، (٨) فرحات ص ٤٨ ، (٩) فرحات ص ٥١ ، (١٠) انظر كرد علي خطط ج ٤ ص ١٧١ ، (١١) انظر الشهابي الاشجار ص ٨ ــ ١٢ ، الزراعه ص ٣٣ ، ٣٦ ، فرحات ص ٤٨ ــ ٤٩ ، زكريا المفكرة ص ٢٨ ــ ٢٩ ، كرد علي خطط ج ٤ ص ١٩١ ــ ١٩٢ ،

(١٢) انظر الغزى ج ١ ص ١٢٥ ، ١٣٣ ، فرحات ص ٤٨ ــ ٤٩ ، عبد السلام ج ١ ص ٣٢١ ، الشهابي الاشجار ص ١٠ ــ ١٢ ، زكريا المفكرة ص ٢٨ .

ويشكل البلوط والصنوبر والسنديان اهم اشجار الحراج في السواحل والشام عامه (١) .
ومن الاشجار غير المثمرة التي زرعت في بلاد الشام شجرتان هما الحور والصفصاف زيادة على انهما من الاشجار التي تنبت بنفسها اذ تنمو بشكل طبيعي على جوانب الفرات (٢) ، ويكثر وجودها بصفة عامة في سوريا حاليا على ضفاف الانهار والسواقي وفي الاراضي كثيرة المياه كالغوطة ووادى بردى عموما وضفاف العاصي والفرات (٣) ، وكان حول دمر صفصاف كثير ايام الفتح العربي لدمشق (٤) ، كما عرفت عقبة المران وهي مشرفة على الغوطة بهذا الاسم لانها تنبت شجرا باسقا مستوى النبات تتخذ منه الرماح (٥) ، وربما كان هو الحور نفسه اذ انه شجر يطول ساقه كثيرا ، ويعتبر الحور والصفصاف من محاصيل الغوطة الهامه التي تغرس لاجل الخشب وكذلك في القلمون (٦) .

اما المراعي في الشام فهي كثيرة عموما اذ تتوافر المناطق التي تصلح للرعي في المروج وسفوح الجبال والمناطق القريبة من البادية فهذه تعتبر مجالا للرعـــي وتربية الماشية . وقد علق البلاذرى على قول هرقل لما خرج من انطاكيه " عليك يا سوريا السلام ونعم البلد هذا للعدو ، يعني ارض الشام لكثرة مراعيها " (٧) .
وقد كثرت المناطق التي سميت في الشام بالمرج " وهو الارض الواسعة فيها نبت كثير ترعى فيها الدواب " ومن هذه المروج : مرج الديباج ومرج حسين في الثغور ثم مرج دابق قرب حلب ومرج الصفر ومرج راهط ومرج عذراء في منطقة دمشق ومرج عيون ومرج ابن عامر (٨) ، ويذكر ياقوت ان مرج دابق مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفه الى ثغر المصيصه (٩) ، وتعتبر بحيرة الهيجانه مرعى خصبا بعد ان تجف صيفا (١٠) . والى الشرق من الدربساك شمال شرق بحيرة العمق مروج متسعه

---

١ ــ الشهابي الاشجار ص ٨ ، ١٠ ، (٢) حلوه ص ٢٢ ، (٣) حلوه ص ٢١٩ ،
(٤) ابو عبيد ص ٢٢١ ، (٥) البكرى ص ٢٤٩ ج ٣ ، (٦) انظر ابو البقاء ص ٢٥٤ ، خنشت ص ١٠ ، حلوة ص ٢٠ ــ ٢١ ، (٧) البلاذرى فتوح ص ١٣٧ ، (٨) انظر الازدى ص ٩٦ ، ياقوت ج ٥ ص ١٠٠ ، البغدادى ج ٣ ص ١٢٥٤ ، بهجت ص ١٨٣ ،
(٩) ياقوت ج ٢ ص ٤١٦ ، البغدادى ج ٢ ص ٥٠٣ ، (١٠) زكريا الريف ج ١ ص ٣٣٥ ،

حسنه المنظر كثيرة العشب (١) .

لكن الاشارات عن تربية الماشيه نادرة لدرجة اننا لا نكاد نعثر عليها مع انها كانت تلعب دورا هاما في حياة الناس خاصة البدو الذين تخصصوا لتربية الماشية خاصة الغنم " الضأن " والمعز وعلى نطاق اضيق الابل والبقر . كما يفترض ان المناطق التي توافرت فيها المراعي انتشرت فيها تربية الماشية كالمروج واطراف البادية .

ويبدو ان المواشي اصيبت بكارثة الطاعون الذى عم الشام في سنة ١٠٧ هـ اذ يذكر خليفة ابن خياط " ان طاعونا شديدا وقع بالشام حتى وقع في الدواب والبقر" (٢) ومما يدل على انتشار الماشية في القرن الاول الهجرى ان عمر بن الخطاب " كانت تأتيه من الشام نعم كثيرة في الجزية " (٣) ،

ومن مناطق تربية المواشي شرق القلمون اذ لا يزال اهالي تلك المنطقة يعتمدون في حياتهم على المواشي (٤) وفي منطقة حماه اذ تشكل المواشي موردا هاما للرزق بالنسبة للسكان نظرا لكثرة المروج الغربية والبرارى الشرقية هناك (٥) ، وكانت طرابلس من قبل موصوفة بكثرة المروج والمواشي (٦) كما كثرت تربية الاغنام في منطقة عمان (٧) . وعندما افتتحت قنسرين غنم المسلمون منها بقرا وغنما كثيرا مما يدل على العناية بتربيتها . (٨)

---

١ ـ ابو الفداء ص ٢٦١ ، انظر القلقشندى ج ٤ ص ١٢٢ ،

(٢) خليفة ج ٢ ص ٤٩٢ ، انظر ايضا الطبرى، تاريخ ج ٧ ص ٤٠ .

(٣) ابو عبيد ص ١٠٥ ،

(٤) زكريا الريف ج ١ ص ٨٣ ، (٥) الكيلاني ص ٨٢ ، ١٨٦ ، انظر يوسف الحوليات الاثرية السورية مجلد ٢٠ لسنة ١٩٧٠ ص ٤١ ، (٦) القلقشندى ج ٤ ص ١٤٣ ،

(٧) البغدادى ج ١ ص ٣٤١

(٨) ابن العديم ج ١ ص ٢٩ .

وكانت الجولان ولا تزال مشهورة بمراعيها ومواشيها (١) ، كما تشتهر الغوطه خاصة بابقارها وكذلك ابقار بيروت (٢) .

ونلاحظ من استعراضنا لحاصلات بلاد الشام ان هذه المحاصيل لم يطرأ عليها سوى تغير بسيط وفيما عدا ذلك لا نلمس تغيرا في نوعية هذه المحاصيل او اماكن توزعها اذ لا زالت الحبوب وخاصة القمح والشعير اهم حاصلات الشام حيث يخصص نصف الارض المزروعه حتى اوائل هذا القرن لمحصول القمح (٣) ، كما ان الحبوب والخضار الصيفية والشتويـــة لم يطرأ عليها اى تغير هام سوى انتشار الهندورة من الخضار والارز من الحبوب وفيما عداها ما زالت المحاصيل القديمة التي اشتهرت فـــي الشام تحتفظ بميزتها (٤) ، وكما هو حال الحبوب والمحاصيل الغذائيه فكذلـــك ايضا الاشجار المثمرة فباستثناء البرتقال الذى اشتهر في الشام بعد القرن الرابـــع الهجرى (٥) ، لا تزال اشجار الزيتون والتين والعنب اهم اشجار الشام . (٦)

---

١ ــ زكريا الريف ج ١ ص ٥٣١ ، ج ٢ ص ٤٨٨ ؛ انظر ابن عساكر تهذيب ج ٥ ص ١١٤

(٢) كين ص ١٩ ، الخير غوطه ص ٣٥٤ ،

(٣) حماده ص ٧٦

(٤) عبد السلام ج ١ ص ٦٦٤ ــ ٦٦٥ ، حماده ص ٩١ ،

(٥) المسعودى مروج ج ٢ طبعة ايران ثانية ص ٤٣٨ ــ ٤٣٩ ، الغزى ج ١ ص ٣٣ ، الدورى تاريخ العراق ص ٥٨

(٦) انظر عبد السلام ج ١ ص ٦٦٥ ، حماده ص ٨٥ .

الفصـــل الخامـــس

الضـــــــرائـــــــــب

أ ـ الجزيـــــــــــــة : ـ

فرض العرب منذ البداية نوعين من الضرائب على اهل البلاد المتفوحه هما ضريبة الرأس وهي الجزية ، وضريبة الارض وهي الخراج (١) .

وابتداء يلاحظ عدم التمييز احيانا في استعمال لفظي جزية وخراج اذ يرد " جزية الارض " وخراج الرؤوس " مما جعل البعض يعتقد انهما كانتا جزئين لضريبة واحده ولا فرق بينهما (٢) ، ولا بد ان نوضح ان هذا التداخل استمر حتى الى عصور متأخرة ، فنجده مثلا لدى الصولي ت ٣٣٥ الذي ذكر ان عمر اقر اهل السواد بان " على رؤوسهم الخراج وعلى ارضهم الطسق " (٣) وهو الخراج (٤) ، فهو لا يرى فرقا في اللفظ لكن الفرق يبدو بالقرينة فقط حيث ذكر خراج الرقاب وهو يعني الجزية بينما ذكر الخراج وهو يعني ضريبة الارض . ثم ان ورود كلمتي جزية وخراج دائما يدل على ان هناك نوعين منفصلين من الضرائب حتى ان ابن قيم الجوزية ت ٧٥١ يقول " الخراج هو جزية الارض كما ان الجزية خراج الرقاب " (٥) ، فهو يؤكد بهذا ان اللفظ لا يعني شيئا وانهما ضريبتان تؤخذان من اهل الذمه على الرأس والارض . كما ان القلقشندى ت ٨٢١ حين يتكلم عن الخراج يقول " الخراج اما جزية وهو الواجب على الجماجم واما اجرة وهو الواجب على رقاب الارض " (٦) . وهنا تبدو الضريبتان ولو ان الاسم واحدا .

---

١ ـ الدوري مقال الضرائب ص ٦ ـ ٧

٢ ـ فلهاوزن ص ٢٦٨ ، (٣) عرف الخوارزمي الطسق بانه " الوظيفة توضع على اصناف الزروع لكل جريب " مفاتيح ص ٥٩ ، (٤) الصولي ص ٢١٠ ،

(٥) ابن قيم الجوزية ج ١ ص ١٠٠ (٦) القلقشندى ج ١٣ ص ١١٦ .

والفرق يتضح من حكم كل منهما اذ تسقط الجزية عن الذمي اذا اسلم من ناحية المبدأ والواقع غالبا في حين انه لا يوجد ما يشير الى ان دخول الشخص في الاسلام يعفيه من الخراج (١) ، اما فرض الحنطه والخل والزيت على اهل الريف في الشام والجزيرة فهو جزء من الجزية يدفع عينا ولا علاقة له بالخراج .

وقد جاء ذكر الجزية صريحا في القرآن الكريم بانها عنوان خضوع غير المسلم للمسلمين (٢) . وقد استعملها الرسول نفسه لتدل على ذلك (٣) ، اما الخراج فقد فرضه الخليفة عمر بن الخطاب على انه ما يؤخذ عن الارض (٤) ، كما هو الحال في السواد والشام .

ونبدأ اولا بما فرض على المدن بموجب عهود الصلح اذ ان ما ورد في هذه العهود كان الاساس الذي جرت عليه الضرائب في الشام في العصر الاموي . واول ما فتح من بلاد الشام كانت ايله واذرح والجرباء فتحها الرسول نفسه صلحا على الجزية ولا خراج في ارضها . (٥) ونرى في عهود الصلح مع المدن الشاميه الاخرى فرض الجزية وبعضها تكون الجزية جزءان احدهما نقدى والاخر عيني ، ففي صلح بصرى نرى انها صالحت على الجزية " على كل رأس دينار في كل عام وجريب حنطه " (٦) ، وذكر البلاذري ان صاحب بصرى ذكر لعمر " لما قدم الجابية " انه كان صالح المسلمين على طعام وزيت وخل وسأل عمر ان يكتب له بذلك ، فكذبه ابو عبيده وقال انما صالحناه على شيء يتبع به المسلمون لمشتاهم ، وفرض عليهم عمر جزية الطبقات والخراج على الارض (٧) ، وبعد فتح بصرى جاء صاحب اذرعات فطلب الصلح على مثل صلح بصرى على ان جميع الاراضي في البثنية خراجيه فأجيب طلبه (٨) ، كما صالحت مؤاب (٩) وعمان (١٠) على صلح بصرى .

---

١ — الماوردى ص ١٤٢ ، الدورى مقال الضرائب ص ٥ ، مقدمه ص ٢٨ ،
(٢) صورة التوبه آيه "٩" (٣) ابو عبيد ص ٢٨ — ٢٩ ، الطبرى اختلاف ص ٢١٣ ، الدورى مقال الضرائب ص ٢ ، (٤) الماوردى ص ١٤٦ (٥) ابن هشام قسم ٢ ص ٥٢٥— ٥٢٦ ، الشافعي الام ج ٢ ص ٢٧٨ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٤٢١ ، (٦) البلاذرى فتوح ص ١١٣ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٣٨ ، (٧) البلاذرى ص ١٥٢ ، انظر ابن شداد ج ٢ ص ٥٥ ، (٨) البلاذرى ص ١٢٦ ، (٩) البلاذرى ص ١١٣ ،
(١٠) البلاذرى ص ١٢٦ .

وصالح خالد اهل تدمر على مال اخذه منهم وفرقه في اصحابه (١) ، ويبدو هذا اجراء مؤقتا ، اذ كان صلح فحل على اداء الجزية عن رؤوسهم والخراج عن ارضهم (٢) وصالحت ايلياء على اداء الجزية كبقية مدن الشام (٣) ، ومثلها كان صلح لد ، كما صالح اهل الحصون في الاردن على الجزية (٥) ، وكان صلح نابلس على الجزية (٦) اما صلح السامره فكان على جزية رؤوسهم واطعمهم ابو عبيده ارضهم (٧) ، فلما كان يزيد بن معاويه وضع الخراج على ارضهم واجرى تعديلا على جزيتهم فجعلهم طبقتين دينارا وخمسة دنانير . (٨) ، وكان صلح بيسان وطبريا " على كل رأس دينار كل سنه وعلى كل جريب ارض جريب بر او شعير اى ذلك حرث " (٩) .

اما مدينه دمشق فيذكر الطبرى عن سيف ان صلحها كان على المقاسمه الدينار والعقار ودينار على كل رأس (١٠) ، ولا يوافق البلاذرى على هذه الرواية اذ يروى ان الواقدى قال " قرأت كتاب خالد بن الوليد لاهل دمشق فلم ار فيه انصاف المنازل والكنائس وقد روى ذلك ولا ادرى من اين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من اهلها بهرقل وهو بانطاكيه فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون " (١١)

---

(١) ابن اعثم ج ١ ص ١٤١ ، (٢) البلاذرى ص ١١٥ ، انظر اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ١٤١ ، (٣) انظر البلاذرى ص ١٣٨ — ١٣٩ ، الطبرى تاريخ ج ٣ ص ٦٠٧ ، الازدى ص ٢٥٩ ، خليفه ج ١ ص ١٢٥ ، ابن اعثم ج ١ ص ١٩٦ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٥٠١ ، (٤) الطبرى تاريخ ج ٣ ص ٦٠٩ ، ابن كثير ج ٧ ص ٥٧ الحيدابادى ص ٦٠٩ ، (٥) الازدى ص ١٤٠ ، (٦) ابن الاثير ج ٣ ص ٤٩٩ ، ابن خلدون ج ٢ ص ٩٤٨ ، (٧) لانهم كانوا عيونا للمسلمين انظر الدورى النظم ص ١٢٩ (٨) البلاذرى ص ١٨٥ ، ترتون ص ٢٤٤ ، (٩) الطبرى تاريخ ج ٣ ص ٤٤٤ ، انظر ص ٤٤١ — ٤٤٣ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٤٣١ — ٤٣٢ ، (١٠) الطبرى تاريخ ج ٣ ص ٤٤٠ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٤٢٩

(١١) البلاذرى ص ١٢٣ .

اما ابن اعثم فانه يذكر ان صلحهم كان " على مئة الف دينار والجزية بعد ذلك على كل محتلم اربعة دنانير في كل سنه وعلى نسائهم دينار ان فرضي القوم " (١) . لكن ابن عساكر يروى ان دمشق صالحت على شئ مسمى لا يزيد عليهم ان استغنوا ولا يحط عنهم ان افتقروا ، فكان صلحها على دينارين دينارين وشئ من طعام وبعضهم على الطاقة ان زاد مالهم زيد عليهم وان نقص ترك ذلك عنهم (٢) . وقد يعني ذلك منطقة دمشق لا نفس المدينة اما الجزية في المدينة فانها ثابته والخراج هو المتغير . اما اسباب الاضطراب في صلح دمشق فانها فتحت مرتين كما انها تستعمل مرة للمدينة واخرى للمنطقة ، ففي المرة الاولى قبل اليرموك ربما اخذوا مبلغا من المال سلفا لاحتياج الجيش اليه وهذا يختلف عن تنظيم الضرائب بعد فترة (٣) ، وكذلك كانت حمص اذ انها فتحت مرتين فقد صالحت اول الامر على ١٧٠ ألف دينار (٤) ويزيد الازدى على ذلك الضيافة يوم وليلة (٥) ، اما الطبرى فانه يروى عن اشياخ من بلقين وغسان بشأن حمص ما يلي : " فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام على كل جريب ابدا ايسروا او اعسروا وصالح بعضهم على قدر طاقته ان زاد ماله زيد عليه وان نقص نقص وكذلك كان صلح دمشق والاردن وبعضهم على شئ ان ايسروا او اعسروا على قدر طاقته (٦) . والاشارة هنا الى المدينة والريف فالجزية ثابته في المدينه ، اما الخراج في الريف فهو غير ثابت لانه يؤخذ على ما تنتجه الارض ويعتمد على توفر الماء وحالة الزرع (٧) . بينما يعلل دينيت التعدد بالعهود بان الضريبة الجماعية اخذت اول الامر الى أن ظهرت الجزية والخراج بدلا من الضريبة الموحده ، اما التي تجعل الصلح على الطاقه والضريبه المحدده فانها تنظيمات متأخرة (٨) ،

ولكن التعدد بالعهود انما نتج عن ان المدينة فتحت مرتين واخذ الفاتحون مبلغا مشتركا نظرا للحاجة للمال وفي المرة الثانية بعد معركة اليرموك الفاصله استقر الوضع ففرضت الجزية والخراج على اهل حمص ، حتى ان البلاذرى يجعل صلح حمص

---

١ ـ ابن اعثم ج ١ ص ١٦٠ ـ ١٦١ ، انظر خليفه ج ١ ص ١١٧ ، (٢) ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ٢٤١ ، ج ٢ ص ١٠٥ ، دمشق ج ١ ص ٥٦٩ ، ٥١٠ ، (٣) انظر البلاذرى ص ١٢١ ابن اعثم ج ١ ص ١٦٠ ـ ١٦١ ، ابن عساكر دمشق ج ٢ ص ١٢٧ ، تهذيب ج ٢ ص ١٠٥ ، (٤) البلاذرى ص ١٣٠ ، ابن اعثم ج ١ ص ٢٠٦ ، (٥) الازدى ص ٢٦ ، انظر اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ١٤١ ، (٦) الطبرى تاريخ ج ٣ ص ٦٠٠ ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥١٠ ، ابن العديم ج ١ ص ٢٧ ، (٧) الدورى مقال الضرائب ص ١٠ ، " وتجد هذه الحالة صدى لدى الفقهاء الذين يقولون ان المدينة فتحت صلحا والريف عنوة " (٨) دينيت ص ١٠٤ ـ ١٠٥

على مثل صلح بعلبك اذ تقرر فيه ان على " من اقام منهم الجزية والخراج "(١) . واتخذت حمص في الظاهر مثلا للمدن التي تقع الى الشمال منها ، فيذكر اليعقوبي ان صلح حلب وقنسرين ومنبج كان على وضع الخراج مثل حمص (٢) ، ويرى البلاذرى ان قنسرين كانت كحمص (٣) ، ويبدو الوضوح في صلح حماه اذ ان اهلها صالحوا على الجزية في رؤوسهم والخراج في ارضهم ، (٤) وكذلك اهل شيزر والمعرة وافاميه اذ انهم اذعنوا بالجزية والخراج (٥) ، وذلك لان فتحها جاء بعد فتح حمص الثاني ، وكان الوضع اكثر استقرارا .

اما صلح انطاكيه فانه كان على الجزية والجلاء "فجلى بعضهم واقام بعضهم ... ووضع على كل حالم منهم دينارا وجريبا " (٦) ، وعلى ذلك كان حال تل اعزاز وقورس ودلوك ورعبان وعينتاب (٧) ، في حين صالحت بالس وقاصرين على الجزية (٨) ، وكذلك صالح حاضر حلب على الجزية (٩) اما اللاذقيه فقد صالحت على خراج قوطعت عليه قلوا او كثروا . (١٠)

وواضح ان الجزية والخراج فرضتا في بلاد الشام ولا يعني ذكر الجزية وحدها احيانا اغفال الخراج .

---

١ ـ البلاذرى ص ١٣٠ ؛ ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٥٩ ، دمشق ج ١ ص ٥٢٦ ، ابن شداد ج ١ ص ٤٢ ـ ٤٣ ، الحيدابادى ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، حتي لبنان ص ٢٩٢
(٢) اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ١٤٢ ، (٣) البلاذرى ص ١٣١ ، (٤) البلاذرى ص ١٣١ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٢ ، ابن العديم بغية مخطوط ص ٩ ، (٥) البلاذرى ص ١٣١
(٦) البلاذرى ص ١٤٧ ، انظر ابن الاثير ج ٢ ص ٤٦٥ ، ابن خلدون ج ٢ ص ٩٤٦ ،
(٧) ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٦ ، ابن خلدون ج ٢ ص ٩٤٧ ، (٨) البلاذرى ص ١٥٠
(٩) ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٥ ، (١٠) البلاذرى ص ١٣٣ ، انظر ابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٢ ، الدورى نظم ص ١٢٩ ، دينيت ص ١٠٥ ،

ويبدو انه بعد فترة وجيزه اجريت تعديلات على الجزية ، فمن جزية الدينار النقديه والطعام " حنطه ، خل ، زيت " التي فرضت اولا على الجميع في المدن والريف . كان التعديل الذى هو اعادة نظر في جزية المدن وجعلها نقدية ومتدرجة اى حذف الطعام منها بينما بقي الوضع في الريف على حاله . وكان التدرج في جزية المدن على ثلاث طبقات مسايرة لحالة المكلفين الاقتصادية (١) . اذ ان الحد الاعلى اربعة دنانير وفرض على الاغنياء ، وديناران على متوسطي الحال ، ودينار واحد على الفقراء . (٢) واورد البلاذرى عن الاوزاعي قوله " كانت الجزية بالشام في بدء الامر جريبا ودينارا على كل جمجمه ثم وضعها عمر بن الخطاب على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما ، وجعلهم طبقات لغنى الغني واقلال المقل وتوسط المتوسط " (٣) . وهذا ينطبق على المدن اذ الغيت الجزية العينية نهائيا وحصل التدرج ، اما الريف فلم يغير وضعه وبقي دينار وحنطه وخل وزيت .

ويكون اهل الريف قد دفعوا الحد الادنى من الجزية النقدية زيادة على الطعام ومقداره مدى قمح وقسطي زيت وقسطي خل (٤) ، وكحدى للحد الادنى فان هناك اراء تقول انه يجب ان لا تقل الجزية عن الدينار (٥) .

وكانت هناك كما يبدو ضيافة ثلاثة ايام (٦) ، ويوضح الماوردى الضيافة فيقول " واذا صالحوا على ضيافة من مر بهم من المسلمين قدرت عليهم ثلاثة ايام واخذوا بها لا يزادون عليها كما صالح عمر نصارى الشام على ضيافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام مما يأكلون ولا يكلفوهم ذبح شاة ولا دجاجه وتبيت دوابهم من غير شعير وجعل ذلك على اهل السواد دون اهل المدن " (٧)

---

١ — دينيت ص ١٠٨ — ١٠٩ ، (٢) ابو يوسف ص ١٢٤ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١١٦ ، (٣) البلاذرى ص ١٢٤ ، ابو يوسف ص ١٢٢ ، الاوزجندى ج ١ ص ٢٧٧ ، الصولي ص ٢١٥ ، الماوردى ص ١٤٤ ، ابو يعلى ص ١٥٥ ، ابن قدامه ج ٨ ص ٥٠٢ — ٥٠٣ ، ابن العديم بغية مخطوط ص ٧ — ٨ ، النووى مغني ج ٤ ص ٢٥٠ ، الدورى مقدمه ص ٢٩
(٤) ابو يوسف ص ٤١ ، انظر ابو عبيد ص ٥٥ ، الشافعي الام ج ٤ ص ١٨٠ ، البلاذرى ص ١٢٥ ، ١٥٢ ، قدامه الخراج ص ١١٦ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٧١ ،
(٥) انظر ابو يوسف ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ابو عبيد ص ٣٨ ، الطبرى اختلاف ص ٢٠٩ ، الشافعي الام ج ٤ ص ١٧٥ ، ابن قدامه ج ٨ ص ٥٠٢ — ٥٠٣ (٦) ابو عبيد ص ٥٥ ، ٢١٣ ، (٧) الماوردى ص ١٤٤ — ١٤٥ ، ابو يعلى ص ١٥٦ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٧١ ، ابن قيم الجوزيه ج ١ ص ٧٨٢ ، كرد علي الغوطه ص ٣٣ ،

اما ابن عساكر فيذكر ان الضيافه كانت " ثلاثة ايام ما يصلحهم من طعام وعلف دوابهم "(١)

واصبحت الضيافة والارزاق " الجزء العيني من الجزية " بعد تعديل عمر مقتصرة على اهل الرساتيق دون المدن ، فقد كان اهل الريف اسوة با هل المدن " الا في ارزاق الجند فانهم حملوها عليهم دون اهل المدائن " لانهم اصحاب زرع " وان اهل المدن ليسوا كذلك " (٢) وهذا اتبع في الجزيرة كما اتبع في الشام .

وقد فرضت الضيافة (٣) ، لاسباب عسكريه (٤) ، ويؤكد ذلك ان عهود الصلح في المناطق الشماليه من بلاد الشام يظهر فيها شرط الضيافه اكثر من الجنوب(٥) اذ شكلت منطقة الشمال في الشام ساحة قتال باستمرار الامر الذى يستدعي تجمع الجيش وضرورة فرض الضيافة لافراده .

واذا ما قارنا بين جزية المدن النقدية المتدرجة وجزية الريف الثابته دينار وطعام ، نرى انهما يكادا ان يتساويا (٦) ، الا ان ما خفف عن الفلاحين ان جزءاً من جزيتهم كان يدفع من المحاصيل ولا يتكلفون به دفع النقد .

واول اشارة الى تعديل في الجزية تعود الى زمن معاويه ، يقول قدامه عن اهل الجزيرة (ان معاويه ابن ابي سفيان جعل على جميعهم الطبقة الوسطى و هي اربعة وعشرون درهما " دينارا ن " وثمن عليهم اقساط العسل والزيت فبلغ قيمه ذلك بسعر الوقت تسعة دراهم ثم اضافه الى الجزيه فصار الجميع ثلاثة وثلاثون درهما) (٧) .
وبما ان الاشارة لاهل الجزيرة فيحتمل انه فعل ذلك في الشام ، لكننا لا نستطيع الجزم بذلك ، وهي رواية ينفرد بها قدامه ، فهل يعني ذلك ان معاويه طبق تعديل عمر في الجزيرة او انه اجرى تعديلا عليه ؟ ليس لدينا ما يساعد على اثبات ذلك اونفيه .

---

١ ـ ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٧٢ ،انظر ابن قدامه ج ٨ ص ٥٠٥ ،ابن قيم ج ٢ ص ٢٨٢
(٢) ابو يوسف ص ٤١ ،انظر ترتون ص ٢٤٥ ، (٣) للضيافة انظر الطبرى اختلاف ص ٢١٥ـ ٢١٧ ، (٤) الدورى النظم ص ١٠٣ ، (٥) ابن العديم بغية مخطوط ص ٦ ـ ٨ ، انظر ابو يوسف ص ٣٩ (٦) ترتون ص ٢٤٥ ، (٧) قدامه الخراج " بن شمش " ص ١١٣ ،

لكنه يفيد من ناحية اخرى ان الجزء العيني من الجزيه لم يعد له ضروره لذا فقد حوّل الى ضريبة نقديه .

وجرى تعديل اخر للضرائب في زمن عبدالملك اذ يروى ابو يوسف (١) ان عبدالملك قام باجراء احصاء شامل وضع بنتيجته الجزية على اهل الجزيرة اربعة دنانير وجعلهم في ذلك طبقة واحدة . وذلك انه استقل الجزية حيث كانت جزيتهم دينار ومدى قمح وقسطي خل وزيت ، (٢) وهنا يحصل تضارب بين ما ذكره قدامه من ان معاويه اجرى تعديلا بالغائه الجزء العيني واضافته للجزء النقدى وبين ما ذكره ابو يوسف . لكنهما يتفقان ان الناس اصبحوا طبقة واحدة يجعلها ابو يوسف اربعة دنانير في حين يجعلها قدامه ديناران ، زيادة على ثمن الجزء العيني وهو تسعة دراهم .

ويذكر ابو يوسف ان التعديل الذى اجراه عبدالملك شمل الجزيرة والشام (٣) وبقي الحال كذلك حتى جاء عمر بن عبدالعزيز وقرر اعادة جزية الطبقات (٤) ،

والجزية تؤخذ على الرجال البالغين العاقلين ،فقد امر عمر بن الخطاب امراء الجزية ان لا يضربوها الا على من جرت عليه الموسى ، وكان لا يضربها على النساء والصبيان (٥) . والمكلفون بدفع الجزية برأى عمر بن عبدالعزيز " صاحب ارض يعطي جزيته وصانع يخرج جزيته من كسبه وتاجر يتصرف بماله يعطي جزيته من ذلك " (٦)

---

١ — يروى عن شيخ من الحيرة له علم بالشام يتحدث عما جرى فعلا (٢) ابو يوسف ص ٤١

انظر الريس ص ٢٣٣ ، (٣) ابو يوسف ص ٣٩ ، (٤) الدورى نقال الضرائب ص ١١

(٥) انظر يحيى ابن ادم ص ٦٩ ،قدامه الخراج " بن شمش " ص ١١٧ ، البلاذرى ص ١٢٥ ، ١٥٢ ، الصولي ص ٢١٥ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٧٩ ،دمشق ج ١ ص ٥٧١ ، ابن قدامه ج ٨ ص ٥٠٩ ، ابن قيم ج ٢ ص ٧٧٩ ، الدورى مقدمه ص ٣٠ زيدان التمدن ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،حتي سوريا ج ٢ ص ٢١ ،كرد علي غوطه ص ١٣٣

(٦) ابن عبدالحكم ص ٩٩

الا ان ذلك لا يعني جزية الرأس الفعلية . ولا جزية على الفقير غير المعتمد لعجزه المطلق عن دفعها (١) .

والعرف الاسلامي يسقط الجزيه عمن يسلم من اهل الذمه الا ان ابو عبيد يذكر انه روى عن بعض الامويين " انهم كانوا يأخذونها منهم وقد اسلموا يذهبون الى ان الجزيه بمنزله الضرائب على العبيد)). يقولون فلا يسقط اسلام العبد عنـــه ضريبته (٢) ، ولعله يشير الى ما حصل في العراق والمشرق وليس في الشام ، اذ فسر بعض العمال اسلام الناس بانه فرار من الجزيه وقد اكد عمر بن عبد العزيز على اعفاء من يسلم منها (٣) ، اذ ان الذمي يدفع الجزية بدل حمايته ولانـــه لا يقاتل (٤) ، ولم يشترط ان تدفع الجزية بالنقد دائما فقد كانت تأتي عمر من الشام نعم كثيرة في الجزيه ويعلق ابو عبيد على ذلك " بانه قد رخص في اخذ العروض والحيوان مكان الجزيه وانما اصلها الدراهم والدنانير والطعام " (٥) ، كما قال ابو يوسف : انهم ان جاءوا بعرض مثل الدواب والمتاع قبل منهم وحسب قيمة ذلك (٦)

---

١ — ابن قدامه ج ٨ ص ٥٠٩

٢ — ابو عبيد ص ٦٨

٣ — ابو عبيد ص ٦٦ — ٦٧

٤ — الماوردى ص ١٤٣

٥ — ابو عبيد ص ٥١٠

٦ — ابو يوسف ص ١٢٢ / ١٢٤

ب ـ الخـــــــــــــراج : ـ

لم تكن هناك سابقة واضحه لضريبة الخراج في عهد النبي (صلعم) ولم يأت بها نص قرآني كما هو الحال في الجزيه . وذلك لان الارض العربية التي خضعت للنبي كانت لا تدفع سوى العشر (١) ، ومن هنا فقد اعتبرت اذرح والجرباء قرى عربيه ولم يفرض عليها الخراج (٢) ،

واول من وضع ضريبة الخراج هو عمر بن الخطاب الذى ارتكز نظام الضرائب في زمنه على السوابق والمفاهيم الاسلاميه وانظمة البلاد المفتوحه (٣) ،

ولاحظنا ان ضريبة الخراج ذكرت في عهود اكثر المدن السوريه وذلك لان الخراج يؤخذ على الاراضي المفتوحه التي تركت بيد اصحابها لانها اعتبرت ملكا للامه تعود لبيت المال (٤) ، ويبقى فرض الخراج على ارض اهل الذمه حتى بعـد اسلامهم لان ارضهم " انما هي فيء الله على المسلمين عامه " (٥) ، هذا في حين ان العربي المسلم لم يكن يدفع الخراج اذا ملك ارضا خراجيه في اول الامر (٦) . ذلك ان اصل الخراج انما هو من الضرائب التي تؤخذ من اهل الذمه كالجزيه وهما رمز الصغار والذل (٧) ، ويدفعها الذمي بعد اسلامه لانه يستغل ارضا ملك الامه في الاصل ، واكد ذلك عمر بن عبد العزيز عندما اصر على ان الخراج انما يدفع عـن الارض لا الشخص (٨) اذن فالرأى القائل بان لا صغار في الخراج انما ظهر في وقت متأخر (٩) ويؤكد السرخسي ان " خراج الاراضي تبـع لخراج الجماجم " (١٠)

---

١ ـ الدورى مقال الضرائب ص ٣ ، (٢) الدورى النظم ص ١٠٣ ، مقال الضرائب ص ٧
(٣) انظر ابو يوسف ص ٢٨ ، الماوردى ص ١٤٨ ، الدورى مقدمه ص ٢٧ (٤) انظر مالك المدونه ج ٤ ص ٣٢٥ ، ابو عبيد ص ١٠٥ ، الماوردى ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ، الدورى النظم ص ١١٦ ، زيدان التمدن ص ٢٢٣ ج ١ ، (٥) ابن عبد الحكم ص ٥٩
(٦) الدورى العرب والارض ص ٥ ، (٧) يحيى ابن ادم ص ٥١ ـ ٥٥ ، واختلف الفقهاء بحكم ارض الخراج هل يدفع خراجها المسلم او لا ؟ انظر الطبرى اختلاف ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، الشافعي الام ج ٧ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ، السرخسي ج ٣ ص ٥ ،
(٨) انظر فلهاوزن ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، (٩) الدورى النظم ص ١١٦
(١٠) السرخسي ج ٣ ص ٨ ، الماوردى ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

اى انه صغار ويكلف به من يدفع الجزية . ومن هنا كان لا يدفعه المسلمون العرب. ومما يؤكد عدم دفع العرب المسلمين للخراج ما ذكره البلاذرى ان الحجاج رد اراضى الى الخراج بعد ان تحولت الى العشر لامتلاك العرب لها فاعادها مرة اخرى الى الخراج (١).

ومنع عمر بن عبد العزيز بيع ارض الخراج خوفا من تعطيل الخراج (٢) ، وكتب في احد رسائله " ونرى ان ترد المزارع لما جعلت له فانما جعلت لارزاق المسلمين عامه " (٣) ، مما يشير الى انه اراد ان تبقى الارض تدفع الخراج (٤) ، ولما كثر انتقال ارض الخراج لايدى العرب المسلمين اضطر الخلفاء لفرض الخراج عليها وحصل ذلك في اواخر العصر الاموى (٥).

وفرضت ضريبه الخراج في الشام على اساس المساحه اى على وحدة الارض (٦) ، ويسمى هذا النوع من الخراج بخراج الوظيفه وهو ان يكون الواجب شيئا في الذمه يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالارض على كل جريب من الارض (٧).

ويبدو ان قانون الخمسه اوسق يبلغها المحصول حتى تجب فيه الضريبه كان مطبقا على الخراج والعشر معا اذ يقول ابو يوسف " واذا كان في ارض الخراج ففيه الخراج على هذه الصفه واذا لم تبلغ قيمه ذلك خمسه اوسق فلا شئ فيه " (٨) ،

---

١ ــ البلاذرى ص ٣٦٨ ، فلهاوزن ص ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، العدوى الامويون ص ٣٠١ .
(٢) ابو عبيد ص ١٣٦ ، (٣) ابن عبد الحكم ص ١٠٠ ، (٤) وليس لدينا ما يشير الى ان دخول الذمي في الاسلام يعفيه من اداء الخراج لذا فانه استمر على ادائه بعد اسلامه ، لكنه حر في ترك ارضه للتخلص من الدفع اما العرب المسلمين الذين استغلوا اراض خراجيه فكانو لا يدفعون الا العشر ، ومن هنا جاء ان الذمي اليسق به دفع الخراج حتى في الاحياء ، وكذلك منع بيع ارض الخراج للمسلم مما يدل انه لم يكن يدفع سوى العشر ، انظر البلاذرى فتوح ص ١٤٧ ، ٣١٨ ، يحيى بن ادم ص ٤٧ ، ٥٨ ــ ٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ــ ١٦٤ ، ابو عبيد ص ٦٧ ، ١٢٤ ــ ١٢٥ ، ٢٢٧ ، ابن عبد الحكم ص ٩٥ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٨٧ ــ ٥٨٨ ، الدورى مقال الضرائب ص ٥ ، (٥) الدورى العرب والارض ص ٥ ، (٦) كاهين ج ١ ص ١٣٠ ــ ١٣١ ، الحسنى ص ٦٧ ، (٧) الاوزجندى ج ١ ص ٢٧١ ، الفتاوى الهندية ج ٢ ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ ، زيدان احكام الذميين ص ١٦١ ــ ١٦٢ ، (٨) ابو يوسف ص ٥٢ .

وكذلك طريقة الرى في الزراعه التي تخفض العشر الى نصف العشر في حالة الرى بالالات فانها تخفض الخراج ايضا اذ ان " سبيل ارض العنوه في المقاسمه سبيل العشر وهو ان ما يشرب سيحا اذا قوسم اهله فيه على النصف قوسموا بما يشرب بدالية على النصف من ذلك وهو الربع " (١) ، واذا كان العشر هو ١٠٪ من المحصول فان الخراج كان يزيد عن ٢٠ ٪ وقد يصل الى ٥٠٪ (٢) ، في حين اخذ عمر بن الخطاب من اهل نجران ٦٦٪ (٣) ويذكر ابو يوسف ان الامام اذا اقطع ارضا له الحرية ان يجعلها عشريه او ٢٠ / " وان رأى ان يصيرها خراجا فعل"(٤) اى ان الخراج دائما هو اكثر من ٢٠٪ .

اما عن كيفية فرض الخراج فيذكر ابو عبيد معقبا على ما فعله عمر في السواد عندما بعث عثمان بن حنيف وامره بمسح الارض وتقدير الخراج ان عمر " عمل في نواحي الشام على غير هذا (٥) ، ومن هنا لا يصح الافتراض ان ما عمل في السواد عمل في الشام في حين ان الطاقة انما يقصد بها الجزيه وليس الخراج .

جـ - العشــــــــــــــــر : -

يدفع المسلم العشر على محاصيله وثماره على انها زكاة او صدقة اذ يعرف الخوارزمي العشر بانه " ما يؤخذ من زكاة الارض التي اسلم اهلها عليها والتي احياها المسلمون من الارضين او القطائع " (٦) . ذلك ان اهل الحرث هم الذين يدفعون العشر (٧) .

---

١ - قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٢ ، ابو يوسف ص ٥٣ ، (٢) الدورى مقدمه ص ٢٧ ، كاهين ج ١ ص ١٣١ ، (٣) ابو يوسف ص ٨٥ ، (٤) ابو يوسف ص ٥٨ ، (٥) الماوردى ص ١٤٨ ، (٦) الخوارزمي مفاتيح ص ٥٨ - ٥٩ ، (٧) ابن عبد الحكم ص ٦٩ ،

ويختلف العشر عن الخراج بان العشر ثابت لا يجوز زيادته بينما الخراج يزيد وينقص . ويشتركان بانهما معا ضرائب الزروع والثمار (١) .

وبناء على طريقة الري في الزراعه فان العشر ينقص الى نصف العشر اذ رويت المحاصيل بواسطه الالات لانها تكلف الزارع مصروفات اكثر مما لو زرع بعلا او روى محاصيله بواسطة القنوات وسيحا " (٢) .

وهناك من يرى ان العشر والخراج يؤخذان معا على المحاصيل اذا استغل المسلم ارضا خراجيه الا انها آراء فقهيه ولا دليل تاريخي على تأييدها (٣) ، ويرى السرخسي انه " لا يجتمع العشر والخراج في ارض رجل مسلم لان احدا من ائمه العدل والجور لم يأخذ العشر من ارض السواد مع كثرة احتيالهم لاخذ اموال الناس وكفى بالاجماع حجه " (٤) .

اما واردات الدولة من الضرائب في الشام فلدينا بشأنها عدة قوائم فيذكر الصولي ان خراج (٦) الشام في عهد عمر بن الخطاب بلغ ٥٠٠ الف دينار " فلما افضى الامر الى معاويه قطع الوظائف على اهل المدن فوظف على اهل قنسرين اربعمائه وخمسين الف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان وعلى اهل دمشق اربعمائه وخمسين الف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان وعلى اهل الاردن مائة وثمانين الف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان وعلى فلسطين مثل ذلك " (٧) ، وهذه الارقام تشمل الجزيه والخراج معا ، ويلاحظ ان ثلثي المبلغ كان من الجزيه ، ويذكر اليعقوبي عن الواردات زمن معاويه انها بلغت ١٫٨٨٠٫٠٠٠ دينار (٨) ، ويورد في كتاب البلدان قائمه مختلفه لا يذكر تاريخها ويؤكد ان ارقامه فيها لم تدخل بضمنها الضياع ؛ ولعلها ضياع الخلافه والضياع الخاصه ومن هنا يمكن القول انها لم تكن في العصر الاموى بل العباسي . (٩)

---

١ ـ ابو يوسف ص ٨٥ ، (٢) انظر ابو يوسف ص ٥١ ـ ٥٤ ، مالك الموطأ ج ١ ص ٢٧٠ ابو عبيد ص ٦٤٤ ـ ٦٤٦ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢٢ ، يحيى بن ادم ص ١١٠ ، ١١٢ ـ ١١٥ ، الشافعي الام ج ٢ ص ٣٧ ـ ٣٨ ، البخاري ج ١ ص ١٨٣ ، مسلم ج ٧ ص ٥٤ ، ابن ماجه ج ١ ص ٥٨١ ، النسائي ج ٥ ص ٤١ ـ ٤٢ ، السرخسي ج ٣ ص ٤٥ ، (٣) يحيى بن ادم ص ٢٤ ، ١٦١ ، ابو عبيد ص ١٢٦ ـ ١٢٨ ، قدامه الخراج " بن شمش " ١٣٣ ـ ١٣٤ ، البلاذري ص ٤٤٧ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٧٢٦ ـ ٧٢٧ ، (٤) السرخسي ج ٢ ص ٢٠٨ ج ٣ ص ٤٧ ، (٦) تعني كلمه خراج هنا مجموع واردات الضرائب عامه بدليل ما اورده الصولي ان ثلثي الوارد كان على الجماجم اى الجزيه . (٧) الصولي ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ، (٨) اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢٣٣ (٩) اليعقوبي البلدان ص ٣٢٥ ، ٣٢٧ ـ ٣٢٩ .

واورد ابن حوقل " ان خراج الشام في عهد بني مروان الف الف دينار وفوق ثمانمئة الف دينار " (١) ، وهو قريب من الرقم الذى يعطيه البلاذرى اذ اورد ان خراج الشام زمن عبد الملك سنة ٨١هـ كان : دمشق ٤٠٠ الف دينار ، فلسطين ٣٥٠ الف دينار ، الاردن ١٨٠ الف دينار ، حمص مع قنسرين والعواصم ٨٠٠ الف او ٧٠٠ الف دينار (٢) :

ويبدو التقارب بين ارقام اليعقوبي عن زمن معاويه وارقام ابن حوقل عن ايام بني مروان في حين ان ارقام البلاذرى عن عهد عبد الملك تقل عنهما مما اذ تبلغ ١٧٣٠٠٠٠ دينار ومع ذلك فان الفرق يبقى بسيطا وان ما جبي في عهد معاويه بقي مقاربا للمقدار الذى جبي في اواسط الدولة الاموية .

ج - المحاصيل التي خضعت للضرائب والتي اعفيت منها : -

نذكر اولا صدقه المواشي والمقصود بها التي اعتاد العرب تربيتها كالابل خاصة ثم الغنم ،الماعز والضان " والبقر ، فقد اورد ابو يوسف كتاب الرسول في تحديد نصاب الصدقه الذى جاء فيه انه :

في كل اربعين شاه شاه الى مئة وعشرين ، فاذا زادت عليها ففيها شاتان حتى المئتين وما زاد عنها حتى الثلاثمائة ففيها ثلاث شياه وما زاد عن ثلاثمائة ففي كل مئه شاه " والمعز والضأن في الصدقة سواء " (٣) .

وفي كل خمس من الابل صدقه حتى تبلغ خمس وعشرين ففيها واحدة من الابل عمرها عام وتسمى بنت مخاض ، وان بلغت خمسة وثلاثين ففيها ابنه لبون حتى تبلغ خمسة واربعين فان زادت ففيها حقه حتى الستين فان زادت ففيها **جذعه حتى يصل** عددها الى خمس وسبعين ، فان زادت ففيها بنتا لبون الى التسعين وان زادت

---

١ - ابن حوقل ص ١٦٢

٢ - البلاذرى فتوح ص ١٩٣ ،انظر زيدان التمدن ج ١ ص ٢٣٤ ، ج ٢ ص ٣٢ ،كرد علي خطط ج ٤ ص ٦٦ (٣) ابو يوسف ص ٧٨ .

ففيها حقتان حتى المئه وعشرين وان زادت عن ذلك ففي كل خمسين حقه وفي كل اربعين بنت لبون (١) .

اما البقر فليس في اقل من ثلاثين بقره من البقر السائمه شئ . وفي الثلاثين تبيع جذع وفي كل اربعين حسنه (٢) ، وعوملت الجواميس كالبقر .

ويشترط في زكا المواشي بعد النصاب ان يحول عليها الحول وان تكون سائحه في المرعى فان كانت تمون بكلفه او عامله فلا زكاه فيها (٣) ، ومن مبدأ النصاب هذا نستطيع القول ان صغار الفلاحين كانوا بطبيعة الحال غير مكلفين بدفع هذه الصدقه وفي ذلك معونه لهم ، ولا شئ في مواشي اهل الذمه الذين يدفعون الخراج والجزيه (٤) .

اما اعشار المسلمين فقد حصل اختلاف كبير في انواع المحاصيل التي تؤخذ منها الزكاه اذ تقتصر بعض الروايات الدفع على بعض المحاصيل فقط وهي الروايات المبكره والتي تعبر عما فعله الرسول في حياته ، بينما نرى روايات اخرى نرى العشر في كل ما زرع ، ويحدد الماوردى المحاصيل التي تدفع العشر بانها التي يقتات بها في العاده وتدخر للقوت (٥) .

اما المحاصيل الرئيسيه التي تدفع العشر فهي القمح والشعير والنخل والكرم (٦) لقول الرسول (صلعم) " لا زكاة الا في اربعة التمر والزبيب والحنطة والشعير " (٧) ويأتي احيانا ذكر الذره (٨) ، ويرى ابو يوسف ان لا عشر الا على ما يبقى في ايدى الناس (٩)

---

١ — انظر ابو يوسف ص ٧٦ — ٧٧ ، مالك موطأ ج ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ، بنت المخاض هي التي عمرها سنة من الابل ودخلت في السنة الثانية . بنت اللبون : هي التي عمرها سنتين من الابل ودخلت في السنة الثالثة . الحقه : هي التي عمرها ثلاث سنين من الابل ودخلت في السنة الرابعة . الجذعه : هي التي عمرها اربع سنين من الابل ودخلت في السنة الخامسه . والتبيع : رأس البقر عمره عام ودخل في العام الثاني . مسن : رأس البقر عمره عامين ودخل في العام الثالث . (٢) انظر ابو يوسف ص ٧٧ ، مالك الموطأ ج ١ ص ٢٥٩ ولزكاة المواشي انظر الشافعي الام ج ٢ ص ٤ — ٥ ، ٩ ، ابن ماجه ج ١ ص ٥٧٣ — ٥٧٤ ، ٥٧٦ — ٥٧٧ ، النسائي ج ٥ ص ١٨ — ٢٢ ، ٢٦ ، الماوردى ص ١١٤ — ١١٥ ، ابو يعلى ص ١١٦ — ١١٧ . (٣) ابو يوسف ٧٨ ، الماوردى ص ١١٦ ، ابو يعلى ص ١١٨ ، (٤) ابو يوسف ص ١٢٣ ، ابو عبيد ص ١٣٢ ، (٥) الماوردى ص ١١٨ ، (٦×٧) ابو يوسف ص ٥٢ — ٥٤ ، ابو عبيد ص ٦٣٢ ، ٦٣٥ ، السرخسي ج ٣ ص ٤ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩٠ — ٦٩٢ ، (٨) ابو يوسف ص ٣٥ ، يحيى ابن ادم ص ١١٠ ، (٩) ابو يوسف ص ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

فيقرر انه يؤخذ من الحبوب والاشجار التي تيبس ثمارها كالجوز واللوز والفستق والزيتون ولانها مما يدخر ويكال (١) ، ومن بين المحاصيل التي اخذ العشر منها في الشام التين والزيتون ويورد الزهرى ان الرسول قال " في الزيتون الزكاه " (٢) ، وجاء عن عمر انه عشر الزيتون بالشام (٣) ، اما التين فليس فيه زكاه الا ان يجمع وييبس (٤) ، وهذا هو الامر المقبول اذ يعامل الزيتون والتين معاملة النخل والكرم التي تدفع ثمرها جافا وهما ايضا يدفعان الزيت والتين اليابس " القطين " .

ويرى مالك ان الفواكه والبقول لا تدفع الصدقه الا اذا بيعت وحال على اثمانها الحول (٥) ، مع ان الثعالبي يذكر ان التفاح كان يدفع كضريبه عينيه (٦) ، وورد عن الرسول قوله " ليس في الخضر زكاه " (٧) ، الا ان الزكاه تؤخذ من اثمانها وليس منها عينا .

ومقابل ذلك نرى ابو حنيفه يقول " في كل ما اخرجت الارض صدقه " (٨) ، ولا يقول بدفعها كذلك الا هو (٩) ، اما تلميذه ابو يوسف فيذكر ما يفرض عليه وما لا يفرض فالعشر لا يؤخذ الا على الحبوب التي تدخر والاشجار التي تيبس ثمارها والزيتون والبصل والثوم (١٠) .

---

١ — ابو يوسف ص ٥٢ ، ٥٦ ، ٧١ ، يحيى ابن ادم ص ١٥٤ ، ابو عبيد ص ٦٣٨ ، السرخسي ج ٣ ص ٣ ، (٢) مالك المدونه ج ١ ص ٣٤٣ ، الموطأ ج ١ ص ٢٧٢ ، يحيى ابن ادم ص ١٤١ ، ١٤٨ ، ابو عبيد ص ٦٣٨ ، ٦٧١ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩٢ ، ٦٦٥ ز ، ٧١٣ ، (٣) ابو عبيد هامش ص ٦٧١ ، (٤) يحيى بن ادم ص ١٥٠ ، السمرقندي ج ٢ ص ٤٧ الشريف ص ٢٩ ، (٥) مالك المدونه ج ١ ص ٢٩٤ ، الموطأ ج ١ ص ٢٧٦ — ٢٧٧ ، انظر يحيى بن ادم ص ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥٢ — ١٥٤ ، الشافعي الام ج ٢ ص ٣٤ ، ابو عبيد ص ٦٧٣ السرخسي ج ٣ ص ٣ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩٣ ، (٦) الثعالبي ثمار ص ٢٤٤ ، (٧) مالك المدونه ج ١ ص ٢٩٤ ، ابو يوسف ص ٥٥ ، ابو عبيد ص ٦٧٢ ، السرخسي ج ٣ ص ٣ ، (٨) ابو يوسف ص ٥٢ ، ٥٥ ، يحيى بن ادم ص ١٤٠ — ١٤١ ، الماوردى ص ١١٨ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩٢ ، النووى المجموع ج ٥ ص ٤٣٥ ، الزيلعي ج ١ ص ٢٩١ ، (٩) ابو عبيد ص ٦٧٤ ، (١٠) ابو يوسف ص ٥٢ .

والمنتظر ان تؤ خذ الضريبه على المحاصيل الهامه في كل بلد ففي زمن الرسول كانت الانواع التي اشار اليها هي الرئيسيه عند هم وكصدى لذلك جاء القول انه لا صدقه في الخضار والفواكه سوى ما ذكره الرسول (١) ، ويرجح ان ابا يوسف هو الذى كان يعبر عن الواقع اكثر من غيره وان العشر اخذ فضلا عن الحبوب جميعها وما ييبس ثمره من الاشجار (٢) ، وفي بلد كالشام لا بد من اخذ العشر من التين والزيتون والكرم والحبوب مع ملاحظه ان النخيل ليس من محاصيل الشام الهامه ، فيحل محله الزيتون فان الزيت والدقيق والخل كانت تمثل الجزء العيني من الجزيه وكانت توزع الارزاق على الجند منها، وان عمر عشر التين في الشام (٣) ، ويذكر الطوسي ما يفيد ان المحصول الذى تنتشر زراعته في بلد لا بد من اخذ الصدقه عليه كالارز في العراق ولو ان الرسول لم يذكره لعدم انتشار زراعته في الجزيرة في زمنه ، ويفهم مما ذكره ايضا ان ما اخذ منه الزكاه اخذ منه الخراج (٤) ، وان الزكاه تؤ خذ على ما يكون قوتا للناس " من سائر ما يقتات به اختيارا " (٥) :

وبناء على ما سبق يمكن القول ان العشر اخذ اول الامر على الاصناف الاربعة زيادة على التين والزيتون في الشام ، وربما حصلت تعديلات جديدة فصاروا يأخذونه على كل ما له بذر فيكال ويدخر الى ان فرض على ما تنتجه الارض كالخضار والفواكه وهنا يكون العشر في اثمانها . وهذا ما يفيده تدرج الاراء الفقهية ولم ترد اشارات تاريخية تؤيد او تنفي ذلك :

---

١ ــ ابو عبيد ص ٦٧٦ ، (٢) ابو عبيد ص ٦٤٠ ــ ٦٤٢ ،

(٣) ابو عبيد ص ٦٧١ ، (٤) الطوسي ج ٤ ص ٦٤

(٥) النووى مغني ج ١ ص ٣٨١ ، انظر ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩١ .

وقد ورد ان الرسول قال " ليس فيما دون خمسة او سق صدقه " او لا صدقة في حب ولا تمر دون خمسه او سق (١) ، اى انه لا زكاة على المحصول حتى يبلغ مقداره خمسة او سق ، والوسق ستون صاعا (٢) ، قال النووى الخمسة او سق ثلاثمائة صاع (٣) ، واذا نقص المحصول عن هذا المقدار فلا شيء فيه ويرى ابو حنيفه ان الصدقة في كل ما اخرجت الارض كثيرا كان او قليلا (٤) ،

وتعتبر الكمية في الحبوب بعد التصفيه وفي الثمار بعد الجفاف (٥) ، اما الزيتون فيؤخذ منه الزيت اذا بلغ خمسة او سق اعتبارا بالعنب والنخيل حيث يؤخذ منهما زبيبا وتمرا (٦) ، ويؤكد ابو يوسف ان المعامله في حالة العشر او الخراج تطبق فيهما نفس المبادئ (٧)

---

١ — انظر ابو يوسف ص ٥٢ — ٥٣ ، ٥٥ ، يحيى بن ادم ص ١١٠ ، ١٣٢ — ١٣٥ ابو عبيد ص ٥٧٩ ، ٦٤٨ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١٢١ — ١٢٠ ، البخارى ج ١ ص ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، مسلم ج ٧ ص ٥٠ — ٥٢ ، الشافعي الام ج ٢ ص ٣١ ، ابن ماجه ج ١ ص ٥٧١ — ٥٧٦ ، الطوسي ج ٤ ص ١٣ ، الماوردى ص ١١٨ ، ابو يعلى ص ١٢٣ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩٠ ، ٦٩٥ — ٦٩٦ — ٦٩٧ ،

(٢) ابو عبيد ص ٦٥٠ ، (٣) النووى المجموع ج ٥ ص ٤٣٩ ،

(٤) انظر ابو يوسف ص ٥٢ — ٥٣ ، السمرقندى ج ١ ص ١٣٢ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩٥ ، النسفي ص ٣٠ ، الزيلعي ج ١ ص ٢٩١ ، (٥) ابن قدامه ج ٢ ص ٦٦٦ ،

(٦) ابن قدامه ج ٢ ص ٧١٣ ، (٧) ابو يوسف ص ٥٢ ،

هـ - طرق الجباية ومعامله الفلاحــــــــــــين : -

ترد اشارات للنبي (صلعم) والى عمر بن الخطاب انهما اوصيا بالرفق باهل الذمه والا يحملوا فوق طاقتهم (١) ، ويبدو ان هذه الوصايا لم تغير طرق العمال والجباه في تحصيل الضرائب ، اذ وقعت حوادث في الشام نفسها وفي حياة الخليفة عمر استعمل الجباة فيها الوسائل التقليدية في العنف في تحصيل الجزيه مثلا (٢) ، مما جعله يؤكد على العدل وحسن المعامله ، وكان الشرط في عمال الخراج والصدقات هو العدل والرفق (٣) ، وقد اعاد العرب لاهل حمص ما كانوا قد اخذوه منهم عندما انسحبوا منها بعد فتحها ليقابلوا الروم في اليرموك لانهم لم يحققوا السبب الذى من اجله اخذوا الجزيه ، وهو حمايتهم (٤) ، ثم ان العرب لم يثقلوا كاهل الاهالي في الشام فقد كانت الجزيه في الشام في العصر البيزنطي اكثر مما هي عليه ايام الفتح العربي (٥) .

ورغم حرص الدولة على حسن المعامله فان ذلك لم يمنع وقوع بعض المخالفات من قبل العمال ، اذ ينتقد ابو يوسف بشده اعمال الجباة وتعسفهم في السواد ،(٦) وهي مركز الخلافة في عهده ، كما ان الشام كانت مركز الخلافة في زمن الامويين ، اذ ان ذلك لم يمنع وقوع ظلم العمال على الناس نظرا للسلطة التي نالها العمال فما حدث في السواد في عهد الرشيد لم يكن جديدا دون جذور ، وبما ان السواد والشام

---

١ - ابو يوسف ص ١٢٥ - ١٢٦ ؛ يحيى بن ادم ص ٢٢ ، ٧٠ - ٧١ ؛ السرخسي ج ٣ ص ١٣٦ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٧٩ ، دمشق ج ١ ص ٥٧٢ ، ابن قدامه ج ٨ ص ٤٧٩ ، (٢) انظر ابو يوسف ص ١٢٥ ، الازدى ص ٢٦٤ ، ابو عبيد ص ٥٩ ، اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ١٤٧ ، السرخسي ج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٥ ابن قيم ج ١ ص ٣٤ ، ابن رجب ص ١١٤ ، الحسني ص ٦٨ ، ترتون ص ١٥٧ - ١٥٨ ، كرد علي الغوطه ص ١٣٤ ، (٣) انظر الطبرى اختلاف ص ٢٣١ - ٢٣٢ ،
(٤) البلاذرى فتوح ص ١٣٧ ، (٥) زيدان تمدن ج ١ ص ٨٢ ، فلوتن ص ٢٦ ،
(٦) انظر ابو يوسف ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ١٠٩ .

يحكمها نفس الحكم فينتظر ان تكون نفس السياسه هي المتبعه في البلدين وان اساليب الجباة في الشام لم تختلف عن سواها خاصة الله لدينا حوادث عنيفه حدثت في عهد الخليفة عمر نفسه وبالشام بالذات ، كما حدثت بعض المضايقات من الجيش للاهالي (١) ، الا ان الدولة لم تنظر نظرة استغلال لهم فقد روى عن معاويـه انه " كلم في اناس من اهل الذمه ، فاسقط عنهم الخراج ولم يأخذهم بالعشر " (٢) ذلك ان الاعفاء جائز حسب رأى الامام " الخليفة " .

ونجد احيانا نصا كالذى ذكره ابو عبيد " ان عمر بن الخطاب اشترط على انباط الشام للمسلمين ان يصيبوا من ثمارهم وتبنهم ولا يحملوا " (٣) ، وهذا يمكن ادراجه تحت ضريبة الضيافه التي اشترطت لاسباب عسكريه وابطلت بعد استقرار الفتح . وقد يسيء الجند التصرف ويطلبون اكثر مما شرط لهم ، فقد شكا اهل الشام من تكليفهم الدجاج والشاء في الضيافه فانصفهم عمر بان جعل في الشرط بان لا يكلفوا الا ما يأكلون . (٤)

وقد امر الخليفة عمر عماله الا يزيدوا شيئا على الفلاحين وان يؤخروهم الى غلاتهم (٥) كي يستطيع الفلاح الدفع دون اضطرار للخضوع للدين اذ لو اخذت منهم الضرائب قبل الحصاد فانهم مضطرون للاستدانه .

فخطة العرب كانت منذ البداية عدم الاضرار بالفلاحين بل وبذل كل جهد لتطمينهم وتأمينهم على ارضهم ، فقد اعتبرتهم الدولة احرارا واعادت تنظيم الضرائب وجعلتها على الطاقه وأبطلت الامتيازات السابقة وكل ذلك حسن من وضع الجماعات القرويه (٦) .

---

١ — ابو يوسف ص ١١٣ ، انظر ابو عبيد ص ٢٢٢ ، (٢) ابو عبيد ص ١٣٤ — ١٣٥ ،
(٣) ابو عبيد ص ٢١٤ ، انظر ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٧٩ ، دمشق ج ١ ص ٥٧٤ ،
ترتون ص ٢٦٥ ، (٤) انظر ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ١٧٩ ، دمشق ج ١ ص ٥٧٣ ،
الدورى النظم ص ١٣٠ ، (٥) ابو عبيد ص ٦١ ، انظر ابن قدامه ج ٨ ص ٥٣٧ ،
ابن قيم ج ١ ص ٣٦ ، ابن رجب ص ٤٣ ، ١١٣ ، حتى ان ابو يوسف يذكر ان الايه " واتوا حقه يوم حصاده " تعني ذلك في حين يرى غيره ان المقصود صدقه عامه لا علاقه لها بالزكاه وان الايه مكيه والزكاة فرضت في المدينه — ابو يوسف ص ٥٦ — ٥٧ ، ابن قدامه ج ٢ ص ٦٩٥ ، (٦) الدورى العرب والأرض ص ٦ .

ويفترض تأخير اخذ الجزيه والخراج الى الغله رفقا بالمكلفين ، قال ابو عبيد " ولم نسمع في استيلاء الخراج والجزيه وقتا من الزمان فيه غير هذا " (١) ، ولا تؤخذ زكاة الزرع الا بعد دياسه وتصفيته (٢) ، وهذا ينطبق ايضا على الخراج وجبايته . ولعامل الصدقه ان يأخذ الوسط دائما في الزكاه ولا يجوز له ان يتخير خاصة في المواشي (٣) ، وكما يرى ابو يوسف فان طريقة الجبايه من الفلاحين سهله عموما " فهي تؤخذ عنهم في كل سنه وان جاءوا بعرض قبل منهم مثل الدواب والمتاع وغير ذلك ويؤخذ منهم بالقيمه " (٤) ، اذ لم يشترط النقد فقط .

ويؤخذ بعين الاعتبار عند فرض الخراج على الحاصل " قربه وبعده من الفرض والاسواق ونفاقه او قلة خروجه ووضع ما يلزم من النفقه عليها ويحتاج الى تكلفه من المؤن لها " (٥) ، كما تراعى جوده الارض ورداءتها ونوع الزرع وطريقة الري (٦) ، وقد لاحظ عبد الملك بن مروان ذلك، عندما فرض على ما قرب من الزرع دينارا على كل مئة جريب ، وكذلك على كل الف شجره كرم واذا كانت بعيده جعل عليها نصف دينار ، وعلى كل مئة شجرة قريبه من الزيتون دينار والبعيده نصف دينار " وغاية البعد عنده مسير اليوم واليومين واكثر من ذلك (٧) ، وتفيد الروايه انه زاد الضرائب بالمقدار السابق (٨) .

ويراعى الفلاح في ان لا " يستقصى في وضع الخراج غاية ما تحتمله وليجعل فيه لارباب الارض بقيه يجبرون بها النوائب والحوائج " (٩) ، ومن ناحيه اخرى فان الفلاح يعفى من الضرائب التي تقع عليه اذا ما غرقت مزروعاته او عطشت لدرجة التلف فاذا " اصابت الغلات آفه او غرق سقط الخراج عن صاحبها " (١٠) ، وهذا يبقى في حدود الاراء الفقهيه ولم تتوفر لدينا نصوص تاريخيه تبحث في ذلك .

---

١ ــ ابو عبيد ص ٦١ ، ابن قدامه ص ٥٣٧ ج ٨ ، (٢) الماوردى ص ١١٨ ، ابو يعلى ص ٢٣ ابن قدامه ج ٨ ص ٥٠٤ ، ج ٢ ص ٧١١ ، النووى المجموع ج ٥ ص ٤٨١ ، (٣) ابو يوسف ص ٧٨ ، (٤) ابو يوسف ص ١٢٢ ، انظر الطبرى اختلاف ص ٢٣٢ الصولي ص ٢١٥ ، الماوردى ص ١٤٥ ، (٥) قدامه الخراج " بن شمش " ص ١١٩ ــ ١١٨ ، الماوردى ص ١٤٩ انظر النويرى ج ٨ ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩ ، (٦) انظر الطبرى اختلاف ص ٢٤٤ ، الماوردى ص ١٤٨ ، ابو يعلى ص ١٦٧ ، ابن قيم ج ١ ص ١١٥ ، ابن رجب ص ٧١ ، (٧) ابو يوسف ص ٤١ ، النظر الحسيني ص ٦٤ ، كرد علي غوطه ص ١٣٤ الشريف ص ٣٧ ، (٨) الدورى مقال نظام الضرائب ص ١١ ، (٩) الماوردى ص ١٤٩ ، ابو يعلى ص ١٦٨ ، ابن رجب ص ٧١ ، (١٠) البلاذرى فتوح ص ٤٤٧ ، مالك المدونه ج ٤ ص ٥٣٣ ، الطبرى اختلاف ص ٢٢٣ ،

ويسقط الخراج ايضا اذا لم يستطع الفلاح ان يقوم بعمله معذورا (١) ، ولم يكن قصده التهرب من الدفع ، لكنه اذا اعطل ارضه اهمالا وتقصيرا فرض عليه ماكان يدفع (٢) ، لئلا يفتح المجال للتهرب من التزاماته الضريبيه .

ولا يؤخذ الخراج الا مرة واحدة في السنه ، ولو زرعت اكثر من مرة[(٣)] لكن كيف كان يدفع الفلاح ضريبته ؟ هل دفعها قسط واحد او كانت تؤخذ منه على اقساط هذا الذى لم يتوفر لدينا عنه روايات تاريخيه تؤكد او تنفي احدهما ، بينما كان الحال في العهد الساساني ان الضرائب — والمقصود هنا الضريبه الشخصيه — جبيت كل ثلاثة شهور اى باقساط (٤) .

وقد عرف في العهد الاموى ما سمي بالتقبيل (٥) ، وهو ان يدفع رجل ما يجب على ضياع او قرى في الخراج ويمنح سلطة جباية خراجها عند الحصاد الامر الذى يؤدى الى ظلم الفلاحين لانه يحرص على جباية اكبر كميه يستطيعها ، وحصل تقبيل في العراق زمن هشام بن عبد الملك (٦) ، ومما يشعر بانتشاره ان ابا يوسف حذر من التعامل به نتيجه للظلم الذى يلحق بالفلاحين (٧) ، ولم نعثر على ما يدل ان ذلك حصل في الشام .

---

١ — يحيى بن ادم ص ٢٢ ،انظر ابن رجب ص ٥٦ (٢) ، انظر السرخسي ج ١٠ ص ٨٢ الماوردى ص ١٥٠ ، ابو يعلى ص ١٦٩ ، الفتاوى الهنديه ج ١ ص ١٨٥ ، النسفي ص ٩٦ ، ابن رجب ص ٥٦ ، ابن الهمام ج ٤ ص ٣٦٤ ، ابن نجيم ج ٢ ص ٢٣٦ ،
(٣) البلاذرى فتوح ص ٤٤٧ ، السرخسي ج ١٠ ص ٨٢ ، الزيلعي ج ٣ ص ٢٧٥ ، ابن الهمام ج ٤ ص ٣٦٧ ، ابن نجيم ج ٢ ص ١١٠ ، (٤) كريستنسن ص ٣٥١ ،
(٥) ابو يوسف ص ١٠٥ — ١٠٦ ، انظر ابن منظور ج ٣ ص ٥٩٦ ، زيدان التمدن ج ١ ص ٢٣٥ ، الريس ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، (٦) الجهشيارى ص ٦١ ، الصالح ص ٣٨٦ ، (٧) ابو يوسف ص ١٠٥ ،انظر التنوخي نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢١٧— ٢١٨ .

الفصـــــــل الســـــادس

القـريـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة

أ ـ مجتمـــــع القـريــــــــــــــــــة : ـ

تتصف حياة اهل القرى عموما بالبساطة والمحافظة على القديم وعدم قبول التغير بسهوله ، وتبدو روح الجماعه قوية في مختلف امورهم ، كما ان اهمية الماء لحياة القرية هي اكثر ما يؤثر في المجتمع القروى ويظهر ذلك في شتى نواحـــــي حياتـــــهم .

ان اختلاط اهل القرى بغيرهم يبقى بسيطا مما يجعل التحول بطيئا وان حصل فانه يظهر بين الفئة الاحسن حالا ، ويبدو ان الحياة المنزلية لم تتغير في مظاهرها الاساسية عندهم من القديم وحتى العصر الحاضر (١) .

ويكاد قول ابن خلدون يصدق تماما على الفلاحين فهم يقتصــــــــرون " على الضرورى من الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال والعوائد ويقصرون عما فوق ذلك من حاجي او كمالي " (٢) ، فهم لا يزالون يعيشون هذا الواقـــــع الذى تفرضه عليهم ظروفهم فلا يأكلون الا صنفا واحدا من الطعام ، ويسكنون منزلا مكونا في الغالب من غرفة واحدة تجمع العائله ودوابها وجميع لوازم حياتها .

وتغلب على حياة الفلاحين الخشونه وتسود بينهم الاميه ، واذا ما شعر القروى بمرض التجأ الى الاعشاب المعروفة لدى اهل قريته زيادة على التماويذ . كما يعد الكي بالنار من وسائل العلاج الهامه لديهم .

---

١ ـ حتي سوريا ج ١ ص ٦٤ ، انظر لويون ص ٣٧٣

٢ ـ ابن خلدون مجلد ١ ص ٢١٢ ، انظر الموصلي ص ٣

ويشكل اهل القرية عادة مجتمعا صغيرا متعاونا يحترم صغيره كبيره اذ ان العلاقات الاجتماعية بين الفلاحين عادة تكون متينه وللعرف حكم القانون . ويتجلى التعاون في الحاجات الاساسية كتنظيم الري وقطاف المحاصيل وفي اوقات الزراعه فهم يزرعون في وقت واحد يساعد بعضهم بعضا لسرعة انجاز العمل وللتخلص من عبء دفع اجرة العمال . وتبدو الصفة الجماعية حتى بين الصبيان فهم يلعبون في الاحياء والساحات العامه في القرية جماعات كبيرة مما بخلاف ابناء المدن الذين يلعبون مع عدد محدود من الصبية .

ثم ان البيت الريفي اكثر ترابطا يطيع افراده رب الاسرة كوا جميعلى كل منهم ويعملون معا في الحقول .

وبصفة عامة لا يستغني القريون عن بعضهم البعض . وهناك بعض الاماكن يجب ان تكون عامة في القرية كالبيدر والمضافة .

ويقضي الفلاحون فصل الصيف غالبا في مزارعهم وكرومهم اذ ان العائله كامله تتخذ المزرعه مسكنا طوال شهور الصيف وهذا شائع لدى اغلب الفلاحين في شتى الاماكن الشاميه ، لكنها ظاهرة جلية في منطقة الخليل . (١)

ويعتمد الفلاحون على البيئه في تزويدهم بالمواد التي يحتاجونها فاكلهم مما تنتج ارضهم ومسكنهم من الطين او الحجارة والخشب اما وقودهم فمن الطبيعي ان يكون من الحطب واغصان الاشجار والقش اذ يكون في البيت ركنا خاصا لايقاد النار . وماؤهم من الابار التي يهيؤونها بانفسهم لجمع ماء المطر اذ يحرص الفلاح على ملء بئره في فصل الشتاء ليكفيه وعائلته ودوابه الى الشتاء القادم . وقد يكون في القرية عينا تزودها بالماء وعندها تنقل المياه بواسطة جرار من الفخار او قرب من الجلد تحمل على الرأس او الدواب والنساء هي التي تقوم بنقل الماء (٢) . وقدورهم من الفخار ويبدو انهم كانوا يستعملون اواني من الخشب اذ كانت تنحت صحاف من سيقان

١ — مجير الدين ص ٨١ ، انظر ايضا مفريل ص ٣٠

٢ — حتي تاريخ سوريا ج ١ ص ٩٤ .

الكرم في القدس " لان الكرم يعمل بارض بيت المقدس خاصة حتى يمكن ان تخرط منه الاواني " (١)

ولم تتوفر لدينا معلومات عن علاقة اهل القرى بالمدينة وكذلك الحال بالنسبة للعلاقة بين الفلاحين وكبار الملاكين .

الا ان الامر الذى لا بد منه ان يحتاج الفلاح بعض لوازمه كالملابس مثلا من المدينة فكان يبيع الفائض من محاصيله في المدينة ويشترى بالثمن ملابسه او يقايض المحصول بالملابس . (٢)

وورد ت اشارة واحدة تفيد ان ابناء سليمان بن عبد الملك كانت لهم اموال في فلسطين وكانوا يتركونها ويبذلونها للناس هناك لذا " كان اهل فلسطين يحبون مجاورتهم " (٣) . وكانت فكرة انابة وكلاء للاشراف على الضياع ظاهرة معروفة اذ ان اصحاب الضياع يسكنون في المدن لانهم من الامراء او الاشراف فكان لا بد من وكيل عنهم يشرف على ضياعهم . (٤) .

معيشـــة الفـــلاح : ــ

سنتطرق هنا لاهم جوانب حياة الفلاحين وهي : ــ

مساكنهم ، مآكلهم ، لباســهم .

مســاكن الفلاحيــــن : ــ

يرى ابن وحشيه ان منازل القرية يجب ان تكون " في موضع عال اعلى ما في تلك الناحية ان كان فيها تلول او عوالي فلتتخذ المنازل عليها " كما يجب ان

---

١ ــ الدينورى ص ١٧   ٢ ــ انظر امير علي ص ١٧٧

٣ ــ الطبرى تاريخ ج ٧ ص ٢٦٦ ، انظر ابن كثير البداية ج ١٠ ص ١٣

٤ ــ انظر ابن وحشية ص ٥٨٨ ، ٩٢٠ أ ــ ، وانظر ايضا الدورى مقدمه ص ٣٨ .

يكون بناء المنازل متوجها بابوابها الى ناحية المشرق ، وذلك لاستقبال ريح الصبا ونور الشمس مع الاشراق (١) . ويبدو ان ذلك لا يزال يراعى في كثير من قرى سوريا كما في القلمون خاصة (٢) .

وتتسم مساكن اهل القرى بصفة عامه بالبساطة والاعتماد على البيئه في توفير مادة البناء . فهي من الحجر والطين في المناطق التي تكثر فيها المقالع الحجرية كالجبال ، ومن الطين الصرف في مناطق السهول كما هو حال منطقة وسط سوريا ما بين حلب وحماه وشمال دمشق او من الخشب والطين في مناطق توافر هاتين المادتين معا كالغوطة مثلا . ويذكر المقدسي عن دمشق ان " بنيانهم خشب وطين " (٣) . وهذا ينطبق على قرى الغوطة ايضا وذلك لتوفر المواد الاولية في الغوطة .

ويفهم من ابن قدامه ان البناء في حوران وفلسطين متشابه ، يعتمد على الحجر بينما يعتمد في دمشق على الخشب والطين وفي الغور على القصب ، اذ يقول " ولا بد ان يكون الحائط منيعا يمنع ما وراءه ويكون مما جرت العادة بمثله ويختلف باختلاف البلدان فلو كان مما جرت عادتهم بالحجارة وحدها كأهل حوران وفلسطين او بالطين كالفطائر لاهل غوطة دمشق او بالخشب او بالقصب كأهل الغور كان ذلك احياء " (٤) .

كما شاع البناء باللبن " الطين " في الغور ايضا ولا يزال شائعا وقد اكتشفت شمال البحر الميت بيوت جدرانها من اللبن واساسها من الحجر الغشيم في حين ان السقوف من القصب المغطى بالطين (٥) . وهذا يؤكد صفة المحافظة في المنازل الريفية ، اذ احتفظت هذه المنازل بخصائصها القديمة التي تتلائم مع الوسط الطبيعي الذى يفرض عليها مادة البناء المتوفرة محليا .

---

١ ـ ابن وحشيه ص ٢٩٠ ، وانظر قسطوس ص ٢٠ ، ابن العوام ص ٣٣٠
(٢) الموصلي ص ٨٩ ، (٣) المقدسي ص ١٥٦ ، (٤) ابن قدامه المغني ج ٥ ص ٥٣٨
(٥) حتي تاريخ سوريا ج ١ ص ٢٦ .

ثم ان الطابع المميز للبيت القروى في سوريا هو تأثره بالمناخ (١) ، واكثر ما يتجلى ذلك في المنطقة الواقعة ما بين حلب وادلب وحماه وحمص اذ تسود البيوت القببية المبنية من الطين الصافي المخلوط بالتبن وذلك لخلو المنطقة من الشجر والحجارة (٢) ؛ ويبدو ان عدم توفر الحجارة جعل الجدران من الطين فقط وعدم وجود الخشب ادى الى اتخاذ القبة المخروطية بدلا من السقف ، ويتوزع هذا النمط من البيوت في منطقة جبل سمعان والكرد داغ ومنطقة المطخ والباب وحلب وكورة العلا " ما بين المعرة والمطخ وسلميه " (٣) . وقد يكون السقف من القش المغطى بالطين كما في سهل الغاب (٤) .

اما بيوت حوران فمادتها الاولية الحجارة السوداء البازلتية التي تكثر في تلك الناحية ويلائم البيت الحجرى المناطق الجبلية للتغلب على الامطار والثلوج وتقلبات الطقس ؛

وفي مناطق توفر الخشب كما في الغوطة يكون هيكل المنزل خشبيا بينما يكون الطوب " اللبن " مادة البناء ؛

ومن هنا يمكن تقسيم البيوت الريفية حسب نوعية المادة التي تبنى منها الى ثلاثة اقسام : —

البيوت الطينية : ومادتها الاساسية الطين فقط وهنا يكون السقف من الخشب والقش او القصب والتراب او ان يكون قبه مخروطية من اللبن نفسه .

بيوت من الطين والخشب " الهيكل الخشبي " : وسقفها من الخشب والتراب والمادة الاساسية الخشب والطين .

بيوت من الحجارة والطين : السقف اما ان يكون كالسابق او تعقد القناطر بواسطة الحجارة دون استخدام الخشب . (٥)

---

١ — حميده ص ١٦٧ ، (٢) الموصلي ص ٣٢ ، (٣) مفربل ص ٥٣ — ٥٨ ، انظر عبد السلام ج ١ ص ٥٣٤ — ٥٣٥ ، (٤) حميده ص ١٧٠
(٥) عبد السلام ج ١ ص ٥٤٥ — ٥٤٧ .

١ ـ البيت الطيني " الترابي " : ـ

هناك طريقتان لبناء هذا الطراز من البيوت ، ذكر احدلها ابن خلدون ، فبعد حفر الاساس وبنائه بالحجاره الفشيمه والطين تتكون القاعدة التي تقام عليها الجدران وتقام كما يلي " بأن يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا باختلاف العادات في التقدير واوسطه اربع اذرع في ذراعين فينصبان على اساس وقد بوعد ما بينهما باذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدل ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين اخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مختلطا بالكلس ويركز بالمراكز المعده لذلك حتى ينعم ركزه ويختلط اجزاؤه بالكلس ثم يزاد التراب ثانيا وثالثا الى ان يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت اجزاء الكلس والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة الاولى " (١) ، ثم تعاد هذه العملية الى ان يتم البناء .

وهذه الطريقة في البناء لا تزال تستعمل في غوطه دمشق وتسمى " بالدك " (٢) وفي هذه الحالة يكون التراب ممزوجا بالتبن او القش . وبعد الانتهاء من البناء " تجلل الحيطان بالكلس " (٣) ولا يزال ما يسميه ابن خلدون بالتكليس شائع جدا في الريف السوري عامه .

اما الطريقة الثانية لبناء البيت الطيني فتكون بواسطة قوالب اللبن المجففه في الشمس على هيئة الاجر ، اذ يتم تحضير هذه القوالب التي تتكون من الطين الممزوج بالقش قبل البدء بالبناء لكي يكون جفافها كاملا حيث يحفر الاساس ثم يبنى بالحجارة والطين الى ان يظهر على سطح الارض حيث يعلو قليلا لكي يؤمن عدم تسرب مياه المطر شتاء . ثم تبنى الجدران الاربعة بواسطة طريقة الرصف " الصف " بالمداميك وهو السطر الكامل من الجدار ومفردها (مدماك) (٤) ، ويكون رصف اللبن بعضها فوق بعض بحيث يرتكز كل قالب منها على قالبين من المدماك الاسفل (٥)

---

١ ـ ابن خلدون ج ١ ص ٧٢٦ ـ ٧٢٧ ، انظر عبد السلام ج ١ ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤ .
(٢) الخير دمشق ص ٣٨٣ ، غوطه ص ٢٨٩ ، الموصلي ص ٧٠ ، مفربل ص ٣٠ ، ٤١ .
(٣) ابن خلدون ج ١ ص ٧٢٧ ، (٤) العسكري تلخيص ج ١ ص ٢٥٨
(٥) الخير غوطه ص ٢٩٠ ، الموصلي ص ٦٩ ، مفربل ص ٣٨ ـ ٣٩ .

وتمتاز المنازل المبنيه على هذا الطراز بانها سهلة البناء ، وسهلة الاصلاح وخيصة التكاليف وانها تحتفظ بالرطوبه خاصة ان مادتها تحتم قلة النوافذ وصغرها ان وجدت (١) .

اما السقف فتتكون ماده بنائه من الخشب واغصان الشجر ومن فوقه التراب ، اما في الغور وجنوب الشام فان السقف هنا يكون القصب او القصيب كما يسميه الناس عادة (٣) ويستعاض عن السقف الخشبي عند عدم توفر الخشب بالقبة المخروطيه ، ويرى ذلك في السهوب السوريه من شمال حمص وحتى شمال حلب (٢) ، اذ تعتبر القبة في هذه المنطقه هي الظاهرة الجغرافية التي تنفرد بها عن سواها .

ويتراوح ارتفاع البيت عادة بين ٥ر١ — ٣ متر حيث يكون في الشمال اقل ارتفاعا منه في الجنوب (٤) .

وبعد الفراغ من بناء الجدران والسقف تطلى من الداخل والخارج بالطين الممزوج بالقش حيث تزيد من قوتها ، واذا ما طليت بالكلس فانها تكتسب منظرا جميلا .

٢ — البيت الطيني " الخشبي " طريقة البناء بواسطة الهيكل الخشبي "

وهذه الطريقة قليلة الانتشار ، اذ انها تشيع في بعض مناطق الغوطة ودمشق حيث يتوفر الخشب من اشجار الحور التي تزرع بكثرة هناك ويكون البناء بعد اقامة الاساس كما يلي : —

يقام الهيكل الخشبي على طبقة الاساس بحيث يكون جدارا من الخشب فيه كثير من الفراغات التي تملأ باللبن الصغير بين اعمدة الخشب وعندما يكتمل الجدار وهكذا يعمل في الجدران الاربعة " انظر الشكل ١١ " ، ثم يطلى البناء من الداخل والخارج بالطين الممزوج بالتبن (٥) ، ويعتبر هذا النمط ملائما للمناخ الصحراوي ذو الفوارق الحراريه الكبيرة ، اذ ان الخشب يحفظ الحرارة شتاء ويقي من البرد القارس (٦) .

---

١ — مغربل ص ٤٦ ، الخير دمشق ص ٣٨٥ ، الموصلي ص ٤٨
(٢) مغربل ص ٤٣ — ٤٥ ، عبد السلام ج ١ ص ٥٣٤ — ٥٣٥ ، (٣) الموصلي ص ٤٩ — ٥٠ ، (٤) الموصلي ص ٥٢ ، (٥) مغربل ص ٤٠ ، الخير غوطه ص ٢٩١ ، الموصلي ص ٦٤ ، ٦٩ ، عبد السلام ج ١ ص ٥٣٧ ، (٦) مغربل ص ٣٧ — ٣٨ ، الموصلي ص ٦٦ — ٦٧ .

٣ — البيـــــت الحجـــــرى : —

اما البناء بالحجر فيشيع في المناطق الجبلية والسهلية القريبة مـن الجبال حيث تتوفر المادة الاولية من الصخور كما هو الحال في حوران وجبال العلويين وفلسطين عموما ، فيكون البناء هنا كالبناء بطريقة اللبن الجافـــة ويذكر ابن خلدون هذه الطريقة ويقول " فالبناء بالحجارة المنجدة او بالاجر يقام بها الجدران ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكلس الذى يعقد معها فيلتحـم كأنه جسم واحد " (١) . لكن الجدار هنا يتكون من صفين متقابلين من الحجارة وبينهما الطين والحجارة الصغيرة ، ويتراوح عرض الجدار بين المتر الى المتر ونصف وهكذا يتبين لنا متانة الجدار بالقياس الى الطرز السابقة كلها . وميزة اخرى لهذا البيت وهي اتساع الباب والنوافذ نظرا لمتانة البناء بعكس البيت الطيني الضعيف بحيث تكون النوافذ والباب اقل ما يمكن اتساعا .

ولنأت الان الى السقف لطرز البناء السابقة : —

يلعب الخشب الدور الاول في بنائه زيادة على اغصان الاشجار الرفيعة والقش والتراب فيما عدا القبة المخروطية في البيت الطيني فانها تتكون من الطين دون الاستعانة بأى شئ آخر . بينما البيت الحجرى والهيكل الخشبي وبعـض البيوت الطينية يكون سقفها كما ذكرنا ، وتكون عملية التسقيف كما يلي : —

بعد بناء الجدران الاربعة يؤتى بالخشب وعادة يكون في الغوطة والقلمون من الحور (٢) حيث الاعمدة الطويله المستقيمه وفي المناطق الاخرى تكون الاعمدة الخشبية هي خشب الاشجار التي تتوفر في المنطقة وقد تكون مستقيمه او معوجه اعوجاجا خفيفا .

---

١ — ابن خلدون ج ١ ص ٧٢٦

٢ — النابلســـي ص ٥٩ .

ثم تصف هذه الاعمدة الخشبية بحيث يصل كل منها بين الجدارين المتقابلين، بعد ذلك ترصف الاغصان الصغيرة المتشعبه او القش حتى يكون السقف قد غطي تماما بها ثم يلقى التراب الممزوج بالماء قليلا فيرص رصا محكما بواسطة حجر خاص يكون على شكل الاسطوانه ثم تطلى هذه الطبقة بطبقة اخرى من الطين الممزوج بالتبن كما يعمل بالجدران (١) . ويكون السطح دائما مائلا بحيث يسهل على مياه المطر ان تتجه الى حيث فتحة المزراب . وفيما عدا البيوت القببية فان سطح السقف يستعمل لتجفيف بعض المحاصيل كالسمسم ، وكذلك تجفيف البرغل صيفا . (٢)

وهناك طراز اخر من السقوف اذ يقام السقف على قناطر ضخمه وتكون عادة من الحجارة لحمل السقف وهنا يكون السقف مقببا لكن القبه ليست حادة كما هو الحال بالنسبة لقبة البيت الطيني المخروطية (٣) . وتشيع هذه الطريقة عندما يكون البيت واسعا ولا يكون صاحبه قرويا عاديا بل يكون ملاكا صغيرا او من وجهاء القرية ، اذ ان هذا البيت يكلف كثيرا لان الحجارة يجب ان تكون مهذبه وضخمه وذلك يحتاج الى عمال ليقوموا بهذا العمل .

وفي هذه الحالة قد يكون على جانبي البيت من اليمين والشمال ما يشبه الغرف الصغيرة ، توضع فيها لوازم صاحب البيت كلها ، ويمكنه ان يستغني عن اى مرفق اخر نظرا لكون البيت واسعا جدا بالنسبة للبيوت الاخرى ، ويتميز هذا النوع من البيوت بمصطبة مرتفعة عن مدخل البيت بارتفاع متر على طول البيت وعرضهــا حوالي المترين وتكون هذه الردهه مخصصه لربط الحيوانات (٤) ، ويشيع هذا الطراز في فلسطين ومما يدل على قدمه ان الناس هناك لا يزالون يسمونه " البيت الرومي " او الرومانــي "

---

١ — انظر ابن خلدون ج ١ ص ٧٢٧ ؛ الموصلي ص ٧٠ ، انظر عبد السلام ج ١ ص ٣٥٨ ، ٥٤٣ ، (٢) حميده ص ١٧١ ؛ مفربل ص ١١٨ ؛
(٣) انظر عبد السلام ج ١ ص ٥٤٥ — ٥٤٧ .
(٤) عبود ص ١٥ .

وغالبا ما يتكون بيت الفلاح العادى من غرفة واحدة تسكنها العائله جميعها زيادة على الدواب ان وجدت (١) .

وفي جبل العرب " حوران " وفلسطين عموما ما يسمى " بالخشه " (٢) وهي عبارة عن غرفة صغيرة قصيرة الارتفاع عديمة النوافذ الا من بعض " الكوى " الطاقات ، وعادة تكون الخشه قريبة من مبنى البيت الذى هو الغرفة الرئيســـية للعائله ، والخشه بمثابة مخزن للمواد التموينية والطبخ وللاعمال المنزلية كلها ، وقد يكون هناك اكثر من خشه اذا ملك الفلاح بعض الحيوانات . وقد يبني الفلاح في الصيف بحقله بيتا مؤقتا من القش واغصان الشجر ويسمى " بالخص " (٣) ،

وكان الفلاحون يبنون ما يسمى " بالطابون " لعمل الخبز وخاصة في فلسطين (٤) ، ولا يزال ذلك معروفا حتى الان .

ويلاحظ بشكل عام ان بيوت القرية تكون متقاربه بعضها من بعض وهذا يمكن تفسيره بالرغبة في الامن او التجمع حول الماء (٥) زيادة على الحرص علـى الارض الزراعية كما ان الحياة الريفية تستلزم وجود الناس معا لتلاؤم حياتهم مع التجمع والترابط .

---

١ — انظر مغربل ص ٣٢ ، ١١٧ ، حميده ص ١٦٨ ، الموصلي ص ٥٣ ، عبد السلام ج ١ ص ٥٥٢ ،

(٢) الموصلي ص ٧٧

(٣) مغربل ص ٣٠

(٤) انظر المقدسي ص ١٨٣

(٥) مغربل ص ١١٨

ويطلي الفلاحون مساكنهم كل عام بالطين من جديد ، وذلك قبل بداية نزول الامطار حيث يكون شهر ايلول من كل عام موسم اعادة طلاء البيوت بالطين ويسمون هذا العملية " التطيين " وتقوم بها النساء خاصة ويساعد بعضهن بعضا . وتجرى هذه العملية خاصة لظهر البيت اى سقفه من الخارج والغاية منها الاحتياط خوفا من الامطار لئلا تتسرب من السقف الى داخل البيت .

وتكون المصطبة غالبا من الطين المكلس بحيث تبدو نظيفة ويحوى كل بيت وجاقا مقابل الباب لوضع الفراش الذى ينام عليه افراد العائله (١) ، اذ ان الفرش تنضد نهارا وتفرش ليلا .

اما الابواب فهي دائما مكونه من الواح خشبية تغلق بواسطة المزلاج الخشبي ويتكون الباب عادة من قطعة واحدة فقط (٢) .

والاثاث الذى يحتوى عليه البيت القروى بسيط لا يتعدى الفراش الذى ينامون به او يجلسون عليه ، ويتكون من الحصير " وهو البساط من النبات يفرش على المصطبة ، ثم الوسائد والمساند التي يتكئ عليها الجالسون ثم اللحف والفرشات (٣) .

واخيرا فان الفلاحين ينيرون بيوتهم بسرج بسيطه الصنع يوضع بها زيت الزيتون . (٤)

---

١ ـ مغربل ص ٤٢ ، الموصلي ص ٧٠

(٢) مغربل ص ٤٦

(٣) انظر العسكرى التلخيص ج ١ ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٤) حتي لبنان ص ١٢٢ .

طعـــام الفلاحيـــــن : ـ

يعتمد طعام اهل القرى على منتجات ارضهم وما تدر به عليهم مواشيهم اذ يشكل القمح والزيتون والعنب والتين (١) ومشتقات الحليب جل طعامهم .

يصنع من القمح الخبز والكشك والبرغل والفريكه " وهي حنطه حديثة لم تيبس " (٢) . ومن الزيتون الزيت والمكبوس الذى يحضر من الزيتون الاخضر والاسود (٣) ، ومن التين ما يعرف بالقطاين ، اما العنب فيعملون منه الدبـــس والخل والزبيب كما يأكلونه طازجا في موسم النضوج (٤) ، واخيرا فانهم يصنعون منه النبيذ (٥) . وهذه المحاصيل الاربعة هي الرئيسية في اغلب النواحي الشامية وبعد هذا فان للعدس اهمية خاصة في غذاء فلاحي الشام .

ويشكل القمح والزيت والخل المواد الرئيسية للغذاء عند عامة الناس في الشام ويتبين ذلك من فرض عمر الارزاق للجند من هذه المواد الثلاثة (٦) . ثم ان فرض الجزية العينية من هذه الاصناف نفسها يشعر انها اساسية في انتاج الفلاحين (٧) .

---

١ ـ انظر حتي سوريا ج ١ ص ٢٧ ، الغزى ج ١ ص ١٢٢ ، ١٢٤

(٢) الكاتب البغدادى الطبيخ ص ٣١

(٣) انظر قسطوس ص ١٠٥ ،

(٤) انظر المقدسي ص ١٨٠ ، النووى المجموع ج ٥ ص ٤٣٣

(٥) حميده ص ١٤٥

(٦) انظر الازدى ص ٢٥٧ ، البلاذرى فتوح ص ٤٦٠ ، اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ١٤٧ ، ابن عساكر تهذيب ج ١ ص ٢٥٧ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٥٦ .

(٧) ابو يوسف ص ٤١ ، قدامه الخراج " بن شمش " ص ١١٦ ، ابو عبيد ص ٥٥ ، ٢١٣ ، ٩٦٥ ، البلاذرى فتوح ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ، ابن عساكر دمشق ج ١ ص ٥٧١ .

ولا يزال البرغل والخبز واللبن المواد الاساسية لغذاء الفلاح (١) ، كما ان الزيتون وزيته لا يزال عند عامة الناس في سوريا أكثر اصناف الطعام انتشارا (٢) ، واعتبر التمر والزبيب من القوت (٣) ، وبما ان التمر قليل في الشام فان الزبيب احتفظ بمركزه كغذاء او قوت للفلاحين في المناطق التي تنتجـه ويعتبر التين اليابس في الشام قوتا (٤) .

وللكشك والبرغل اهمية تذكر ،ويعمل الكشك بالطريقة التالية : ـ

" يؤخذ من البر بعد كمال يبسه فينقى ويطحن جريشا لا في الغاية بل متوسطا ويوضع في اجانات من الفخار الواسعة الافواه معرضه للشمس في حزيران او تموز ويصب فيها اول مرة المخيض قدر ما يغمر ما فيها من الطحين ويحل به ثم يغطى بخرق ويترك للشمس ثم يصب فيها في اليوم التالي الحليب ويحل ما فيها به ويغطى ويترك للشمس ثم يصب في اليوم الثالث المخيض وهكذا عشرة ايام ثم يترك ليشتد فاذا اشتد تعمل منه كتل تنشر للشمس حتى ييبس ويرفع ويستعمل وقت الحاجه (٥)

وهكذا نرى ان الكشك يتكون من القمح المجروش والحليب ويعمل صيفا ويمتد الى موسم الشتاء . ولا يزال مستعملا حتى الان ،ويقرب من الكشك ما يسمى " بالجميد "

اما عملية تحضير البرغل فتبدأ بعد نقل القمح من البيدر ، اذ تقرر ربة العائله كمية القمح التي تريد ان تحولها الى برغل فتغسلها وتجففها على سطح المنزل وتكون الكمية غالبا كبيرة وتتناسب دائما مع حجم العائله . ثم توضع هذه الكمية من القمح في اناء واسع جدا وتغمر بالماء بعد ان يوضع الاناء على موقد النار الكبير لكي يتحمل وزن الاناء بما فيه من القمح والماء ، ثم يسلق القمح وبعد السلق ينشل القمح من الاناء وينشر على سطوح المنازل للتجفيف ، ويثابر على تقليبه حتى يتم جفافه فيجمع ويخزن الى حين الجرش او انه يجرش فورا (٦) .

---

١ ـ مفربل ص ١١٦ ، (٢) حتي لبنان ص ٤١ ، (٣) السرخسي ج ٨ ص ١٧٩ ،
(٤) النابلسي ص ٥٠ (٥) قسطوس ص ٣٤ ـ ٣٥ ، انظر خنشت ص ١٨ ، جب المجتمع ج ١ ص ٦٨ ، زكريا الريف ج أ ص ٩٠ ،
(٦) للتفصيل في عملية تحضير البرغل انظر خنشت ص ٦٠ ـ ٦٥ .

وعند الجرش لا بد من التعاون ويبدو ان هذا عرف مألوف ، اذ تدعو صاحبة البيت جاراتها ليقمن بمساعدتها في جرش قمحها المسلوق والسبب هو كثرة الكمية المسلوقة ، وهذا شائع في سوريا فيكون موسم جرش البرغـل شبيه بموسم قطاف اى محصول هام .

ويكون الجرش بواسطة الالة المسماه " الجاروشه " التي استعملت من القديم لجرش الحبوب ولا زالت مستعمله حتى الان (١) .

وهناك فرق بين الجاروشه والرحى ، اذ ان الرحى لطحن الحبوب (٢) ، وهي عبارة عن حوض به حجر ثقيل مستطيل ليقوم بالدرس وتربط به الدابه فتدور حول الحوض فيدور الحجر الثقيل وهكذا حتى تقرر كفاية الدرس (٣) ، اما الجاروشه فهي حجرين من الحجارة الصلبة تكون عادة من البازلت الاسود لانها ثقيلة وصلبه وتكون مخروقه من الوسط يوضع احدها فوق الاخر ، وعلى الحجر الاسفل يقوم عمود من الحديد او الخشب وفي الملوى ثقب صغير ، فعند وضع الحجر الملوى على السفلي يدخل عمود الحديد او الخشب في ثقب الحجر الملوى ، ويكون للحجر الملوى يد من الخشب حيث يدور هذا الحجر على الحجر السفلي فيمسك العامل على الجاروشه اليد الخشبية ويدير الحجر الملوى ، وعندما يكون القمح او اى صنـف من اصناف الحبوب المراد جرشها قد وضع في الثقب الاوسط فيقع الحب بين حجرى الرحى " الجاروشه " وبدوران الحجر الملوى على السفلي تجرى عملية جرش الحب وتحويل القمح الى برغـل .

---

١ ـ انظر القاسمي ج ٢ ص ٤٨٦ ، حتي لبنان ص ١٢١ سوريا ج ١ ص ٩٣ ابو النصر ص ١٩

(٢) كاهين ج ١ ص ١٧٦

(٣) القاسمي ج ٢ ص ٢٨٣ .

وهذا ما تفعله كل عائله قروية لاهمية البرغل في حياتهم بل ربما كان الطعام الوحيد لبعض الاسر في الشتاء ، وقد تجرش الحنطة ايضا على درجات فمنه الدقيق الذى يعمل منه السويق ، ومنه البرغل المعروف زيادة على درجات بينهما (١) ،

وتطحن الحنطة فيسمى طحينها الجشيش اما طحين الشعير فهو الدشيش (٢) .

وتبدأ عملية صنع الخبز بعجن الطحين ويذكر ابن العوام ان اهل الشام " يعجنون خبزهم في اواني نحاس يدثرونها فتحمى فتسرع الاختمار " (٣) . ولا زال اهل القرى يعجنون خبزهم بنفس نوع الاواني .

ويقول المقدسي ٣٧٥ عن صنع الخبز **بفلسطين** " وللقرياتين الطوابين وهي تنور في الارض صغير قد فرش بالحصى فيوقد الزبل حوله وفوقه فاذا احمر طرحت الارغفه على الحصى " (٤) وبعد قليل تنضج هذه الارغفة بفعل حرارة الطابون فتنزعها المرأة وتعيد الكره حتى تنهي العجين .

وهذه الطوابين لا زالت مستعمله على نطاق واسع في شتى انحاء جنوب الشام وفي القرى بشكل خاص (٥) ، وهي كما وصفها المقدسي لم يتغير عليها اى شئ وتسمى ايضا بنفس الاسم .

---

٢ — انظر خنشت ص ٦٨ — ٦٩ ،

(١) البيروني ص ١٣٥ انظر ص ١٩٢

(٣) ابن العوام ص ٣٢٤

(٤) المقدسي ص ١٨٣ ، انظر لسترانج ص ٤٠

(٥) شويحات ص ٣٠٨

كما عرف قديما خبز الرقاق (١) ، وهو خبز الشراك كما يسمى حاليا ويعمل على الصاج حيث توقد النار ويوضع الصاج مقلوبا على الموقد فتلقي المرأة العجين على ظهر الصاج الحار مما يسبب نضوج الخبز لذلك . (٢)

ويذكر ابو هلال العسكرى خبز المليل وهو الذى يخبز في الملة وهو ان توقد النار في حفيرة من الارض ويجعل العجين فيها فيصير خبزا (٣) ، ويرى قسطوس ان هذا النوع من الخبز " اكثر ما يتخذه المسافرون اذا بعدوا عن العمارة " (٤) واجود انواع الخبز هو خبز التنور يليه خبز الفرن . (٥)

وعرف السويق ايضا على نطاق واسع وهو يصنع من الحنطة ويكون بأن تؤخذ الحنطة المنقاه وتغسل غسلا جيدا وتنقع في الماء ليلا ثم تغسل في الصباح ثانية وتجفف ثم تقلى قليا بليغا حتى تحمّر فاذا بردت طحنت ونخلت فاذا احتيج اليها جعل معها السكر على ما يريد الشارب (٦) .

ويبدو ان الخبز كان يعمل من غير القمح ايضا ، لان الوراق يقول " ان اجود الخبز خبز الحنطة (٧) ، ويذكر قسطوس انه في السنين الماحله يستعمل الترمس غذاء للانسان (٨) ، اما المقدسي فيذكر عن اهل فلسطين انهم " يملحون الترمس ويكثرون اكله " (٩) .

كما اشتهر في الشام ما يسميه الخوارزمي بالاطرية ويقول عنها " من طعام اهل الشام " (١٠) ويصفها ابن المبرد " يعمل من العجين ويرمى على غرف وطبيخه مثل طبيخ الرشتى (١١) ، يوضع على المرق ويغلى عليه " (١٢) . ومع انه لا يذكر

---

١ ــ العسكرى التلخيص ج ١ ص ٣٦٥ ، (٢) شويحات ص ٣٠٧ ،
(٣) العسكرى تلخيص ج ١ ص ٣٦٥ ، (٤) قسطوس ص ٣٤
(٥) قسطوس ص ٣٤ ، (٦) الوراق ص ٢٧أ ، انظر السرخسي ج ٨ ص ١٨١
(٧) الوراق ص ٢٣ أ ــ ٢٣ ب . (٨) قسطوس ص ٢٨ ، (٩) المقدسي ص ١٨٣ ، لسترانج ص ٤٠ ، (١٠) الخوارزمي مفاتيح ص ١٦٦ ، انظر البيروني ص ٥٠
(١١) وتسمى الرقاقه في بعض المناطق حتى الان بالرشتى ، (١٢) ابن المبرد كتاب الطباخه نشره حبيب زيات في مجلة المشرق مجلد رقم ٣٥ لسنة ١٩٣٧ ص ٣٧١ . انظر البيروني ص ٥٠ .

مواد هذه الاكله لكنها ربما تكون ما يعرف بـ " الرقاقه " (١) ، اذ تطبخ قطع الرقاق " رقاق العجين " مع العدس والعريس ، فبعد ان ينضج العدس تضاف اليه قطع الرقاق اذ تلف الرقاقة وتقطع قطعا طويله كما يفرم البصل ويضاف للجميع بعد غليان الطبيخ الزيت والثوم وتسمى ايضا " رقاقة بعدس " وقد تكون مع اللبن فتسمى رشتايه ويسميها اهل الشام " حراق اصبعه " (٢) ،

ويذكر ابن المبرد عن العدس ان " احسن طبخه ان يجرش ثم يطبخ ويوضع فيه السلق والقلقاس ثم يوضع عليه بعد الاستواء السماق والبصل المقلي والبقدونس والخل والزيت " (٣) ، ولا يزال العدس المجروش خاصة من اكثر انواع الطبيخ انتشارا بين الفلاحين لكنهم لا يضعون عليه ما ذكره ابن المبرد ، بل يطبخونـــه دون اضافة شيء سوى قليل من البصل والزيت ، ويؤكل غالبا مع الزيتون المكبوس او الفجل .

ويطبخ العدس زيادة على ذلك صحيحا دون جرش ودون ان يخلط بالعجين ويسمى هنا " العدس الصحيح " كما يطبخ مع البرغل فيكون اسمه " مجدره " (٤)

ويذكر المقدسي انه كانت في الخليل " عادة الضيافة للغرباء تقدم فيها العدس والزيت " (٥) ، وان جاز الاجتهاد فان المقصود هنا هو العدس المجروش ، ويمكن ان يستنتج من ذلك ان العدس والزيت كانا يشكلان الطعام المعتاد للناس ، لذا جعلا للضيافة . (٦)

ويصف الكاتب البغدادي اكلة تسمى المبحثرة " (٧) ، وهي ما يسمى عند بعض الفلاحين " المفروكه " وتشيع ايام عصر الزيتون اذ يغرق الخبز الساخن بالزيت المعصور حديثا ثم يفرك الخبز باليد ويضاف اليه السكر . فهذه المبحثرة المبسطـــة ،

---

١ ــ شويحات ص ٣١٠ ، (٢) ملحق كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٩٧ ، والمقصود باهل الشام هنا اهل دمشق . (٣) ابن المبرد المشرق مجلد ٣٥ لسنة ١٩٣٧ ص ٣٧٤ (٤) انظر الكاتب البغدادي ص ٢٩ ، زكريا محاصيل ج ١ ص ٣٠٠ ، (٥) المقدسي ص ١٧٣ ، (٦) انظر لسترانج ص ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، (٧) انظر الكاتب البغدادي ص ٨١ ،

التي يعرفها الفلاحون . كما يذكر نوعا من الحلويات لا يزال شائعا ويسميه " لقم القاضي " وقد احتفظ هذا النوع من الحلويات باسمه القديم لدى بعض فلاحي فلسطين بينما يسمى بالشام " زنكل " (١) وقد يسمى احيانا " عوامه " ويبدو ان الاسم مأخوذ هنا من عوم قطعة العجين وهي تقلى بالزيت .

ويبدو ان مقلى " العجه " كان معروفا من قبل (٢) وكذلك متبل الباذنجان (٣).

وكان الزيتون غذاء رئيسيا لسكان بلاد الشام اذ يحصلون منه على الزيت الذى يدخل في كل مآكلهم زيادة على انهم يستعملونه ادما وحده ، كما انهم يحضرون منه المكبوس الذى يذكره قسطوس بقوله " وهو الزيتون المشقق بسكين والموضوع في كمية من الماء والملح ويغمر برب العنب ، ويرمى فيه اوراق من الاترج ثم يصير طعاما يتأدم به " (٤) ، الا ان ابن الحجاج يتوسع اكثر منه فيذكر طريقة عمل الزيتون المكبوس بواسطة الرصع والتشريح او التشطيب وكذلك عمل الزيتون الاسود (٥) ، وهي نفس الطريقة التي لا تزال شائعة حتى الان .

ويذكر الوراق مخلل الخيار والقثاء (٦) ، الذى يشيع حاليا ايضا ،

ومن المنتوجات الهامه التي تعتبر قوتا التين حيث ييبس ويعمل منه ما يعرف بالشام " بالقطين " (٧) . ويكثر ذلك في منطقة القدس وشمال سوريا حيث يكثر غرس شجر التين . ويذكر ابن الحجاج ان عملية تجفيف التين " لا تحتاج الى كبير امر غير انه لا يجفف حتى يتناهى طيبه ويوضع في المنشر المعد له حتى يتناهى جفافه ، وما احسن ما يأتي التين اذا رش حين التعبئه بماء البحر او بماء الندى " (٨)

---

١ — ملحق كتاب الطبيخ ص ٩٦ — ٩٧ ، (٢) الوراق ص ١٠٤ ب ، ملحق الطبيخ ص ١٠١
(٣) الكاتب البغدادى ص ٣٨ ، ملحق الطبيخ ص ٩١ ، ابن المبرد المشرق مجلد ٣٥ لسنة ١٩٣٧ ص ٣٧١ ، (٤) قسطوس ص ١٠٥ ، انظر الكاتب البغدادى ص ٦٩ ،
(٥) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ١٠٢ — ١٠٣ ، انظر البيروني ص ٢١٤
(٦) الوراق ص ٣٧ أ ، انظر الكاتب البغدادى ص ٦٦ (٧) المقدسي ص ١٨٠ — ١٨١
(٨) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٨١ ، انظر الشهابي الاشجار ص ٣٣١ ،

وفي الشام يجفف التين للمؤونه المنزلية لتؤكل الى جانب الزيت ، (١) حيث يعمل به الفلاحون ما يسموه " البسيسه " وهي طحين وزيت يعجنان معا ويغمس فيه القطين ويؤكل .

اما مشتقات العنب فهي اكثر تنوعا وانتشارا واكثر اهمية لطعام الفلاحين اذ يعمل من العنب الزبيب والدبس والخل والملبن وكذا النبيذ . كما تحفظ العناقيد بحالتها الاصلية لتؤكل كما هي شتاءً وفي الربيع . وتكون هذه العملية بعد القطاف مباشرة حيث ينتقون اجود العناقيد واسلمها من الخدوش والتلف ثم يوصفون ارض غرفة مظلمة قليلة الهواء بالتراب الابيض ثم يصفون العناقيد بعضها الى جانب بعض ويغطونها بورق العنب ومن فوقها قطعة من القماش وبذلك يبقى العنب سليما حتى نيسان (٢) ويكون جاهزا للاكل خلال الشتاء والربيع . وعرف الفلاحون طرقا لحفظ التفاح والرمان طازجا مدة طويلة (٣)

اما عن عمل الزبيب فيذكر الشهابي انه بعد انتخاب العناقيد المراد جعلها زبيبا وهي احسن العناقيد عادة تغطس بمحلول مكون من الماء ورماد نبات الاشنان او رماد الحطب مع قليل من الزيت ثم يصفونه على الهيئة السابقة لكنه هنا تحت الشمس فيجف لذلك ويصبح زبيبا (٤) . ولا يذكر ابن الحجاج المحلول بل يذكر ان العناقيد تسطح تحت اشعة الشمس ثم تحصل عملية الجفاف (٥) ، الا أن احسن طرق عمل الزبيب برأى قسطوس هي : " ان يلوى اصل المنقود وهو لا يزال على الشجرة ويترك حتى تيبس العناقيد ثم تقطع وتعلق في ظل الكرم وتوضع فيها بعد كهيئتها في اوعية في بيوت باردة " (٦) وافضل الزبيب اكثره لحما وارقه قشرا " اما الزبيب الصغير الذى لا عجم له فهو اجود (٧) .

---

١ — حميده ص ١٤١ ؛ (٢) قسطوس ص ٤٩ ؛ خنشت ص ١٤ ، زكريا الريف ج ١ ص ٩٠ (٣) ابن بصال ص ١٧٩ — ١٨٠ ؛ (٤) الشهابي الاشجار ص ٢٥٣ ، انظر القاسمي ج ٢ ص ٢٧٣ ، (٥) ابن الحجاج مخطوط رقم ج ٦١٧ ص ٧٩ ، (٦) قسطوس ص ٧٠ ، (٧) ابو البقاء ص ٢٣٤ .

ويذكر ابن حوقل انه كان لمدينة منبج " من ناطف الزبيب المعمول بالجوز والفستق والسمسم مالم ار له شبها الا ما ببخارى منه " ويحمل زبيب منبج الى حلب وغيرها (١) ، كما اشتهرت فلسطين ودمشق بالزبيب والقطين وكذلك حلب وبعلبك (٢) ، واشتهر اللبن في بعلبك خاصة (٣) ، ثم في دمشق (٤) ولا يزال دبس بعلبك مشهورا (٥) ،

تلك هي المواد الاساسية لطعام اهل الريف الشامي ويلاحظ ان اهمية الخضار والفواكه كانت جانبية والارجح ان الفلاحين كانوا اقل استهلاكا لها ولا يزالون حتى الان يعتبرون أكل الفواكه رفاهية ومن الكماليات ، اما الخضار فيرون ان لا فائدة منها ، اما اللحوم فان اهل القرى لا يأكلونها الا في مناسبات معينة كأيام الاعياد والمناسبات العامة كزواج احدهم او موته ، وفي حالة نزول ضيف عليهم فانهم ينعمون بوجبة من الاكل يدخل فيها اللحم (٦) .

وتنتشر بين الفلاحين في حوران والقلمون ومنطقة دمشق طريقة خزن بعض اللحم المجفف للشتاء ويسمونها " القورمه " او " القاوورمه " (٧) ، كما تعمل في الزبداني ايضا (٨) ، وهي تختلف عن القديد الذى هو " لحم مملوح مجفف في الشمس " (٩) ، اذ تكون كالتالي : يجرى تسمين الخروف المراد تجفيفه تسمينا جيدا ويذبح في اخر الخريف ثم يفرم اللحم ويملح ويحمص على شكل كتل من اللحم بحجم حبة البرتقال وتحفظ لايام الشتاء (١٠) .

ويتناول الفلاحون عادة طعامهم بشكل جماعي اذ يلتف افراد الاسرة حول الطعام ويوضع الاكل على طبق من القش تصنعه النساء من سيقان القمح والشعير (١١) وهم يتناولون طعامهم عادة بأيديهم .

اما أوانيهم فكانت من الفخار وخاصة القدور أو النحاس كما هو حال الاواني التي يعجنون بها طحينهم . (١٢) .

---

١ — ابن حوقل ص ١٦٦ (٢) المقدسي ص ١٨٠ — ١٨١ (٣) المقدسي ص ١٨١
(٤) ابو البقاء ص ٢٣٥ (٥) زكريا الريف ج ١ ص ٧٩ (٦) خنشت ص ١١ ، مغربل ص ١١٦ ، حميده ص ١٧١ ، جب المجتمع ج ٢ ص ٦٨ ، ٩٧ ، (٧) خنشت ص ١١ ، العيسمي ص ٨٦ ، زكريا الريف ج ١ ص ٨٩ ، (٨) زكريا الريف ج ٢ ص ٢٨٧ ،
(٩) ابو داود ج ٣ ص ٤١١ ، (١٠) العيسمي ص ٨٦ ، (١١) حميده ص ١٧١
(١٢) ابن العوام ص ٣٤٢ .

ملابـــــــس الفـــلاحـــــين : ـ

لا تتوفر لدينا معلومات كافية لمعرفة هيئة الملابس التي كان فلاحوا الشام يرتدونها ، الا ان ملابس الفلاحين قلما يطرأ عليها التغيير ، كما يتبين من بعض الرسوم المصرية لوفد سوري زار مصر في العهد الفرعوني فقد كانوا يلبسون الثوب الطويل المغلق من الامام ولا يتعدى طوله الركبه ، كما اتخذوا منذ ذلك الزمن الكوفية والعقال لباسا للرأس (١) ،

وكانوا يلبسون نعلا رقيقا ذا اشرطه طويلة تلف حول قصبة الرجل مرات عديدة وقد يلبسون حذاء لينا منخفضا (٢) ، وتظهر النقوش المصرية ان النساء السوريات كن يلبسن الاحذية الحمراء في ارجلهن (٣) .

ويعتبر الجلباب المفتوح من الاعلى والذي يصل الى الركبه مع حزام مبروم حول الخصر والعباءة اضافة للكوفية والعقال لباسا قديما في هذه المنطقة عرف منذ ايام الانباط . واكثرها قدما واصالة هو الجلباب الذي يساعد البدوي والفلاح على العمل بالاضافة الى تكاليفه البسيطة وسهولة صنعه ، وكان يحزم من الوسط بحزام يعقد غالبا على الجانب الايسر فيتحول قسمه العلوي الى جيب او "عب" يضع فيه الفلاح حاجاته الصغيرة ولا يزال ذلك شائعا حتى الان . (٤)

وتدل النقوش الفنيقية ان لباس اهل هذه المنطقة لم يتغير جوهريا منذ تلك الايام ، اذ لبس الفنيقيون الطاقية البيضاوية الشكل والمصنوعة من اللباد على رؤوسهم ولا تزال مستعمله (٥) ، ومنذ اواسط الالف الاولى ق . م . كان اللباس

---

١ ـ انظر حمامي ص ١٨ ، فخري ص ٧٢ ، لوبون ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ،

(٢) حمامي ص ١٨ ، فخري ص ٧٢

(٣) فخري ص ٧٢

(٤) حمامي ص ٢٥ ، وانظر ص ١٧ .

(٥) حمامي ص ١٦ .

مكونا من :

١ ـ المعطف القصير الذى لا يزال موجودا في المناطق الجبلية ويسمى " البشت " .

٢ ـ السروال الضيق الطويل الذى يصل الى القدم .

٣ ـ الثوب الطويل " الجلابية " وهو مغلق من الامام ذو اكمام ضيقة طويلة .

وهذه الانواع الثلاثة من الالبسة لا زالت معروفة حتى الان . (١)

ويصف لنا المقدسي لباس سكان قرى نابلس والقدس بقوله " ولباس القرياتيين برستاق ايليا ونابلس كساء واحد بلا سراويل " (٢) ، والكساء ثوب طويل يغطي الجسم من الكتفين حتى القدم وهو اما ان يكون ابيض او ملون (٣) ، ويذكر البخارى ان الكساء من لباس الرجال (٤) ، ويبين المقدسي انهم لا يلبسون سوى قطعة واحدة من القماش على اجسامهم دون ان يلبسوا شيئا تحتها (٥) ،

اما السروال فيشيع استعماله في مناطق اخرى خاصة المناطق الجبلية ويلف فوقه شال " حزام " حول البطن (٦) ، بينما يكون الكساء او ما يعرف حاليا بالقنباز (٧) ويسميه دوزى " القنباز " (٨) في مناطق السهول ويتمنطق الرجال بزنار على البطن وهو زنار من الجلد اومن نفس القماش في الاغلب . اما لباس الرأس فيشترك به اهل السهل والجبل وهو الكوفية والعقال (٩) ، وهذا ينطبق ايضا على الوقت الحاضر اذ يلبس اهالي الجبال السراويل الفضفاضه من الاعلى والضيقة من الاسفل ، وغالبا ما يكون لونه اسودا بينما يلبس اهالي السهول القنباز وهو مفتوح من الامام لكنه يلف على احدى الجهتين سواء اليمين او الشمال ثم يربط الحزام وقد يلبس السروال ايضا تحت القنباز لكنه هنا يكون ابيضا .

---

١ ـ خماش ص ١٦ ـ ١٧

(٢) المقدسي ص ١٨٣ (٣) لسترانج ص ٣٩ ، (٤) البخارى ج ٤ ص ٢١ ،
(٥) لسترانج ص ٣٩ ، (٦ + ٧) عبود ص ٢٤٧ (٨) دوزى ص ٢٦٤ ،
انظر العارف غزه ص ٣١٩ ، (٩) مفربل ص ١١٩ ، عبود ص ٢٤٧ .

وفي حالة ارتداء السروال دون الكساء فان الرجل يلبس ايضا قميصا من فوقه باكمام طويله وهو مفتوح من الامام وله ازرار (١) ، ويعرف دوزى السروال بقوله " هو ما يعرف باللباس وهو يغطي من السرة الى القدم للرجال وللنساء على حد سواء " (٢) وحتى الان فان اسم السروال لدى الفلاحين هو " لُبَاسْ " وهو شائع جدا في سوريا اذ يلبسه اهل الشمال والوسط والجنوب وهو فضفاض جدا في كل هذه الاماكن ويرى دوزى ان الناس في فلسطين وبدو سوريا عامة يلبسون السراويل (٣) ، اما النساء فلا بد لهن من لبسه . والسروال عادة مربوط تحت القميص وعلى الجسد العارى برباط هو التكه او الدكه (٤) .

ويلبس القرويون في سوريا لباسا من الصوف يدعى الدرعية او الدراعه او المدرعه (٥) وذكرها ابن وحشيه على انها لباس الفقراء والبؤساء من الناس (٦) ، وهي عبارة عن ثوب قصير مفتوح من الامام وفيه ازرار لخلقه عندما يريد مرتديه (٧) ، ومن هنا يبدو تشابهها مع القميص .

كما تلبس الطاقية على الرأس وقد تكون وحدها لدى الطبقات الفقيرة او انها تلبس على الرأس العارى ومن فوقها العمامه (٨) ، وعندها تسمى بالشاشيه (٩) ، ولدينا وصف لملابس اهل النبك في اواسط القرن التاسع عشر الميلادى يمكن ان يعطي فكرة عن الملابس التي كانت شائعة في الريف السورى قديما ، اذ ربما لم تكن قد طرأ عليها تغير جذرى عما كانت عليه بالفعل قبل عدة قرون . فيذكر خنشت ان لباس الرجل :

---

١ — دوزى ص ٣٠٠ — ٣٠١ (٢) دوزى ص ١٦٨ ، ٣٢٠

(٣) دوزى ص ١٧١ — ١٧٢ (٤) دوزى ص ٨٢ — ٨٣

(٥) انظر دوزى ص ١٤٦ ، ١٤٩ ، لسترانج ص ٣٩

(٦) ابن وحشيه ص ١٢٧ (٧) لسترانج ص ٣٩ ، انظر حمامي ص ٣١

(٨) دوزى ص ٢٢٧ ، ٢٣٠

(٩) دوزى ص ٢٠١

جلباب وقميص يصل الى ما فوق اقدامه وتحته سروال من الخام يربط بتكه فوق الوركين ، وفوق القميص صدريه وهي عادة دون اكمام لكنها بازرار وفوقها واحدة اخرى دون ازرار لكنها باكمام كامله . ويتمنطق الرجل عادة بنطاق عريض من الصوف ينسج في البيت ، ويلبس فوق الجميع عباءة صغيرة وفي الشتاء يلبس الرجال عباءات من الصوف الاسود وغالبا ما تكون مقلمه واكمامها الى المرافق وتصل الى ما فوق الركبه وعلى رؤوسهم يلبس الرجال الكوفية والعقال وتحت الكوفية الطاقية وفي ارجلهم يلبسون المداس المصنوع من الجلد (١) ، ويبدو ان هذا الوصف الى لباس البدوى اقرب .

ويكون النعل الخفيف لباس اهل السهول بينما الحذاء الطويل الذى يعرف بالجزمه يستعمل في الجبال (٢) ، ويسمى الحذاء البسيط بالتاسومه (٣) ويرادف هذا الاسم كلمة نعل (٤) .

ويبدو ان لباس النساء في سوريا كلباس الرجال لم يطرأ عليه تغير يستحق الذكر ، اذ تدل النقوش الاثرية التي عثر عليها في رأس شمره والتي تعود للالف الثانية ق.م. ان الثوب الواسع الطويل ذا اللون الساذج المغلق من الامام الا من فتحة حادة بشكل الرقم ٧ عند الصدر والعمق والمطرز من الاسفل بصورة دائرية دورا او دورين كان اللباس المألوف ، ولا يزال موجودا بشكله المذكور عند نساء السهول الزراعية كحوران وحمص وحماه وحلب وباقي السهول الشامئة حتى اليوم (٥) وعلى هذا فيتوقع ان يتألف لباس المرأة في القرن الاول الهجرى من ثوب طويل مفتوح او مغلق من الاعلى وتحته سروال واسع فضفاض من السرة الى القدم ثم درع مفتوح عند الرقبة وفي الشتاء تلبس سترة ضيقة فوقه ثم العباءة التي تستر الجسم كله .

---

١ ــ خنشت ص ٣٤ ــ ٣٦ ، (٢) مغربل ص ١٢٠ ، (٣) حسن تاريخ الاسلام ج ١ ص ٥٤٤ الطبعة السابعة ــ القاهرة (٤) دوزى ص ٨٩
(٥) حمامي ص ١٤ ، انظر ايضا ص ١٥ ، شكل " ٣ "

أما لباس الرأس فهو منديل يعصب على الجبهة فيغطي كل الرأس والرقبة (١) ، وزاد على ملابس النساء ان صارت الثياب طويلة جدا وفضفاضه وازدادت الرسوم عليها . وربما كان ذلك على نساء المدن اصدق .

ويبدو ان الملاءة التي تلف المرأة بها جسمها في مناطق الغوطه خاصة لها اصل قديم من العهد اليوناني الروماني . (٢)

ويمكن ان نلخص لباس المرأة بالمنديل الذى يغطي الرأس كله والرقبة وما بقي منه فانه سائبا على الظهر ، ثم الثوب العادى الطويل الذى يستر الجسم كله من الرقبة حتى القدمين وله اكمام طويلة لكنها تضيق عند الرسغ ، بينما يثبت الثوب بزنار حول الخصر وهذا الزنار غالبا ما يكون من القماش الابيض (٣) . وتحت الثوب تلبس النساء السروال الذى يضيق كلما نزل نحو القدم الى ان يصبح ضيقا قدر رِجْل المرأة فوق الكعب (٤) ، كما تلبس النساء في اقدامهن البابوج العادى وهو من الجلد معكوف الرأس قصير جدا (٥) . ويشيع لدى الفلاحين القبقاب وهو قطعة من الخشب ذات كعب يحيط بطرفها الامامي قطعة من الجلد . الاان استعماله بيتي في الاغلب (٦) .

وعرف في الشام نوع من الملابس سمي " الريط " واشتهرت ريط الشام بين البلدان (٧) وهي ثوب رقيق تلفه المرأة حول نفسها فوق جميع الثياب (٨) ، وتسمى ايضا الملحفه والملاية والازار والحبره (٩) ، كما ان اللفاع هو الملحفه نفسها (١٠) فهذه جميعا تؤدى نفس الغرض الذى تؤديه الريط .

---

١ ــ انظر حماي ص ٣٣ ــ ٣٤ (٢) حماي ص ١٩ ، (٣) مفربل ص ١٢٠
انظر لوبون ص ٣٨٥ ، (٤) دوزى ص ١٦٨ ، ٣٢٠ ، (٥) مفربل ص ١٠٠ ،
خنشت ص ١٤ ، (٦) خنشت ص ١٤ ، (٧) النويرى ج ١ ص ٣٥٦ ، انظر دوزى ص ١٥٨ ، (٨) دوزى ص ٣٢٤ ، (٩) دوزى ص ٣٣١ ،
(١٠) دوزى ص ٣٢٦ .

وكانت المادة المنسوجه تحضر احيانا في المنازل ولا تزال تنتشر المغازل اليدوية في بعض القرى حتى الان ، رغم انتشار المنسوجات (١) ، ويذكر جب " Gibb " ان معظم ملابس الفلاحين من الصوف والشعر او الجلد واعتمدوا على قطعانهم لتمدهم بها ، اذ كانت تغزل وتنسج ويعمل منها قطع ملابسهم المختلفة (٢) ،

ومن المفيد ان نسجل اخيرا طريقة غسل الملابس قديما اذ يعتقد ان هذه الطريقة شاعت كثيرا في السابق وتعتمد على نبات ينمو في البوارى الشامية في بادية الشام وشرق القلمون بشكل خاص (٣) ، وهذا النبات يسمى نبات الاشنان (٤) ، ويقول عنه البيروني " يستعمل في غسيل اليد وربما سمي اشنان الخف لخفته ومنه يتخذ القلي" (٥) ، اذ يؤتى بهذا النبات فيحرق ورماده هو الماده التي تسمى القلي وتستعمل لغسل الملابس ويقوم مقام مساحيق التنظيف اليوم . اذ بعد ان تغمر الملابس بالماء يرشح عليها مسحوق القلي ثم تدعك باليد حتى تقرر المرأة نظافة الملابس . وهناك طريقة بدائيه لغسل الملابس تقوم على بلها بالماء ورش القلي عليها ثم ضربها بواسطة خشبه طويلة " مخباط " على حافة حجر حتى تنظف ثم تنشر على حبل خاص او على الاشجار لتجف . (٦)

---

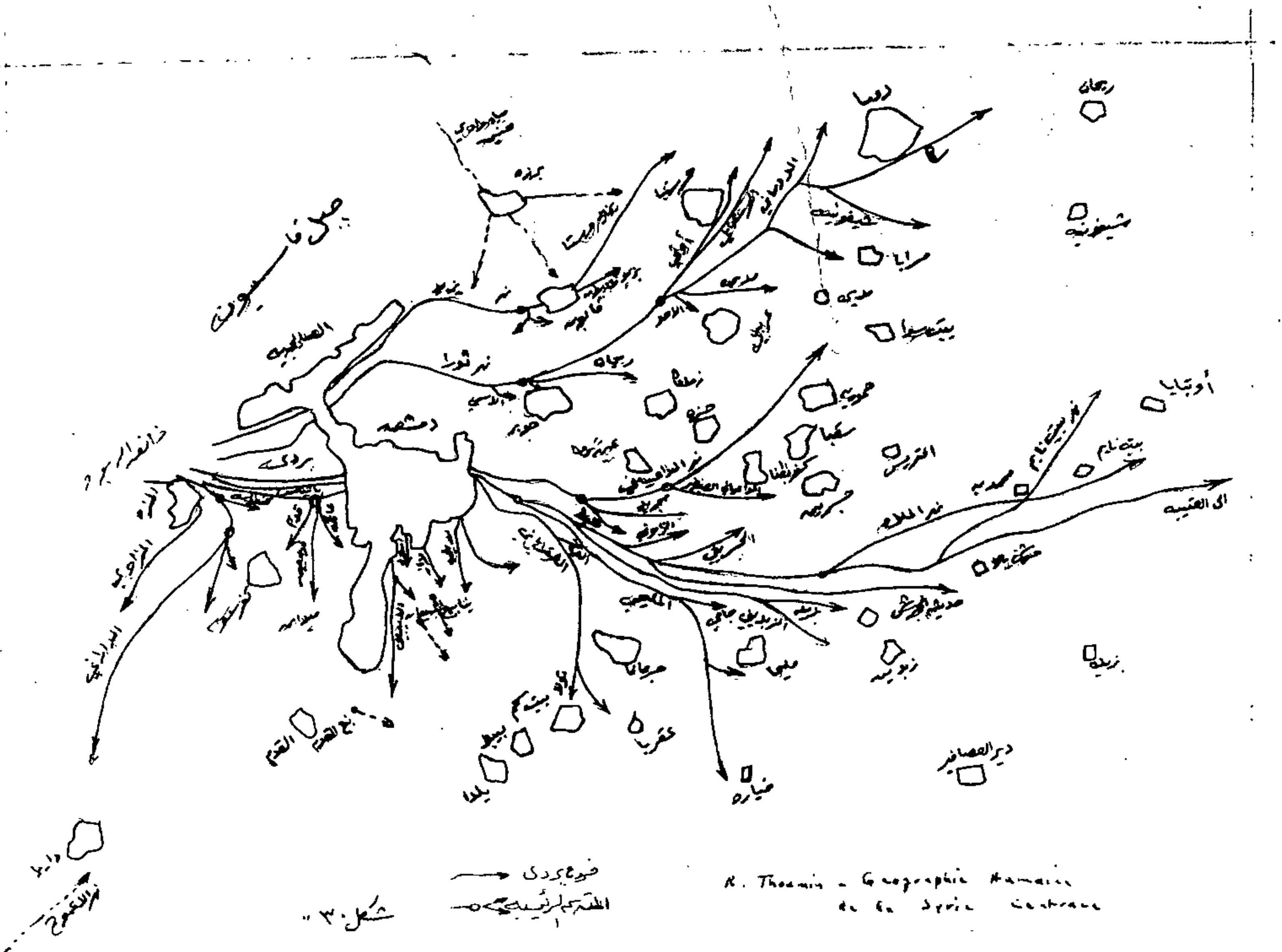
١ — مفربل ص ١١٩ ، (٢) جب المجتمع ج ٢ ص ٦٨ ،

(٣) انظر منصور ص ٩ ، زكريا الريف ج ١ ص ٨٨ — ٨٩

(٤) انظر خنشت ص ١٦ ، منصور ص ٩ ، زكريا الريف ج ١ ص ٨٨ — ٨٩

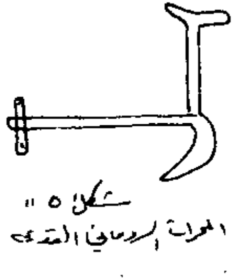
(٥) البيروني ص ٤٦ ،

(٦) خنشت ص ١٦ — ١٧ .


جبل قاسيون
الصالحية
دمشق
بردى
برزة
نهر ثورا
نهر يزيد
دوما
حرستا
مسرابا
شيفونية
ريحان
مديرا
بيت سوا
حمورية
سقبا
جسرين
كفربطنا
عين ترما
زملكا
جوبر
أوتايا
بيت نايم
محمدية
الى العتيبة
نهر الملاح
زبدين
ديرالعصافير
المليحة
جرمانا
عقربا
مليحة
حيارة
بيت سحم
ببيلا
يلدا
القدم
المزة
داريا
نهر الأعوج
فروع بردى
المقسم الرئيسي
شكل ٣٠
R. Thoumin - Geographie Humaine de la Syrie Centrale

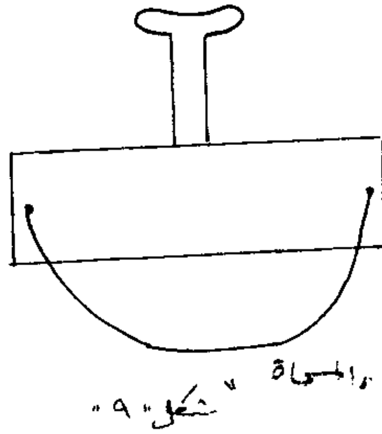
المحراث الطبري شكل "٦"

Dic. of the Bible

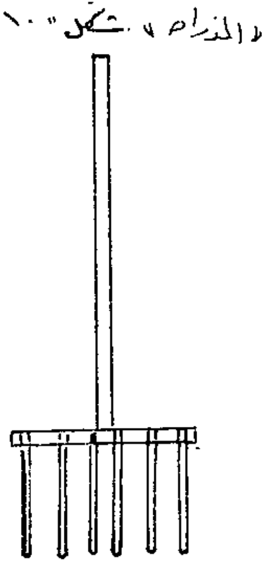


شكل "٥"

المحراث الروماني القديم



"المسحاة" شكل "٩"

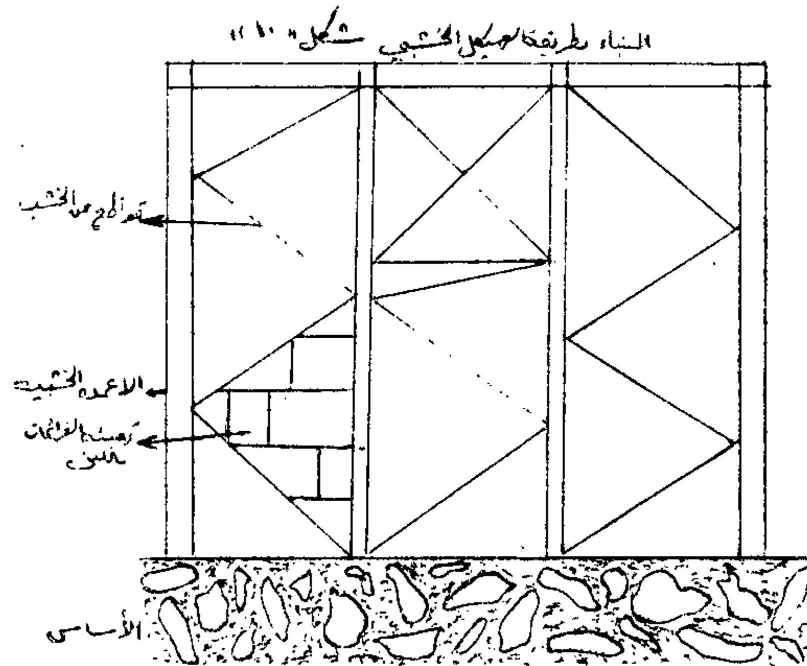


"المذراة" شكل "١٠"

"المنجل" شكل "٧"

"المر" شكل "٨"




البناء بطريقة الهيكل الخشبي شكل "١٠"
الأعمدة الخشبية
الأساس

المصـــــــتـــادر الاوليـــــة

أ ـ المخطـــــــوطات : ـ

ابن الحجاج ، احمد بن محمد

كتاب الفلاحة   القرن السادس الهجرى

نسخة رقم ٦٩ ، ج ٦١٧ ، ٦٣٣٢

المكتبة الملكية ـ الخزانة العامة ، الرباط ـ المغرب

ابن العديم ، عمر بن احمد بن هبة الله   ت ٦٦١

بغية الطلب في تاريخ حلب

نسخة اياصوفيا رقم ٣٠٣٦ " مصورة في مكتبة الجامعة الاردنية "

ابن العوام ، يحيى بن محمد بن احمد   القرن السادس الهجرى

الفلاحة

مخطوطة المتحف البريطاني

Catalogue: ADD. 10461

نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاردنية

قسطويس بن اسكوراسنبكه   ت ٣١١ هـ

كتاب الفلاحين

نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاردنية

ابن وحشيه ، احمد بن علي   ت ٢٩١

الفلاحة النبطيه

نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاردنية

الوراق ، المظفر بن نصر بن سيار

كتاب الطبيخ

مخطوطة مكتبة بودليان ـ اكسفورد ـ لندن

رقم   Hunt 187

نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاردنية .

ب ـ المطبوعـــــــــات : ـ

١- ابن الاثير ، علي بن محمد الشيباني ت ٦٣٠
الكامل في التاريخ ١٢ جزء ؟
طبع ونشر دار صادر ـ دار بيروت ـ بيروت ١٩٦٥

الادريسي ،محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس
نزهة المشتاق في اختراق الافاق E.F.C. Rosenmuller
لبسالا ـ السويد ١٨٢٨م

الازدى ،محمد بن عبدالله القرن الثاني هـ
فتوح الشام تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر
مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٧٠

الاصطخرى ،ابراهيم بن محمد الفارسي ٣١٨ ـ ٣٢١ هـ (١)
الاقاليم J. Moeller.
غوتا ؟
أعادته بالاوفست ـ مكتبة المثنى ـ بغداد

الاصطخرى ،
مسالك الممالك De Goeje.
مطبعة بريل ـ ليدن ١٩٢٧
اوفست مكتبة الصدر ـ طهران

ابن اعثم ،احمد بن اعثم الكوفي ت ٣١٤
كتاب الفتوح ٣ أجزاء
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية طبعة اولى
حيدراباد ـ الهند ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩

---

١ ـ عندما لا يوجد الحرف " ت " فذلك يعني سنة تأليف الكتاب وليست سنة وفاة المؤلـف .

ابن انس ، مالك   ت ١٧٩
المدونه الكبرى ٦ أجزاء
مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٣
اوفست ، مكتبة المثنى ـ بغداد

ابن انس ، مالك
الموطأ ٢ جزء   تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي
دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥١

الانصارى ، زكريا
شرح البهجه ٥ أجزاء
المطبعة الميمنية ـ القاهرة ١٣٠٦ هـ

الاوزجندى ، حسن بن منصور   ت ٢٩٥
فتاوى قاضي خان
مطبوع بهامش كتاب الفتاوى الهندية ٦ أجزاء
المطبعة الاميرية الكبرى ـ طبعة ثانية ، القاهرة ١٣١٠ هـ

الباكوى ، عبدالرشيد بن صالح بن نورى
تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار
صور المخطوط ونشره : ضياء الدين بن موسى بونياتوف
ادارة التحرير الرئيسية للاداب الشرقية ـ موسكو ١٩٧١

البخارى ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم   ت ٢٥٦
صحيح البخارى   ١٠ أجزاء
طبع ونشر مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٣

ابن بصال ، محمد بن ابراهيم
كتاب الفلاحة   تحقيق فوسي ماريه ومحمد عزيمان
مطبعة كريماديس تطوان ـ المغرب ١٩٥٥

ابن بطلان ، المختار بن الحسن بن عبدون ت ٤٥٨

رسائل ابن بطلان تحقيق يوسف شخت وماكس مايرهوف

مطبعة بول باربيه القاهرة ١٩٣٧

ابن بطوطة ، محمد بن ابراهيم اللواتي ت ٧٧٩ هـ

رحلة ابن بطوطة

دار صادر ــ دار بيروت ــ بيروت ١٩٦٤

البغدادي ، ابو محمد بن غانم بن محمد

مجمع الضمانات في مذهب الامام ابو حنيفه

المطبعة الخيرية طبعة اولى ــ القاهرة ١٣٠٨ هـ

ابو البقاء الدمشقي ، عبد الله بن محمد ٨٨٧

نزهة الانام في محاسن الشام .

المطبعة العربية ــ بغداد ، المطبعة السلفية ــ القاهرة ، القاهرة ١٣٤١ هـ

البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ

معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ٣ أجزاء

تحقيق مصطفى السقا

مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، طبعة اولى القاهرة ١٩٤٥

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ

انساب الاشراف

الجزء الرابع ــ القسم الاول ماكس شلوزنجر القدس ١٩٧١

الجزء الرابع ــ القسم الثاني ماكس شلوزنجر القدس ١٩٣٨

الجزء الخامس غوتيين القدس ١٩٣٦

اوفست ، مكتبة المثنى ــ بغداد

/ البلاذري ،

فتوح البلدان De Goeje.

مطبعة بريل ــ ليدن ١٩٦٨

البلخي ،احمد بن سهل ٣٠٨

البدء والتاريخ ٦ أجزاء " ينسب للمقدسي ،مطر بن طاهر "

تحقيق كلمان هوار

باريس ١٨٩٩ — ١٩١٦

اوفست مكتبة المثنى — بغداد ،مؤسسة الخانجي — القاهرة

البيروني ،ابي الريحان محمد بن احمد

كتاب الصيدنة في الطب تحقيق الحكيم محمد سعيد ورانا احسان اله

كراتشي — الباكستان ١٩٧٣

ابن تيميه ،احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت ٧٢٨ هـ

الحسبه في الاسلام تحقيق عبد السلام رباح

مكتبة دار البيان — دمشق ١٩٦٧

الثعالبي ،عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩ هـ

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب

مطبعة الظاهر — القاهرة ١٩٠٨

الثعالبي ،

خاص الخاص تحقيق محمد السمكرى

مطبعة السعادة ،طبعة اولى — القاهرة ١٩٠٨

الثعالبي ،

لطائف المعارف تحقيق ابراهيم الابيارى

دار احياء الكتب العربية — القاهرة ؟

ابن جبير ،محمد بن احمد ت ٦١٤

رحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار

مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٥٥

الجهشيارى ، محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ

الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا

طبع ونشر البابي الحلبي ،طبعة اولى — القاهرة ١٩٣٨

الحموى ، ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦ هـ

معجم البلدان ٥ أجزاء

دار صادر — دار بيروت — بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٧

الحنبلي ، مرعي بن يوسف ت ١٠٣٣ هـ

دليل الطالب على مذهب الامام المبجل احمد بن حنبل

نشر المكتب الاسلامي — دمشق ١٣٨١ هـ

ابو حنيفه ، احمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢ هـ

كتاب النبات ج ٥ تحقيق ب. لوين

مطبعة بريل — ليدن ١٩٥٣

ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي حوالي ٣٥٦ هـ

صورة الارض

اوفست ، مطبعة كرامرز ، دار مكتبة الحياة — بيروت ؟

ابن خرداذبه ، عبيد الله بن عبد الله ٢٧٢ هـ

المسالك والممالك De Goeje.

مطبعة بريل — ليدن ١٨٨٩

اوفست ، مكتبة المثنى — بغداد ، مؤسسة الخانجي — القاهرة

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت ٨٠٩ هـ

تاريخ ابن خلدون ٧ مجلدات

دار الكتاب اللبناني — بيروت ١٩٥٦

الخوارزمي ، جمال الدين ابي بكر

مفيد العلوم ومبيد الهموم

المكتبة السعيدية — القاهرة ؟

الخوارزمي ، محمد بن احمد بن يوسف ت ٣٨٧ هـ

مفاتيح العلوم تحقيق فان فلوتن

مطبعة بريل — ليدن ١٩٦٨

الخوارزمي ،محمد بن محمود بن احمد ت ٦٦٥ هـ
جمع اسانيد ابي حنيفه ٢ جزء
مطبعة دائرة المعارف العثمانية ــ طبعة اولى
حيدر اباد ــ الهند ١٣٣٢ هـ
خليفة بن خياط ت ٢٤٠ هـ
تاريخ خليفة بن خياط ٢ جزء تحقيق سهيل زكار
نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية ــ دمشق ١٩٦٨
الخولاني ،عبد الجبار بن عبد الله
تاريخ داريّا تحقيق سعيد الافغاني
نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠
ابو داود ،سليمان بن اشعث السجستاني
سنن ابي داود ٤ أجزاء
دار الكاتب اللبناني ــ بيروت ١٣١٨ ــ ١٣٢٣
الدردير ، احمد بن محمد بن احمد ت ١٢٠١ هـ
الشرح الصغير على اقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ٢ جزء
تحقيق مصطفى كامل وصفي ،
دار المعارف ــ القاهرة ؟
الراشد ،عبد الرحمن بن عبد القادر
التصريح والتبريج في احكام المغارسه والتصيير والتوليج
المغرب ١٣٣٢
ابن رجب ،عبد الرحمن بن احمد ت ٧٩٥ هـ
الاستخراج لاحكام الخراج تحقيق عبد الله الصديق
المطبعة الاسلامية ،طبعة اولى ــ القاهرة ١٩٣٤

ابن رسته ،احمد بن عمر   حوالي ٢٩٠ هـ

الاعلاق النفيسه   De Goeje.

مطبعة بريل — ليدن ١٨٩١

اوفست ، مكتبة المثنى — بغداد

الزمخشري ،محمود بن عمر   ت ٥٣٨ هـ

كتاب الامكنه والمياه والجبال ؟

مطبعة السعدون — بغداد ؟

الزيلعي ،عثمان بن علي   ت ٧١٣ هـ

تبيين الدقائق شرح كنز الحقائق ٦ أجزاء

المطبعة الاميرية الكبرى ،طبعة اولى — القاهرة ١٣١٣ — ١٣١٥هـ

السبكي ،علي بن عبد الكافي   ت ٧٥٦ هـ

فتاوى السبكي ٢ جزء

نشر مكتبة القدسي — القاهرة ١٣٥٦ هـ

السرخسي ،ابو بكر محمد بن ابي سهل   ت ٤٩٠ هـ

المبسوط ٣٠ جزء   تحقيق محمد راضي الحنفي

دار المعرفة ،الطبعة الثانية — بيروت ؟

ابن سعد ،محمد   ت ٢٢٠ هـ

الطبقات الكبرى ٨ أجزاء

دار صادر — دار بيروت — بيروت ١٩٥٨

السمرقندي ،نصر بن محمد بن احمد   القرن الرابع الهجري

خزانه الفقه وعيون المسائل ٢ جزء

تحقيق صلاح الدين الناهي

شركة الطبع والنشر الاهلية — بغداد ١٩٦٥

سهزاب ، ت ٣٣٤ هـ

عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العماره تحقيق هانز فون مزيك

فينا ١٩٢٩

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ت ٩١١ هـ

تاريخ الخلفاء

المكتبة التجارية الكبرى ، طبعة ثانية ــ القاهرة ١٩٥٩

الشافعي ، محمد بن ادريس ت ٢٠٤ هـ

الام ٨ أجزاء تحقيق زهرى النجار

نشر مكتبة الكليات الازهرية ، طبعة اولى ــ القاهرة ؟

ابن الشحنه ، محمد القرن التاسع الهجرى

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب

نشر يوسف الياس سركيس الدمشقي

المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ١٩٠٩

ابن شداد ، محمد بن علي بن ابراهيم ت ٦٨٤ هـ

الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ٣ أجزاء

ج ١ تحقيق دومنيك سورديل سنة ١٩٥٣

ج ٢ ، ٣ تحقيق سامي الدهان سنة ١٩٦٢ ، ١٩٥٦

المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت . نشر المعهد الفرنسي بدمشق .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد

نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار

طبع ونشر البابي الحلبي ، طبعة ثانية ــ القاهرة ١٩٦١

شيخ الربوة ، محمد بن ابي طالب الانصارى الدمشقي ت ٧٢٧ هـ

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر A. Mehren.

لا يبزج ١٩٢٣ اوفست مكتبة المثنى ــ بغداد

شيخ زاده ،عبد الرحمن بن شيخ محمد بن سليمان

مجمع الأنهر في شرح ملتقى الابحر

المطبعة العثمانية ؟ ١٣٠٥ هـ

الصولي ،أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥ هـ

ادب الكاتب تحقيق محمد بهجة الاثرى

المطبعة السلفية ـ القاهرة نشر المكتبة العربية ـ بغداد ١٣٤١ هـ

الطبرى ،محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ

اختلاف الفقهاء تحقيق يوسف شخت

مطبعة بريل ـ ليدن ١٩٣٣

الطبرى ،

تاريخ الرسل والملوك ١٠ أجزاء

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠

الطوسي ،محمد بن الحسن ت ٤٦٠ هـ

تهذيب الاحكام ١٠ أجزاء

تحقيق حسن الموسوى

مطبعة النجف ،طبعة ثانية نشر دار الكتب الاسلامية ،النجف ١٩٦٠

الظاهرى ،خليل بن شاهين ت ٨٧٢ هـ

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك تحقيق بولس راوس

مطبعة الجمهورية باريس ١٨٩٤

ابن عبد الحق البغدادى ،عبد المؤمن ت ٧٣٩ هـ

مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع ٣ أجزاء

تحقيق محمد علي البجاوى

دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥

ابن عبد الحكم ،عبد الرحمن ت ٢٥٧ هـ

سيرة عمر بن عبد العزيز

المطبعة الرحمانية طبعة اولى القاهرة ١٩٢٧

ابن عبدربه ،احمد بن عمر ت ٣٤٩ هـ

العقد الفريد ٤ أجزاء

المطبعة الازهرية طبعة ثانية القاهرة ١٩٢٨

ابو عبيد ،القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ

الاموال تحقيق محمد خليل هراس

مكتبة الكليات الازهرية طبعة اولى القاهرة ١٩٦٨

ابن العديم ،عمر بن احمد بن هبة الله ت ٦٦١ هـ

زبدة الحلب في تاريخ حلب

تحقيق سامي الدهان نشر المعهد الفرنسي ـ دمشق ١٩٦٢ ، ٣ أجزاء

ابن عساكر ،علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١ هـ

تاريخ مدينة دمشق ٣ مجلدات ١ ، ٢ ، ١٠ ،

تحقيق صلاح الدين المنجد ، محمد احمد دهان

نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١١٥٤

ابن عساكر ،

تهذيب تاريخ بن عساكر ٧ اجزاء

مطبعة روضة الشام دمشق ج ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٣٢٩ ـ ١٣٣٢ هـ

مطبعة الترقي دمشق ج ٦ ، ٧ ، ١٣٥٠ ـ ١٣٥١

العمرى ،احمد بن فضل الله ت ٧٤٢ هـ

مسالك الابصار في ممالك الامصار ج ١ تحقيق احمد زكي

دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٤ "مصور"

ابو الفداء ،عماد الدين اسماعيل محمد بن عمر ت ٧٣٢ هـ
تقويم البلدان م. ريثود و ماك كوكين د يسلان
دار الطباعة السلطانية ــ باريس ١٨٥٠
ابن الفقيه ،احمد بن ابراهيم الهمواني حوالي ٢٩٠
مختصر كتاب البلدان De Goeje
مطبعة بريل ــ ليدن ١٣٠٢ هـ
اوفست مكتبة المثنى ــ بغداد
قانون نامه ولاية الشام مكتوب سنة ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م
قدامه بن جعفر ٣١٦ هـ
نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابه المنزله الخامسة والسادسة
منشور بذيل كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه
تحقيق De Goeje
مطبعة بريل ــ ليدن ١٨٨٩ اوفست مكتبة المثنى ــ بغداد
قدامه بن جعفر ،
القسم السابع من المخطوطه نشره بشكله المخطوط مترجمته الى الانكليزية
A. Ben shemesh
بعنوان Taxation In Islam Vol.II
بريل ــ ليدن ،لوزاك ــ لندن ١٩٦٥
ابن قدامه ،عبد الله بن احمد بن محمد ت ٦٢٠ هـ
المغني ٩ أجزاء تحقيق محمد رشيد رضا
نشر دار المنار طبعة ثانية ــ القاهرة ١٣٦٧ هـ
القزويني ،زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ
اثار البلاد واخبار العباد
دار صادر ــ دار بيروت ــ بيروت ١٩٦٠

قسطوس بن لوقا ت ٣١١ هـ

الفلاحة اليونانية " الرومية "

المطبعة الوهبية ـ القاهرة ١٢٩٣ هـ

القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ت ٨٢١ هـ

صبح الاعشى في صناعة الانشا ١٤ جزء

وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية القاهرة ؟

" مصورة عن الطبعة الاميرية "

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ت ٧٥١ هـ

احكام اهل الذمه ٢ جزء تحقيق صبحي الصالح

مطبعة جامعة دمشق طبعة اولى دمشق ١٩٦١

الكاتب البغدادي ، محمد بن الحسن بن محمد

كتاب الطبيخ ، مذيل بمعجم المآكل الدمشقية

تحقيق فخري البارودي

مطبعة دار الكتب ، طبعة اولى بيروت ١٩٦٤

الكاساني ، علاء الدين ابي بكر بن مسعود ت ٥٨٧ هـ

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٦ أجزاء

المطبعة الجمالية طبعة اولى القاهرة ١٩١٠

ابن كثير ، اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية ١٤ جزء

مطبعة السعادة ـ القاهرة ؟

ابن كثير ،

سيرة عمر بن عبد العزيز تحقيق احمد الشرباصي

الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ؟

ابن ماجه ،محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ
سنن ابن ماجه ٢ جزء
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة ١٩٥٢
الماوردى ،علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠ هـ
الاحكام السلطانية والولايات الدينية
طبع ونشر البابي الحلبي طبعة ثانية ــ القاهرة ١٩٦٦
ابن المبرد الدمشقي ، يوسف بن حسن ت ٩٠٩ هـ
كتاب الطباخه "نشر بعضه حبيب الزيات في مجلة المشرق"
مجلد ٣٥ لسنة ١٩٣٧ ص ٣٧٠ ــ ٣٧٦ .
مجموعة من علماء الهند ،
الفتاوى الهندية المسماه العالمكيريه ٦ أجزاء
المطبعة الاميرية الكبرى طبعة ثانية ــ القاهرة ١٣١٠ هـ
مجهــول ، القرن الحادى عشر الميلادى
تاريخ الخلفاء نشر بطرس غريازنيويتش
دار الاداب الشرقية ــ موسكو ١٩٦٧
مجهــول ،
العيون والحدائق في اخبار الخلائق De Goeje.
مطبعة بريل ــ ليدن ١٨٧١ اوفست مكتبة المثنى ــ بغداد
مجير الدين الحنبلي ،عبد الرحمن بن محمد المقدسي
الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل
القاهرة ؟ ؟
مسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ
صحيح الامام مسلم ١٨ جزء
القاهرة ١٣٤٩ هـ

المسعودى ، علي بن الحسين ت ٣٤٥

التنبيه والاشراف تحقيق عبد الله الصاوى

القاهرة ١٩٣٨ اوفست مكتبة المثنى — بغداد

المسعودى ،

مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ أجزاء

دار الاندلس — بيروت ١٩٦٥ " الطبعة العربية "

مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق باربيه دمينار

افست مطبوعاتي اسماعيليان تحقيق باده دكورتل

طهران — طبعة ثانية ١٩٧٠ ٩ أجزاء

المقدسي ، محمد بن احمد بن ابي بكر البشارى ٣٧٥ هـ

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم De Goeje.

مطبعة بريل — ليدن طبعة ثانية ١٩٠٦

اوفست مكتبة المثنى — بغداد

ابن منظور ، محمد بن مكرم ت ٦٣٠ هـ

لسان العرب ٤ مجلدات

اعداد يوسف خياط — نديم مرعشلي

دار لسان العرب بيروت ؟

المنيني ، احمد بن علي بن عمر ت ١١٧٢ هـ

الاعلام بفضائل الشام تحقيق سامح الخالدى

المطبعة المصرية — القدس ؟

النابلسي ، عبد الغني ت ١١٤٣ هـ

علم الملاحه في علم الفلاحه

مطبعة نهج الصواب — دمشق ١٢٩٩ هـ

ناصر خسرو ٤٤٤ هـ

سفرنامه ترجمة يحيى الخشاب

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، طبعة اولى — القاهرة ١٩٤٥

ابن نجيم ،زين بن ابراهيم ت ٩٧٠ هـ
البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٨ أجزاء
دار الكتب العربية ـ القاهرة ١٣٣٤ هـ
النسائي ،احمد بن شعيب بن علي ت ٣٠٣ هـ
سنن النسائي بشرح السيوطي ٨ أجزاء
المطبعة المصرية ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ؟
النسفي ،عبدالله بن احمد بن محمود ت ٧٠١ هـ
كنز الدقائق .
طبع سنة ١٢٩٤ ؟
النووى ، محي الدين بن شرف ت ٦٧٦ هـ
تهذيب الاسماء واللغات ٢ جزء
الطباعة المنيرية ـ القاهرة ؟
النووى ،
المجموع ٨ أجزاء نشر زكريا علي يوسف
مطبعة العاصمه " ج ٥ " مطبعة الامام ـ القاهرة
النووى ،
مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج ٤ أجزاء
طبع ونشر البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٨
النويرى ،شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب ت ٧٢٢ هـ
نهاية الارب في فنون الادب ١٨ جزء
دار الكتب المصرية ـ القاهرة
ج ١ طبعة ثانية ١٩٢٩ ، ج ٨ ، ١١ ، طبعة اولى ١٩٣١ ، ١٩٣٥
ابن هشام ،ابو محمد عبدالملك ت ٢١٨ هـ
السيرة النبوية ٤ أجزاء تحقيق مصطفى السقا ورفاقه
نشر البابي الحلبي ، طبعة ثانية ـ القاهرة ١٩٥٥

ابو هلال العسكرى ، الحسن بن عبدالله ت ٣٩٥ هـ
الأوائل تحقيق محمد السيد الوكيل
نشر اسعد طرابزوني المدينة المنورة ١٩٦٦
ابو هلال العسكرى ،
التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ٢ جزء
تحقيق عزه حسن
طبع ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٩
ابن الهمام ، محمد بن عبدالواحد السيواسي ت ٨٦١ هـ
شرح فتح القدير للعاجز الفقير ٨ أجزاء
طبعة اولى القاهرة ١٣١٥
ابن الوردى ، سراج الدين ابو حفص عمر ت النصف الثاني من القرن التاسع هـ
تاريخ ابن الوردى ٢ جزء
ابن الوردى ،
خريدة العجائب وفريدة الغرائب
طبع ونشر البابي الحلبي طبعة ثانية القاهرة ١٩٣٩
يحيى بن آدم القرشي ت ٢٠٣ هـ
الخراج تحقيق احمد محمد شاكر
المطبعة السلفية طبعة ثانية ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح ت ٢٧٨ هـ
البلدان " مطبوع مع كتاب الاعلاق النفيسه
لابن رسته " De Goeje.
مطبعة بريل ـ ليدن ١٨٩١
اوفست مكتبة المثنى ـ بغداد

اليعقوبي ،

تاريخ اليعقوبي ٢ جزء

دار صادر ــ دار بيروت ــ بيروت ١٩٦٠

ابو يعلى ، محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ت ٤٥٨ هـ

الاحكام السلطانية تحقيق محمد حامد الفقيه

طبع ونشر البابي الحلبي طبعة ثانية ــ القاهرة ١٩٦٦

ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٢ هـ

الخراج

المكتبة السلفية ومطبعتها ، طبعة ثانية ــ القاهرة ١٣٨٢ هـ

٢ ـ المراجـــــع الثانويــــه

أ ـ الكتـــب العربيـــــة : ـ

بدران ، عبد القادر

منادمة الاطلال ومسامرة الخيال

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ـ دمشق ١٣٧٩ هـ

بهجب ، علي

قاموس الامكنه والبقاع

مطبعة التقدم طبعة اولى ـ القاهرة ١٩٠٦

الجندى ، محمد سليم

تاريخ معرة النعمان ٢ جزء

مطبعة الترقي ـ دمشق ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤

الحسني ، علي

تاريخ سوريا الاقتصادى

مطبعة بدائع الفنون ـ دمشق ١٣٤٢ هـ

حماده ، سعيد

النظام الاقتصادى في سوريا ولبنان

المطبعة الامريكية ـ بيروت ١٩٣٦

حمامي ، حسن

الازياء الشعبية وتقاليدها في سوريه

نشر وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٧١

الحصني ، محمد اديب

منتخبات التواريخ لدمشق ٣ أجزاء

المطبعة الحديثة نشر مكتبة العلم العربي ـ دمشق

ج ١ ، ٢ ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ ، ج٣ ١٩٣٤

حلوة ، عبد الحنان

زراعة الحور في سوريا

المطبعة الجديدة ـ دمشق ١٩٥٦

حميده ، عبد الرحمن

جغرافية سورية البشرية

معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٧١

الحيدرابادي ، محمد حميد الله

مجموعة الوثائق السياسية " زمن الرسول والخلافة الراشدة "

لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤١

الخطيب ، عبد الكريم

السياسة المالية في الاسلام

دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٦١

الخفيف ، علي

الملكية في الشريعة الاسلامية

؟ القاهرة ١٩٦٩

خلشت ، يوسف موسى

صورة من حياة الشيك وجبل القلمون في اواسط القرن التاسع عشر

مطبعة القديس بولص حريصا ـ لبنان ١٩٣٦

الخير ، صفوح

غوطة دمشق " دراسة في الجغرافية الزراعية "

نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية ـ دمشق ١٩٦٦

الخير ،

مدينة دمشق

نشر وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٦٩

الدبس ، يوسف

تاريخ سوريا ٨ مجلدات

المطبعة العمومية — بيروت مجلد ٤ — ٥ ، ١٨٩٩ — ١٩٠٠

الدوري ، عبد العزيز

مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ط ٢

المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٦٠

الدوري ،

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري

مطبعة المعارف — بغداد ١٩٤٨

الدوري ،

مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي

دار الطليعة طبعة اولى — بيروت ١٩٦٩

الدوري ،

النظم الاسلامية ج ١

مطبعة نجيب ، الطبعة الاولى — بغداد ١٩٥٠

الدومنكي ، أ . س . مرمرجي

بلدانية فلسطين العربية

مطبعة جان دارك — بيروت ١٩٤٨

الريس ، محمد ضياء الدين

الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية

دار المعارف طبعة ثالثة — القاهرة ١٩٦٩

زكريا ، احمد وصفي

الريف السوري ٢ جزء

دار البيان — دمشق ج ١ ١٩٥٥

المطبعة العمومية دمشق ج ٢ ١٩٥٧

زكريا ،

زراعة المحاصيل الحقلية في بلاد الشام وامثالها ٢ جزء

دار الطباعة العربية دمشق ج ١ ١٩٥١

المطبعة العمومية دمشق ج ١ ١٩٥٢

زكريا ،

المفكرة الزراعية

مطبعة الترقي دمشق ١٩٣٠

زيادة ، نقولا

رواد الشرق العربي في العصور الوسطى

هدية مجلة المقتطف ١٩٤٣ طبعة اولى — بيروت

زيدان ، جرجي

التمدن الاسلامي ٥ أجزاء

دار الهلال طبعة حسين مؤنس — القاهرة ١٩٥٨

زيدان ، عبدالكريم

احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام

طبعة اولى — بغداد ١٩٦٣

سابق ، سيد

فقه السنه ٣ أجزاء

نشر دار الكتاب اللبناني طبعة اولى بيروت ١٩٧١

الشريف ، منير

قصة الارض في سوريا

نشر وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٦١

شلبي ، احمد

السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي

مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٦٤

الشهابي ، مصطفى

الاشجار والانجم المثمرة

المطبعة الحديثة — دمشق ١٩٢٤

الشهابي ،

الزراعة العملية الحديثة

طبع مكتبة السفاريني ، طبعة ثانية " عن مطبعة الاعتدال بدمشق "

طولكرم ١٩٣٥

شويحات ، يوسف سليم

العرب وتراثهم

مطبعة القوات المسلحة الاردنية عمان ١٩٧٣

الصالح ، صبحي

النظم الاسلامية

دار العلم للملايين طبعة ثانية — بيروت ١٩٦٨

الطاهر ، علي نصوح

شجرة الزيتون

مطبعة الاردن — عمان نشر مكتبة الطاهر — يافا ١٩٤٧

الطباخ ، محمد راغب بن محمود بن هاشم

اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٧ أجزاء

المطبعة العلمية طبعة اولى حلب ١٩٢٣

العارف ، عارف

تاريخ بئر السبع وقبائلها

مطبعة بيت المقدس — القدس ١٩٣٤

العارف ،

تاريخ عسقلان

؟ القدس ١٩٤٣

العارف ، عارف

تاريخ غزه

دار الايتام الاسلامية القدس ١٩٤٣

العارف ،

المفصل في تاريخ القدس ج ١

نشر مكتبة الاندلس طبعة اولى القدس ١٩٦١

عاقل ،نبيه

خلافة بني اميه

دمشق ١٩٧٢

عبدالسلام ، عادل

جغرافية سورية " طبيعية بشرية اقتصادية " ج ١

؟ دمشق ١٩٧٣

عبود ، اسعد

تاريخ الناصرة

القاهرة ١٩٢٣

عثمان ، فتحي

الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضارى ٣ ج

دارالكتاب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ؟

العدوى ، ابراهيم

الامويون والبيزنطيون

الدار القومية للطباعة والنشر طبعة ثانية القاهرة ١٩٦٣

العدوى ،

الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم

مكتبة الانجلو المصرية طبعة ثانية القاهرة ١٩٥٨

عيسى ، احمد

تاريخ النبات عند العرب

نشر جامعة القاهرة الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٤

العيسمي ، شبلي

محافظة السويداء

نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية دمشق ١٩٦٢

الغزي ، كامل

نهر الذهب في تاريخ حلب ٣ أجزاء

المطبعة المارونية حلب ؟

فخري ، احمد

دراسات في تاريخ الشرق القديم

مكتبة الانجلو المصرية طبعة ثانية القاهرة ١٩٦٣

فرحات ، اديب

سوريا ولبنان

مطبعة العرفان طبعة ثانية صيدا ١٩٢٤

فروخ ، عمر

تاريخ صدر الاسلام والدولة الاسلامية

دار العلم للملايين — بيروت ١٩٧٠

فروخ ،

العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط

فكري ، علي

المعاملات المادية والادبية

نشر البابي الحلبي طبعة اولى القاهرة ١٩٣٨

القاسمي ، محمد سعيد

قاموس الصناعات الشامية ٢ جزء

لاهاي ١٩٦٠

كرد علي ، محمد

خطط الشام ٦ أجزاء

المطبعة الحديثة دمشق ج ١ – ٢ ١٩٢٥

مطبعة الترقي دمشق ج ٣ – ٦ ١٩٢٧

كرد علي ،

غوطة دمشق

نشر المجمع العلمي العربي بدمشق طبعة ثانية ١٩٥٢

الكيلاني ، مؤيد

محافظة حماه

وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٦٤

مقربل ، سعيد

مطالعات في المجتمع الريفي

مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية – حلب

طبعة اولى ١٩٦٥

ابو المكارم ، زيدان

بناء الاقتصاد في الاسلام

دار الجهاد – القاهرة ١٩٥٩

منصور ، اسعد

مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب

طبع سنة ١٩٥٠ ؟

الموصلي ، نظيم

محاضرات في جغرافية العمران سنة ١٩٧٣

القيت على طلبة السنة الثالثة – قسم الجغرافية ، الجامعة الاردنية

ندى ، احمد

حسن الصناعة في علم الزراعة ٢ جزء

القاهرة ؟

ابو النصر ، عادل

تاريخ الزراعة القديمة طبعة اولى ؟ ١٩٦٠

ينى ، جرجي

تاريخ سوريا

المطبعة الادبية ـ بيروت ١٨٨١

ب ـ الكتب المترجمة الى العربية : ـ

بوست ، جورج

نبات سوريا وفلسطين والقطر المصرى وبواديها

طبع في بيروت ١٨٨٤

بينز ، نورمان

الامبراطورية البيزنطية ترجمة حسين مؤنس

لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٠

ترتون ، أ . س ـ

اهل الذمة في الاسلام ترجمة حسن حبشي

دار المعارف طبعة ثانية القاهرة ١٩٦٧

جيب ، هاملتون

دراسات في حضارة الاسلام ترجمة احسان عباس

دار العلم للملايين ـ مؤسسة فرانكلين ـ بيروت ١٩٦٤

جيب ،

المجتمع الاسلامي والغرب ٢ جزء

ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى

دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧١

حتي ، فيليب

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢ جزء

ترجمة عبد الكريم رافق و جورج حداد

نشر دار الثقافة ـ مؤسسة فرنكلين ـ بيروت ١٩٥٨

حتي، فيليب

تاريخ العرب المطول ٢ جزء

ترجمة ادوارد جرجي وجبرائيل جبور وحتي

دار الكشاف طبعة رابعة ــ بيروت ١٩٦٥

حتي ،

لبنان في التاريخ ترجمة انيس فريحه

دار الثقافة ــ مؤسسة فرانكلين ــ بيروت ١٩٥٩

دوزى ، رينهارت

المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ترجمة اكرم فاضل

نشر وزارة الاعلام العراقية ــ بغداد ١٩٧١

ديمومبين ، م . غودفروا

النظم الاسلامية

ترجمة فيصل السامر وصالح الشماع

مطبعة الزهراء ــ بغداد ١٩٥٢

دينيت ، دانيال

الجزية والاسلام ترجمة فوزى فهيم جاد الله

مكتبة الحياة ــ مؤسسة فرانكلين ــ بيروت ١٩٦٠

ريسليه ، جاك

الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون

الدار المصرية للترجمة والنشر ــ القاهرة ؟

فلهاوزن ، يوليوس

الدولة العربية وسقوطها ترجمة عبد الهادى ابو ريده

لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة طبعة ثانية ١٩٦٨

فنديك ، كرنيلوس

المرآة الوضية في الكرة الارضية

طبعة ثانية ــ بيروت ١٨٧٠

كاهين ، كلود

تاريخ العرب والشعوب الاسلامية المجلد الاول

ترجمة بدر الدين قاسم

دار الحقيقة طبعة اولى القاهرة ١٩٤٧

كراتشكوفسكي ، أ . ى .

تاريخ الادب الجغرافي العربي ٢ جزء

ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم

لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٣ — ١٩٦٥

كين ،

تطور الزراعة في الشرق الاوسط ترجمة امين نظيف

طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٩

كيندرو ، و . ج .

مناخ القارات ج ١

ترجمة حسن طه نجم واخرين

مطبعة الحكومه — بغداد ١٩٦٧

لسترانج ، جي

فلسطين في العهد الاسلامي ترجمة محمود عمايره

وزارة الثقافة والاعلام الاردنية عمان ١٩٧٠

لوبون ، غوستاف

حضارة العرب ترجمة محمد عادل زعيتر

دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٤٥

جـ المقـــــــــالات : ـ

اصفر ، سليم

الاشجار والغابات في سوريا

المشرق مجلد ٢ لسنة ١٨٩٩ ص ٧٢١ ـ ٧٢٥

باز ، انطون

رفع المياه

المشرق مجلد ٢٨ لسنة ١٩٣٠ ص ٤٨٧ ـ ٤٦٦ ، ٦٦٧ ـ ٦٧٥

برغوث ، عبد الودود

تاريخ حمـــــاه

مجلة الحوليات الاثرية السورية مجلد ١٦ ج ١ لسنة ١٩٦٦ ص ٥٧ ـ ٨٤

بشاره ، ادمون

المياه الزراعية

المشرق مجلد ٢٥ لسنة ١٩٢٧ ص ٨١ ـ ٩٦

الجوزي ، بندلي

الجزية والخراج

المشرق مجلد ٢٩ لسنة ١٩٣١ ص ٩٤٤ ـ ٩٤٨

الدوري ، عبد العزيز

نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية

من مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٧٠

الدوري ،

نظام الضرائب في صدر الاسلام

من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٢ مجلد ٤٩ لسنة ١٩٧٤

الدوري ،

العرب والارض في بلاد الشام في صدر الاسلام

بحث قدم لمؤتمر بلاد الشام ـ الجامعة الاردنية ١٩٧٤

الزيات ، حبيب

الزنبيل او المصاد

المشرق مجلد ٣٦ لسنة ١٩٣٨ ص ١٧٨ — ١٧٩

الزيات ، حبيب

القراصيا الدمشقية

المشرق مجلد ٣٦ لسنة ١٩٣٨ ص ٦٠ — ٦٣

الزيات ،

دراقن الشام

المشرق مجلد ٣٧ لسنة ١٩٣٩ ص ١٧٧ — ١٧٩

الزيات ،

الورد وماء الورد بدمشق

المشرق مجلد ٤٦ لسنة ١٩٥٢ ص ٤٠١ — ٤٠٥

الزيات ،

دار البطايخ ورسوم الفواكه والبقول بدمشق

المشرق مجلد ٤٦ لسنة ١٩٥٢ ص ٤٠٦ — ٤١٨

زياده ، نقولا

جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجرى

بحث قدم لمؤتمر بلاد الشام — الجامعة الاردنية ١٩٧٤

سوفاجيه ، جان

دمشق الشام

المشرق مجلد ٣٤ لسنة ١٩٣٦ ص ١٦١ — ٢٠٤

شحاده ، كامل

قناة سلميه — افاميه

مجلة الحوليات الاثرية السورية مجلد ٧ لسنة ١٩٥٧

الشهابي ، مصطفى

تاريخ الزراعة في العالم العربي

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٧ ص ٩٧ — ١١٣

الشهابي ،

العشـــــر والخراج

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٢ ص ٦٥٤ — ٦٦٠

غانم ، سليمان

المناديات الدمشقية في الاثار الشامية

المشرق مجلد ١٣ لسنة ١٩١٠ ص ٣٣٨ — ٣٤٣ ، ٤١٢ — ٤١٧ ، ٦١٥

— ٦٢٠ ، ٧٤٤ — ٧٤٧

كرد علي ، محمد

جباية الشام في الاسلام

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١ ص ٢٩٨ — ٣٠٥ ،

٣٢٩ — ٣٤٠ ، ٣٥٩ — ٣٦٩ ،

لامنس ، هنرى

غابه الصنوبر في بيروت

مجلة المشرق مجلد ١ لسنة ١٨٩٨ ص ٩٣٩ — ٩٤١

لامنس ،

لمحه اقتصادية في المجارى اللبنانية

مجلة المشرق مجلد ٧ لسنة ١٩٠٤ ص ١٠٤٣ — ١٠٥٠ ، ١١٠٦ — ١١١١

لامنس ،

الاحوال الجوية في لبنان

المشرق مجلد ٨ لسنة ١٩٠٥ ص ٧ — ١٠

لامنس ،

المذكرات الجغرافية في الاقطار السورية

المشرق مجلد ١٠ لسنة ١٩٠٧ ص ١٠٥ — ١١١ ، ١٦١ — ١٦٩ ،

٢٦٥ — ٢٧٣ ، ٤٥٨ — ٤٦٢ .

لا منس ، هنرى

تاريخ الدولة الاموية بالشام

مجلة المشرق مجلد ٢٥ لسنة ١٩٢٧ ص ٢٠٧ — ٢١٠

موترد ، رينيه

الاحوال الاقتصادية في سوريا الرومانية

المشرق مجلد ٢٥ لسنة ١٩٢٧ ص ٢٩٥ — ٣٠٣

موترد ، رينيه

الارض والاعمال الزراعية في لبنان وسوريا على العهد اليوناني الروماني

المشرق مجلد ٣٩ لسنة ١٩٤١ ص ٢٢٥ — ٢٤٤

يوسف ، عبد الودود محمد

" بنية الريف الحموى الاجتماعية والاقتصادية في القرن السادس عشر ونماذج

من قراه . "

مجلة الحوليات الاثرية السورية مجلد ٢٠ لسنة ١٩٧٠ ص ٢٩ — ٥٤

د — الكتب الاجنبية : —

Navel Intelligence Division
Geographical Hand Book Series
Syria
April 1943

Thoumain, Richard.
Geographie Humaine de la Syrie Centrale.
Librairie Ernest Leroux
Paris 1963